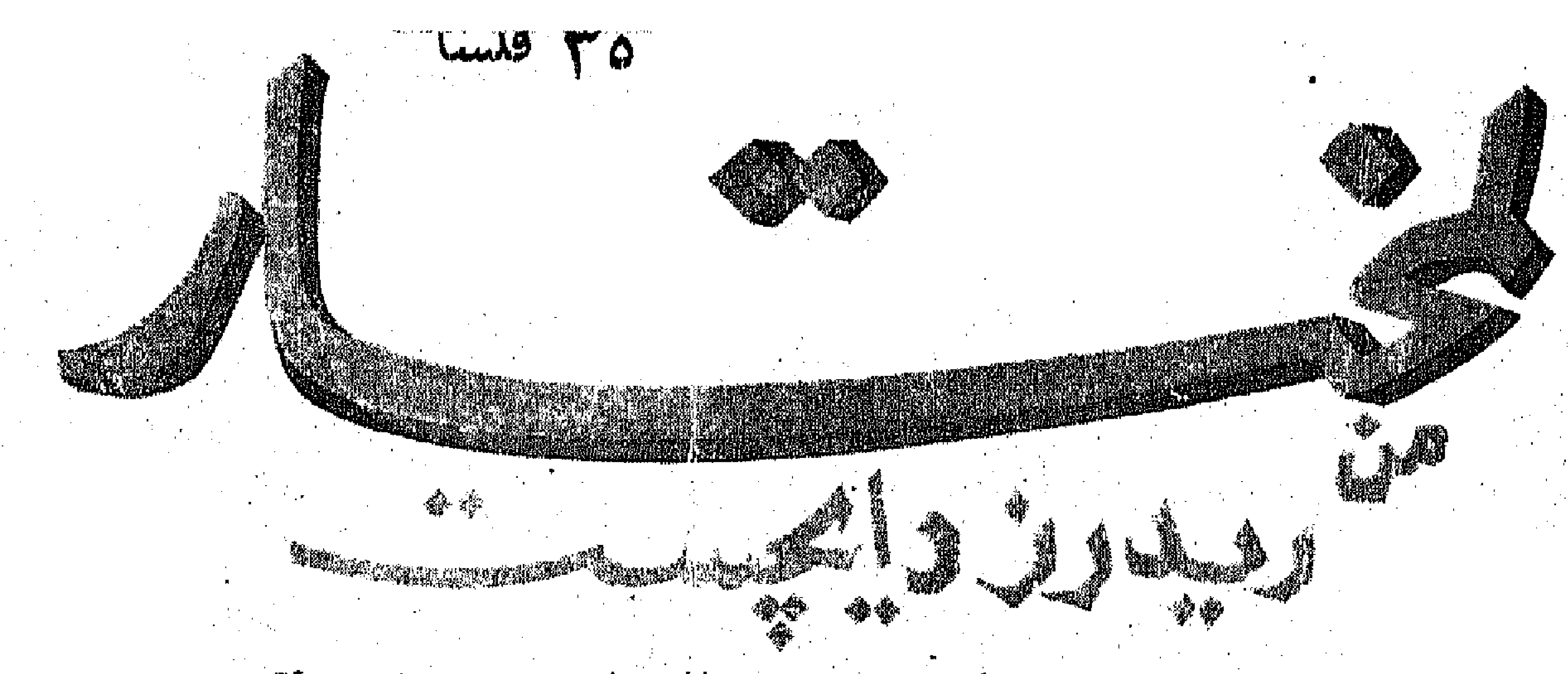


فى كل مقالة لذة دائمة

نيسان ١٩٤٧

بعض ماتقرأ فى عدد مايو ١٩٤٧

عالم الأحياء : أحدث من يقيم الحجة على وجوب الإيمان بالله ، فهذا لوكونت ده نوى ، عالم الأحياء المشهور ، يتبين الإيمان الدينيّ وراء روائع التطوُّر العضوى فيفصله فى كتاب جديد خطير ، نختصره لك فى هذا الفصل .

الجناح الطائر : وصف طائرة جديدة لاعهد بمثلها ، قد تحدث انقلاباً فى عالم الطيران . وسيرة الرجل الذى تخيلها فصممها فصنعها على غير ما عهد من القواعد ، فهى أسرع من الطائرات المعهودة وأعلى تحليقاً وأقدر على حمل الأحمال ، وليس لها ذيلٌ ولا هيكل .

ولتعصف العاصفة : مختصر رواية رائعة حافلة بآيات الحبّ والبسالة وكفاح الطبيعة القاهرة ، وهى رواية جعلت مؤلفتها روز وايلدرلين فى طليعة كتاب الروايات فى هذا العصر ، وقد رحب بها النقاد يوم صدورها أيما ترحيب،فأعيد طبعها ثمانى مرات ، ولاتزال روايةً يعاد طبعها مرة كل سنة .

جيش من النمل : يزحف زحفا قاهراً فيبث الرعب والهول بين النـاس والحيوانات فى أدغال أمريكا الجنوبية . فالصغار يفرون منه إلى التلال ومعهم ماتيسر لهم حمله من الدواجن، والأمهات تفر حاملات أطفالهن العراة ، والرجال ينحّون البقر عن طريقه — حتى قيض لهُ من يقهرهُ ! . .

الـدم هو الحياة : فيتامين جديد يقوّى الدم ، ويتيح شماعة من رجاءٍ لملايين من الناس أضنتهم بعض ضروب الأنيميا (فقر الدم) .

أفنان عبقريٌ أم مزيفٌ عبقرى ؟ : هـذه قصة كالقصص البوليسية المتخيلة ، قصة رجل بارع وخدعة طريفة . أما الرجل فهولندىٌّ عبقريُّ التصوير ، وأما الخدعة فهى انخداع كبار أهل الفن بصور اجتمعت فيها مزايا الأئمة من المصورين القدماء ، حتى صار أساتذة الفن يشتبهون فى كثير من آيات التصوير فى المتاحف والمجموعات الخاصة ، ولا يزال الحكم بين أيدى المحكمين .

AL MUKHTAR min Reader's Digest - Vol. 8, No 44 APRIL, 1947

الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة ولم ف . جليسى .
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش ، الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن مايعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ، وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .

العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

سنة رابعة

المختار
من
ريدرز دايجست

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

أبريل ١٩٤٧

المجلد ٨
العدد ٤٤

قضيت أياما مع غاندى

لويس فيشر

مختصرة من مجلة "الأتلانتيك الشهرية"

لايزال المهاتما غاندى أعظم قوة تؤثر فى الهند

يصدر موهندس غاندى صحيفة أسبوعية صغيرة بالإنجليزية اسمها « هاريجان » ، فلما كان شهر مايو الماضى ، نشرت بعثة الوزارة البريطانية مشروعها الذى يمهد للهند أن تظفر بحكومة قومية. فلم يكن السؤال الذى تردّد على الألسن يومئذ : « هل يرضى الهنود بالمشروع البريطانى؟ » بل كان: « هل يرضى به غاندى؟ » ذلك بأن غاندى لايزال أعظم قوة فى الهند .

وقد استغرق غاندى فى « البحث الدقيق أربعة أيام » ، ثم كتب مقالاً موجزاً فى صحيفة هاريجان قال فيه : « لقد رسم أعضاء الوزارة أيسر طريق وأخصره فى هذه الأحوال الراهنة، يفضى بنا إلى إنهاء الحكم البريطانى »

فعمدت كلّ صحيفة فى الهند إلى نقل هذا المقال ، وأرسل بالبرق إلى وشنطن، ونشرت فقرات وافية منه فى الصحف البريطانية وغيرها.

وقد نشرت صحيفة هاريجان بعد مقال غاندى الذى حلل فيه المشروع التاريخىّ الذى عرضته بريطانيا لتحرير الهند مقالا آخر وقعه غاندى وعنوانه « قلب بذرة المنجة » ، فأشاد فيه بما فى قلب بذرة المنجة من غذاء يصح أن يكون بدلا من الحبوب والعلف » .

هذا العدد من صحيفة هاريجان يدلّ أصدق دلالة على غاندى ، فهو رجل رحب الأفق متعدد النواحى ، لأنه يهتمّ بحياة الفرد وهى حياة رحبة متعددة النواحى. فتراه فى مقالة يعرّف ويحدّد استقلال الهند ، وفى الثانية يحثّ على خفض المقدار المقرّر من السكر لصنع الفطائر والحلوى ، وفى الثالثة يعالج موضوع الجريمة والإجرام، وفى الرابعة يبحث منافع الفول السودانى .

فالمهاتما غاندى لا يصرف كل همه إلى السياسة تعظيماً لها ، ولا يصرف

وجهه عن الفول السودانى استهانة به .

وقد قضيت أسبوعاً عند غاندى فى قرية هندية مستعرة الحرارة فى صيف سنة ١٩٤٢، ثم زرته منذ عهد قريب وقضيت معه ستة أيام.

ولعلّ أعجب شيء فى حياة غاندى أنه يقضى بين الناس أربعاً وعشرين ساعة كل يوم، ويلوح أن ذلك لا يغيره. وفراشه حشيّة مبسوطة فى فناء أرضه من الحجر فى عيادة الدكتور دنشاه مهتا للعلاج الطبيعى فى مدينة بونا ، وهذا الفناء المبلّط غير مرتفع عن وجه الأرض ولا يفصله عما يحيط به سور أو حاجز ، وتجد طائفة من تلاميذه ينامون على مقربة من معلمهم . أما أنا فقد أعطيت حجرة داخل البيت وفراشاً وثيراً .

وكنت فى الساعة الرابعة صباحاً أسمع صوت المهاتما وتلاميذه وهم يصلون ، ثم يشرب غاندى عصير البرتقال أو المنجة، ويجيب بخط يده على الرسائل التى تلقاها . وهو اليوم فى السابعة والسبعين ولكن خطه واضح ثابت، وسمعه وبصره سليمان ، ويرجو أن يعمّر حتى يبلغ الخامسة والعشرين بعد المئة . وفى كل يوم تأتيه سيدة فتقرأ له أنباء العالم من نشرة شركة بريطانية للأنباء. وهذه السيدة هى راجكومارى أمريت كور ، سليلة أمير هندى مسيحىّ، وقد نزلت عن كل شيء فى الدنيا لتكون كاتمة سرّ غاندى فيما يطالعه باللغة الإنجليزية ، أما غاندى فلا يقرأ الصحف ولا يستمع إلى الإذاعة أبداً.

بيد أن الهند كلها تفد إليه فى ألوف من الرسائل ومئات من الزوّار ، وهو يحدّد موعد كلّ زيارة ، وساعته رخيصة مطلية بالنيكل ، تتدلى من حبل يشدّ به إزاره المصنوع من قطن نسج فى الهند . وهو دقيق كل الدقة في المحافظة على مواعيده وترى أظافر أصابع يديه وقدميه مطرّفة أحسن تطريف ، وثوبه وهندامه غاية فى النظافة والنقاء. وهو يستمتع بكل مايصنع ، ولا سيما الحديث والمشى والأكل والنوم .

وقد جريت على أن أمشى معهُ فى الساعة الخامسة والنصف كلّ صباح . وقد كان المطر ينهمر فى بعض الأيام، فقلت: «لا أظنك تنوى أن تمشى فى المطر ؟ » فردّ : « بل سأمشى تعال معى، ولا تفعل كما يفعل الشيخ الهرم» .

وقد سافرت معهُ فى القطار من بونا إلى بومباى، وهى مسافة تستغرق ثلاث ساعات ونصف ساعة ، وكان معه حاشية مؤلفة من عشرة من كاتمى الأسرار، وطائفة من مريديه وطبيبه الخاص، فجلسوا فى مركبة خاصة فى الدرجة الثالثة ، زوّدت بمقاعد من خشب . وكان المطر ينهمر مدراراً ، وبدأ الماء يقطر من سقف العربة ، أما غاندى فكتب خلال الرحلة مقالا لصحيفة هاريجان،

ثم تحدّث مع الزعماء السياسيين الذين ركبوا القطار ليقابلوهُ ويحادثوهُ . وكانت الجماهير محتشدة برغم المطر المنهمر فى كل محطة وتف فيها القطار . وقد رأيت فى إحدى هذه المحطات جماعة من الفتيان قد بللهم المطر يصيحون : « غانديجى ! غانديجى ! » (جى تلحق بالاسم دلالة على الإجلال والتوقير) .

وهو يقضى يومه على حصير مفروش على أرض غرفته وينام نهاراً حيث هو . ويأكل الغضّ والمطبوخ من الخضر والثمر والرُّطب ، والكعك المطبوخ باللبن ، وبعض فطائر رقيقة ولا يأكل البيض ولا اللحم ولا السمك ، ولا يشرب قهوة ولا شاياً ولا خمراً .

ويقول طبيبهُ إن صحته ليست اليوم كما كانت منذ سنة مضت ، ومرجع ذلك على الأرجح إلى ثلاثة أشهر مضنية قضاها فى مفاوضة بعثة الوزارة البريطانية فى وقدة الحرّ القاتل فى مدينة دلهى الجديدة . وقد كان غاندى مدار البحث فى جميع الاجتماعات ، فالوزراء البريطانيون كانوا يتشاورون مع نهرو وپاتل وآزاد ، وكانت اللجنة التنفيذية لحزب المؤتمر تجتمع وتتداول ، ولكن القرار الأخير كان يصاغ إما فى ذهن غاندى ، وإما فى أحاديثه وهو جالس على أرض كوخه فى حىّ الكناسين .

وهذا الحىُّ القذر تسكنه جماعة المنبوذين ، وغاندى يريد أن يكفّ الهندوك عن إساءة معاملة المنبوذين ، وقد بدأ الهندوك يتخذون من المنبوذين حشماً وطهاة . وقد فرض غاندى على الهيا كل الهندية ، التى مافتئت منذ قرون موصدة فى وجه المنبوذين ، أن تفتح أبوابها لهم . وغاندى من سلالة الهندوك ، ولكنه يعدُّ نفسه والمنبوذين سواء ، حتى يحذو حذوهُ سائر الهنود .

ومعظم الهنود يطأطئون رؤوسهم حين يقابلون غاندى ، وتراه يربّت بيده على ظهورهم ويأمرهم أن يكفوا ، ثم يتربعون على الأرض أمامهُ ، فيبدأ الحديث . ولكل من فى الدار أن يدخل ويستمع ، وكثيراً مادنوت من مدخل غرفته (وهو بغير باب) فرأيت عشرة أزواج من الأخفاف والأحذية عند العتبة ، فكنت أخلع نعلىّ وأنضم إلى الجمع على حصير من القش . بيد أن الحديث يدور فى الغالب بين غاندى والرجل الذى عين له موعد المقابلة .

ويقصده رؤساء وزارات الولايات الهندية من أعضاء حزب المؤتمر ليطلبوا نصحه وإرشاده ويقصده رجال التعليم ليمتحنوا آراءهم فى التربية بعرضها عليه ومناقشته فيها . وكلُّ صاحب مشروع جديد يسعى إلى الظفر بموافقة غاندى عليه ، وغير قليل من الذين يقصدونه أفراد يطلبون معونته فى حل مشكلاتهم الخاصة . وقد اتفق يوم كنت هناك ، أن جاء رجل وزوجته من المنبوذين ، فقد شقيا فى زواجهما

فأتياه وجعلا يقصان عليه خبر متاعبهما . فقضى ساعات معهما . أما الفلاحون والعمال فيذهبون إليه لكي يعينهم على تحقيق مايطلبونه من وجوه الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى.

وقد راعنى ماتبينتهُ فيه من قدرة و نشاط ، فهو لا يأوى إلى فراشه قبل العاشرة مساءً. وقد اتفق لى أحياناً أن مررتُ به وهو مستلق وقد تأهب للنوم، فكان يناديني ويقول لى إنَّ المزيد من الابتهال إلى الله كفيل بأن يجعل نومى أهنأ وأتمَّ. وكان يتعذَّر علىَّ أن أستيقظ فى الفجر للاشتراك فى صلاة الصباح ، وقد تغيبت أحياناً عن اجتماع الصلاة فى المساء الذى كان يضمُّ مئات أو ألوفاً من سكان المدينة .

ولباب دين غاندى هو الإيمان بالله ، ثم بنفسه على أنه مسيَّر بأمر الله ، وبأن الامتناع عن العنف هو سبيل الله إلى الحياة الآخرة ، وإلى السلام والسعادة فى الأرض .

وقد سألتهُ لِمَ لا يدعو إلى الامتناع عن العنف فى الغرب ؟ فقال : « كيف يسعنى ذلك ، وأنا لم أظفر بإقناع الهند بعد . أنا رصاصة قد بلغت آخر مرماها »

وهو يعلم أن فى طباع الشباب من أبناء وطنه عنفاً وعجلة . ولو أبى البريطانيون أن يطرحوا أعنة السلطان من أيديهم مسالمين، لشبت نار آكلة فى الهند ، ولحصدت كلَّ بقية باقية من سيطرة الأجانب .

وقف غاندى حياتهُ على استقلال وطنه ، بيد أنه لا يريد أن يحقق ذلك الهدف بالعنف. وهذا سبب خلافه اليوم مع الجناح الاشتراكى من حزب المؤتمر . ففى أيام العصيان المدنى الذى دعا إليه غاندى فى سنة ١٩٤٢ ، عمد الاشتراكيون إلى التخريب ، ونظموا جماعة للمقاومة الخفية ، وتوسلوا بالقوة لعرقلة أعمال الحكام، فجميع هذه الوسائل تحرمها شريعة الامتناع عن العنف التى أخذ بها غاندى.

وغاندى ينوى أن يتوسل بكل وسيلة دستورية للظفر بالاستقلال، أما الاشتراكيون فلا يتئنون عن العنف فى مجالدة البريطانيين .

قال غاندى : « الاستقلال معناه إزالة السيطرة البريطانية والتحرُّر التام من الرأسماليين البريطانيين والهنود. ومعناه أيضاً التحرُّر من قوات الدفاع المسلحة. فالأمة التى يحكمها الجيش لن تكون أمة حرة » .

ومعظم أتباع غاندى يسايرونه فى الغرضين الأولين ، ولكنهم يتنكرون للثالث .

وقد أحسست فى زيارتى الأخيرة أنه أدنى إلى الكآبة مما كان يوم زرته فى سنة ١٩٤٢ فهو يخشى أن يؤخذ استقلال الهند قوة واقتداراً لأنه يخشى أن تصير القوة التى تأخذ الاستقلال هى القوة التى تستعمل للقضاء على حرية الهنود.

وقد كان غاندى مناهضاً لليابانيين وللنازيين، ولكنه كان أيضاً مناهضاً للحرب،

لأنه يظنّ أنّ الدول الظافرة عاجزة عن أن تقيم السلام إلا على أركان القوة المسلحة . وهو يرى الدكتاتورية خطراً يهدّد العالم ، ويعدّ نفسهُ على نقيض ستالين ، فهو يقدّس الوسيلة ، أما الشيوعيون فيذهبون إلى أن الهدف يسوغ أية وسيلة تفضى إليه .

والديمقراطية قائمة على احترام الوسيلة . وغاندى هو الديمقراطى الحق ، فهو يرضى بالانصراف عن غرضه إذا كانت الوسيلة إليه مدنسة .

وأنت ترى الدنيا كلها فى مرآة الهند يوم تجلس إلى غاندى تحدثه. وهو يرى أن التحدث مع السير ستافورد كريبس ، والحديث عن زراعة الفول السودانى يرميان إلى غرض واحد : خير ٤٠٠ مليون من الهنود . وقد أفنى غاندى نفسه فى هذا الحشد من الناس . وهذا هو السرّ فى أن غاندى أحبّ الناس جميعاً إلى الهنود ، وأعلى الناس كلمة ورأياً عندهم . فالهنود يعبدون رباً واحداً ، ولكنهم يعبدون أيضاً ارباباً كثراً وأصناما ، وقد رفعوا لغاندى أصناما تعبد فى بعض هياكل الهنود .

لقد بلغ الجوع والرثاثة والشقاء من بعض امم الشرق كلّ مبلغ ، حتى لتراها تفكر ببطنها وترى بعريها وتشعر ببؤسها . وهذه مئات الملايين تقف متهيبة أمام أهل القوة . ولكنها لاتهب قلبها إلا للذين فطموا النفس عن المآرب الخاصة ، ووقفوها على الخير العام . وغاندى هو الرمز الحىّ لهذا الفطام وهذا الوقف طول الحياة . وبين الهنود كثيرون يخالفونه : فكثيرون منهم من يأبى أن يأخذ بآرائه الطريفة فى العفة والمسالمة التامة والعلاج الطبيعى ، ولكنهم جميعاً يوقرون حكمته وغيرته الشديدة على الحق . فإذا ما ناقض نفسهُ بنفسه ، قال الغربى ، إن غاندى رجل متهافت الرأى ، أما الشرقى فيقول إن غاندى قد صدق نفسه.

والبريطانيون يدركون ما لغاندى من سلطان عظيم على الشعب الهندى ، فكان همهم الأول أن يستميلوهُ حتى يرضى عن خططهم ، أما غاندى نفسهُ فينكر أن له سلطاناً واسعاً ويقول: «ما أنا إلا عبدُ لله» .

والرجل الذى يبلغ سبعاً وسبعين سنة من العمر ، هو شيخ معمّر فى بلد يدلّ الإحصاء الرسمىّ على ان معدّل العمر فيه لايزيد على سبع وعشرين . ويرى أعوان غاندى المقربون أن صحته القوية ونشاطهُ العظيم يرجعان إلى الانتظام فى عاداته ، والاهتمام الدائب ببدنه ، ورغبته القوية فى أن يحيى وأن يسدى الخير إلى الناس .

وقد قال لى رجل مالىّ من أهل بومباى: « إن أبواب السماء مفتحة لمقدم غاندى » ــ أما غاندى فيريدها أن تنتظر ، فهو يجاهد حتى يجعل هذه الأرض أدنى قليلا إلى السماء .

إذا شئت أن تضاعف ثقتك بالحياة فتأمل

حكمة الجسد

الدكتور رتشرد كابوت و رسل دكس

مختصرة من

كتاب "فن رعاية المريض"

رجل كهل نضر المحيّا موردّ الخدين من الرصيف إلى الطريق دون أن يتلفت، فصدمته سيّارة، ونقل إلى المستشفى فقضى نحبهُ في بحر ساعة فلما سئلت أرملتهُ قالت إنهُ لم يمرض في حياته قط، وإنه كان وافر النشاط في عقله وبدنه على السواء. ومع ذلك انجلى فحص الجثة عن (١) تدرُّن مندمل في الرئتين (٢) تليُّف في الكبد، فشقّ الدم لنفسه سبلا جديدة فوق الكبد وتحتها. (٣) علة مزمنة في الكليتين، ولكن ظلّ فيهما قدر من النسيج السليم يكفي لقيامهما بعملهما، برغم ما لف منهما. (٤) تصلب في الشرايين وتضخم في القلب. وما من شك في أن الرجل كان مصاباً بارتفاع ضغط الدم منذ عهد طويل، بيد أنه لم يفطن لشيء من هذا، فقد كان رجلا معافى، وفي جوفه أربع علل كلٌّ منها كفيل بأن يورد صاحبهُ موارد الهلاك.

إذا أتلفت العاصفة دفة السفينة، فكثيراً ما تستبدل بها دفة أخرى تصنع لساعتها حتى تحلّ محلها. وقد كان جسم هذا الرجل عامراً بهذه الأبدال، فأصيبت أربعة من أعضائه التي لاغنى عنها، فاستحدث الجسم ما يعينها على تأدية عملها، بيد أن الرجل ظلّ حيًّا معافى.

قال الدكتور والتر كانن العالم الفسيولوجي: «لو أنك عرفت كثيراً من أسرار الجسم البشري العجيب، لعجبت كيف يمرض أحد من النـاس». وكل طبيب يعرف أنه لو أتيحت الراحة والطعام الملائم وسكينة النفس لمرضاه، لعوفي ٩٠ في المئة منهم أو أكثر دون علاج. وكما أن السفينة تعتدل بعد أن تميل بها الريح، فكذلك الجسم يصلح بذاته ما تفسدهُ منهُ رياح الحياة في زمن الصحة، وعواصف المرض وهو مريض.

ولأعضاء الجسم قوة مدخرة تستمد منها عند الحاجة، فإذا ما مرض امرؤٌ بالسلّ أتلف المرض بضعة من الرئة المصابة، بيد أنه يجد في جسمه من نسيج الرئة أكثر كثيراً من حاجته، فيستطيع أن يعتمد على هذا الرصيد المدخر ويمضي قدُماً في حياته، كما فعل الدكتور ترودو العظيم، فقد أقام

٤٠ عاماً دائباً على العمل الناصب وليس له سوى جزء من رئة واحدة ظلّ سليماً .

لقد دلت التجارب على أن من الممكن استئصال خمسى الكبد ، فإذا الثلاثة الباقية كفيلة بأداء عملها . وحين نرى جراحاً يقطع ويربط نحو ثلاثين وعاء من أوعية الدم فى جراحة يجريها نعمى أن نسأل: أين يذهب الدم الذى كان ينبغى أن يجرى فيها ؟ والجواب أن فى الجسم من الأوعية أكثر مما يحتاج إليه ، وفى أحشاء كلّ منا ما طوله سبعة أمتار ونصف متر من الأمعاء ، وقد نفقد متراً منها فلا يؤذينا ولا نكاد نحسّ بفقده .

وقد يكون مرض القلب من آفة تصيب صماماً فيه فتشوّه شكله ، فيكون مثله كمثل باب حجرة مثبت لا ينفتح تماماً ولا يوصد تماماً . وما كانت الحياة لتستقيم على مثل هذه الآفة لولا أنها تحلّ بالصمام رويداً رويداً ، فيستطيع القلب أن يزيد سمك جدرانه شيئاً فشيئاً ، فتقوى عضلاته على دفع الأذى . وكذلك يكبر حجمه، وهو فى العادة كمثل قبضة اليد ، فيصير ضعفها أو أربعة أضعافها ، لأنه حتم عليه أن يفعل .

وكيف يجرؤ جرّاح على استئصال كلية مريضة؟ لأنه إذا استأصلها أخذ حجم الأخرى يزداد حتى تصبح ضعف ما كانت ، فتعمل عمل الكليتين . وهى تعيد بناء جميع أجزاء الكلية ، وهو أشد تعقيداً وأكثر تبايناً من هندسة أى بناء مشيد . وهذه القدرة العبقرية هى ما يسمى : « حكمة الجسد » .

وثمة حصن آخر يدفع الأذى عن الجسم هو الراحة . فإذا التوى معصمك بادرت الطبيعة إلى تثبيته قبل أن تدعو الطبيب، فتجعله مؤلماً متصلباً يعييك أن تحرّكه ، وإذا برّح إعياء الجسم أو العاطفة بامرئ قالت الطبيعة : « خذ قسطاً من الراحة » . فيغشى عليه .

وإذا جرحت إصبعك شظية خشب ملوثة تقيّح الجرح ، وهذا شيء من أروع ما يحدث فى الجسم البشرى . ترى ما هذا الشيء المسمى قيحاً ؟ إنه جثث الكريّات البيض التى احتشدت لمكافحة المكروبات فاستشهدت فى النضال . وهى تنشىء بجثثها سوراً يذود المكروبات الباغية عن الدم فيمضى فى دورته . وكلّ التهاب فى الزائدة الدودية قمين أن يهلك صاحبه ، لولا السور الذى تقيمه الطبيعة حول الزائدة ، فيحصر الالتهاب حتى يحسمه مبضع الجرّاح .

لقد أودع الله فى أجسادنا قدرة عظيمة شافية تعين على الصحة، وفطنة لا تنام لها عين ، والأطباء يحاولون أن يقلدوها ويعينوها على عملها بالمبضع تارة وبالدواء أخرى . وهذه القدرة البارعة الجبّارة لا نفتأ تشدّ من أزرنا فى كفاح العلل والأمراض .

أخلاق العظماء

تشانج پولوك

مختصرة من مجلة "ذى روتيريان"

طريف ما أعرف من الحكايات ، حكاية مجند حديث عهد كان يكنس طريقاً فى إحدى الثكنات ، فمر به رجل فى بزة عسكرية ، فناداه المجند : « أيها الزميل ، أشعل لنا هذه اللفافة . هل تتكرم ؟ » ، ففعل وشكره .

فلما مضى وأبعد ، أقبل جندىّ آخر جاحظ العينين من الدهشة وقال له : « قاتلك الله ، هل تعرف من هو ؟ إنه الجنرال برشنج ! »

فبهت المجند وجرى ليلحق الجنرال وقال معتذراً : « آسف ياسيدى ، فلم يمض علىّ فى الجيش سوى بضع ساعات . والبزة العسكرية فى عينى سواء كلها . فأرجوك ياسيدى .... » .

فابتسم برشنج وربت على كتف الرجل وقال : « لا بأس عليك يابنى » ، ثم سكت وبرقت عيناه ثم قال : « ولكن اسمع نصيحتى يابنىّ ، ولا ترتكب هذه الغلطة مع أحد من الضباط الملازمين » .

وقد أعجبتنى هذه القصة لأنى حين أعود بالذاكرة إلى أيامى المواضى أجد أن أكثر ما لقيته من المتاعب إنما جاءنى من أشباه الضباط الملازمين . وقد قال الشاعر تنيسن إن ديوك أف ولنجتون كان « متصفاً بما لا يتصف به سوى عظماء الرجال ، فهو غاية فى الوداعة والبساطة » . وقد عرفت عدداً وافراً من العظماء وأشباه العظماء ، فكانت وداعتهم وبساطتهم جميعاً بلا استثناء على قدر نصيبهم من العظمة . أما صغار الناس فهم على النقيض ، كانت غيرتهم على منزلتهم ، وتيههم وغطرستهم على قدر نصيبهم من القلة والصغّار .

فمن ذلك أنى أنا وامرأتى وجدنا منذ زمن طويل أنه إذا فسدت بعض الصلات فى محيط العمل ، فخير طريق إلى رأب صدعها هو أن نتصل رأساً بمدير الشركة . ومنذ أعوام حدث بيننا وبين أحد وكلاء شركة جنرال إلكتريك بعض سوء التفاهم ، ولم يجد معه طول اعتراضنا واستنكارنا ، فكتبنا إلى إدارة الشركة فى نيويورك . فلما لم يصلنا ردّ ، عدنا فكتبنا ثانية إلى رئيس هذا الفرع فى كليفلاند ، فلم يتم شىء . وأخيراً كتبت مذكرة إلى أوين ينج ، وهو مدير الشركة وأحد أفذاذ الرجال فى أمريكا ، وفعلت ذلك تسلية وتجربة لا غضباً واستياء . فجاءنى

الرد فى صباح اليوم الثانى ، وكانت رسالته أرق رسالة تلقيتها فى حياتى ، ولم تلبث الرسائل أن تتابعت علىّ من مرءوسيه الذين طال صمتهم عن جوابى ، ولم نلبث أيضاً حتى زالت كل أسباب شكوانا .

وقد عرف أحدهم الكرامة أو عزة النفس فقال : « هى حالة تعترى الجسد لكى تخفى عيوب النفس » . وهذا التعريف بلا ريب ، لا يشمل العزة التى تنبع من أغوار النفس ، ولكن الناس ينتحلون عزة النفس ليخفوا وراءها شيئاً ما . فذات يوم كنت فى المسرح لتجربة إحدى رواياتى ، فجاء أحد خدم المسرح وكنت أعرفه منذ زمن طويل ونادانى باسمى « تشانتج » . فقال لى أحد أصحابنا الذين يعملون معنا : « لست أدرى كيف تبيح لهؤلاء « الخدم » و « السعاة » أن ينادوك باسمك الأول ! » فقلت له : « ولا أنا أدرى شيئاً ، سوى أنى أعرف عملى الذى أعمله » . فليس ينأى بجانبه عمن هم أصغر منه إلا الرجل الذى يخشى أن تنكشف سوءاته .

ولا يشك أحد فى أن التواضع لا يناقض الثقة بالنفس ، ولا يناقض معرفة المرء بقدرته ولا إدراكه لقيمة أعماله . وانهماك المرء فى حب عمله ليس يعنى ضرورة انهماك المرء فى حب نفسه . ولقد كنت فى ميعة شبابى أتولى الدعاية للممثلة ليليان رسل ، فسمعتها مرة تثنى على ما آتاها الله من جمال ، ولعل كلامها أزعجنى حتى بدا ذلك فى وجهى ؛ فإنها دارت إلىّ منصرفة عن مرآتها ، وابتسمت لى وقالت : « تقول فى نفسك هذا عُجْبٌ وخُيلاء ، ولكنك مخطىء . فقد مضت سنوات طوال والصحف تنشر صورى وتتحدث عن جمالى فى كل مكان ، فمن المحال أن أكون جاهلة بأن الله قد آتانىّ نصيباً من الجمال أكبر من نصيب سائر النساء الحسان . فالعجب والخيلاء أن أدعى أو أتظاهر بأنى لست أدرك حقيقة ما آتانى الله » .

وكانت هذه المرأة التى لم أر لها مثيلا فى رقتها ووداعتها ، على حق فيما قالت . فقد تلقت بالتسليم ما عرف الناس من جمالها ، وقدرته حقّ قدره ، ولم تزد على ذلك شيئاً . فالعُجْب قرين الرياء والتصنع . والملكة ملكة وإن لم تلبس فاخر الثياب ونفيس الحلى . ولما أخرج الكاتب المسرحى كلايد فتش إحدى رواياته على المسرح ، اتفقت كلمة النقاد على أن الرواية تنقصها مسحة « الإمارة والأمراء » . فقال لى فتش وهو يشكو ما لقى منهم : « كيف عرفوا ذلك ؟ لقد صحبت أنا عشرات من الأمراء ، فاسمع ما أقول لك : الأمراء كسائر الناس فى حركاتهم وشمائلهم ، وصغار الناس هم الذين يحاولون محاكاة

الأمراء فى شمائل يتوهمونهــا لهم » .

وكنت مرة فى سفرة إلى أوربة ، فلقيت صاحب متجر أمريكى كبير ، فانصرف عنى ساعة علم أن لى صديقاً مسافراً فى الدرجة الثانية . وفى هذا الأسبوع نفسه لقيت فى باريس البارون هنرى دى روتشيلد ، وكان يعمل فى إخراج رواية لى ، وكان هنرى من أغنى أغنياء العالم ، وكان له قصر فخم يعيش فيه فى إحدى ضواحى باريس ، وكان من أصحابه أغنى أهل أوربة ، ولـكنه كان رجلا من الناس على كثرة أمواله . فكان يزورنى فى فندقى الزرى ، ولما زار أمريكا نزل فى دارى المتواضعة وهو سعيد مرتاح النفس .

ولقد كانت نصيحــة كبلنج « صاحب الملوك ، ولـكن لا تتخلّ عن أخلاق الشعب » ، وهى نصيحة غاليــة ينبغى أن يحرص عليها كل إنسان . وقد حضرت مرة حفلة جمعت كتاب المسرحيات فى لندن ، فتناقشت أنا وجارى فى رواية شهدناها جميعاً ، ولم تكن قد أعجبتنى ، وكذلك هو ، ولـكنه لم يقل لى لماذا لم تعجبه . ورأيت كأنه كان مسروراً بأن يسمع منى رأيى فيها ، وما كان منه إلا أن يقول : « نعم بلا ريب ، لقد أصبت » أو « لم يخطر ذلك لى على بال » ثم ســألنى : « ألا تظن أن مؤلف المسرحية محقٌّ حين فعل كذا وكذا ؟ » وبدا عليه كأنه مشتاق إلى أن يسمع جوابى . ولم أعرف من الذى كنت أحدثه حتى انفض السامر كله ، وإذا الذى كنت أحــدثه هو آرثر ونج بينرو ، من أشهر كتاب المسرحيات الإنجليزية فى عصره .

ولقد آثرنى الله وأكرمنى بصداقة جرّاح من أعظم الجراحين هو رُس مكفرسن ، فلم يجر على لسانه قط ذكر عمل من أعماله الباهرة . ولقد أخذتنى الدهشة يوماً بعد موته حين حدثنى طبيب مشهور فقال : « كان رُس أقدر طبيب فى أمراض النساء فى أمريكا — إن لم يكن فى العالم كله » . وقد خرجت معه يوماً إلى عيادة كان قد قصدها ليجرى فيها جراحة ، وذلك أن امرأة بلعت إبرة فاستقرت فى مكان دقيق خطر . فرأيت رُس يعرض على الطلبــة صورة الأشعة ، ويبين لهم دقة المكان وعظم الخطر ، وذكر لهم ما ينبغى لتجنب الخطأ ، ثم شق اللحم بمبضعه وهو يقول : « الآن نصل إلى المكان المقصود ، وننزع الإبرة » ثم رفع يده وإذا الإبرة بين أصابعه ، فعجّ المكان بالتصفيق .

فلما خرجنا قلت له : « ألم يكن ذلك عجباً من العجب يارس ؟ »

فضحك وقال : « تسعة أعشار ما رأيت مصادفة وحظ . وأكره أن أقول لك أن

العجب أخذ مني كل مأخذ ساعة رأيت أني انتزعت تلك الإبرة الملعونة » . ولو كان الذي فعل ذلك طبيباً أقل منه ، لكان خليقاً أن يعجب به ، ولكنه يأنف أن يذكر أنه تعجب لما كان منه .

وثمة قوة أخرى لها أثر ، وذلك أن أصحاب المكانة في الناس لا يستطيعون أن يقترفوا شيئاً خسيساً أو معيباً ، فالممثلون الذائعو الصيت الذين عملت معهم كانوا جميعاً بلا استثناء غاية في الوداعة وكرم الصُّحبة . وكانت هناك ممثلة لا يكاد يعرفها أحد ، فعلقت ورقة تنهى كل من يعمل معها من زملائها أن يكلمها حتى تكون هي التي تكلمه أولا . وكانت هناك راقصة من راقصات الملاهي خرجت غاضبة من المسرح وتركته لأن حجرة ملابسها كانت زوية حقيرة .

ولكن انظرْ إلى الممثلة العبقرية « سارة برنار » فقد دخلت أعتذر إليها عن ضيق الغرفة التي كانت لها في إحدى دور الأوبرا الصغيرة ، فضحكت وقالت لي : « وَيْحك ، أتظن أني لم أمثل قط في مكان أحقر من هذا المكان ؟» . فالترفع عن الناس وعما يجري في الحياة ليس من العظمة ولا من شرف النفس .

والصغار التيّاهون على الناس لا يخدعون أحداً سوى أنفسهم ، فالوداعة ورقة الحاشية هما قوام العظمة . فمنذ قديم الزمن إلى يوم الناس هذا ترى جميع العظماء الذين تركوا أكبر الأثر في حياة الناس ، كانوا خلواً من الادّعاء والزهو ، وكانوا أهل بساطة ووداعة وصراحة .

يندر أن تجد بين الرجال من أفضى إلى زوجته بنبأ عمل جديد عهد به إليه ، كما أفضى به فلاح أمريكي قال :

« صدقيني يا عزيزتي إذا أقسمت لك بأغلظ الأيمان ، أنني لم أسع إلى هذا التعيين ، بل إنني بذلت كلّ وسعي حتى أتجنبه ، وما كان سبب ذلك أنني لا أحب أن أبتعد عنك وحسب ، بل لأنني أشعر أنه أمانة عظيمة لا أطيق أن أحملها ، وأنني أجد معك من السعادة في شهر واحد أكثر مما أجدهُ مبتعداً عنك ، ولو كانت إقامتي سبعة أضعاف سبع سنوات » .

فهذا ما قاله جورج وشنطن لزوجته يوم أراد أن يطلعها على أنهُ عيّن قائداً عاماً للجيش الأمريكي الذي حارب الإنجليز وظفر بالاستقلال .

شيخوخة بهيجة

روبرت هيلير



لم أزل منذ أيام خاثر النفس مكتئباً ، وهذا شيء يعتاد المرء بعد أن ينجز عملا يعمله ، مهما بلغ من البساطة . فالرجل منّا يُضني نفسه لكي ينجز عملا يريده ، فإذا فعل ظل يعجب لنفسه : أكان هذا العمل يستحق كل هذا الجهد ؟ ومرجع ذلك فيما أظن إلى أثر الإجهاد الذي لقيه .

كنتُ قد فرغتُ من تأليف كتابٍ لي ، ومضى يومئذ على صدوره بضعة أسابيع ، وكان كل شيء يجري على خير وجْه — إلا فيما يخصُّني أنا ، فقد فترتْ عنه نفسي وقلّ احتفالي به .

ومن عادتي في أيام فتوري أني أخرج أتمشى فأطيل المشي محاولاً أن أطرح كل شيء يثقل نفسي ، بيد أني أخرج دائماً حاملا معي أعبائي وكآبتي حيثما سرتُ . وذات يوم مشرق رأيتني قد بلغت ربوةً تطلّ على مرفأٍ من أعظم المرافىء ، فكان في وسعي أن أمدّ عيني فأرى حوض السفن ، وأرى صواري السفن التي أوشكت أن تقلع كأنها ظِلال مرسومةٌ على صفحة الأفق . إلا أن الذي بي من الهم جعلني أضيق نفساً بكل هذا ، فأشحت عنه بوجهي وانطلقت إلى مكتبة لأشتري بعض الصحف . فلما قضيت حاجتي وخرجت ، رأيت رجلا شيخاً ضئيل البدن جالساً على كرسي خارج المكتبة.

كان متلفِّعاً متدثراً اتقاء لهبّات الرياح الباردة ، إلا أنه كان عاري اليدين محمرّ مفاصل الأصابع . فرفع بصره إليّ وحيّاني ، فرأيت في عينيه الزرقاوين رغبة تردّها الهيبة والحياء . فأدركت من أسلوب حديثه كأنه يسألني : أعندك متسع من الوقت تقضيه معي في الثرثرة ؟ مُتَّسع من الوقت ! عندي أوقات لا وقتاً واحداً .

فتجاذبنا أطراف الحديث ، ثم سألته : ألا يجد لذع البرد فى يديه بغير قفاز ؟

قال : « بلا ريب ولكن انظر » ثم أخرج كراسة وقاماً من تحت الشملة التى يغطى بها ركبتيه وقال : « إنى أقيد نُبَذاً من الكتابة بين الحين والحين ، فمن المتعب أن أظل اخلع قفازى وألبسه » .

فحملنى الفضول على النظر إلى الصفحة المكتوبة ، وكان الخط واضحاً جميلاً ، أما اللغة فكانت غريبة عنى .

فقال لى : « إنى أكتب باللغة البولندية ، لقد ولدت فى بولندة ، ولكنى رحلت عن وطنى فى صدر شبابى ، ثم تزوجت ، ثم بقيت سنوات طوالا أتنقل من مكان إلى مكان ما استطعت » .

فخيل إلىّ لجفأة أنى وقعت على كاتب عظيم مجهول ، فسألته : « وإذن فهذا الذى تكتبه هو قصة حياتك ؟ » .

فرفع وجهه إلىّ وابتسم : « كلا ، هذا — » ونقر على الكتاب بقلمه « هذا قصة اليوم الذى أنا فيه . فلست أحفل بالماضى كما أحفل بالمكان الذى أنزله ، وبالساعة التى أنا فيها » ثم رمى ببصره إلى ماوراء الربوة القائمة وقال : « اعلم أنى أوثر بحبى هذه اللحظة ، وهذا الضياء الغامر ، وهذا الحديث الذى بيننا ، وأقيدها كلها فى كتابى هذا . ثم لا أعود إلى قراءة ما أكتب مرة أخرى » .

فقلت متعجباً : « لا تعود إلى قراءته مرة أخرى ! » وملأنى الغرور بما أعرف من صناعة التأليف حتى ارتبتُ فى صحة ما يقول فقلت له : « وماذا تفعل به إذن ؟ أيقرؤه أهل أسرتك أو أصدقاؤك ؟ »

فهزّ رأسه وقال : « كلا ، إلا أن زوجتى تسترق النظر إليها حين تظن أنى غافل عنها » ثم ضحك وقال : « فأردت أن أداعبها مرّةً فكتبت فيما كتبت : (لقد أصبحت زوجتى بدينة مفرطة البدانة) ، وقد لهونا بهذا زمناً طويلا ، فقد تظاهرت هى بأنها لم تقرأ ما كتبت ، بيد أنها كانت مستاءة منى . فكان ذلك مسلاة ممتعة . وأخيراً أنبأتها بجلية الخبر ، وكثر مزاحنا فيه وتندّرنا به » .

كان كلما أكثر من تعريفى بمذكراته ، ازددت معرفة بأنى فى حضرة رجل قدجعل حياته ضرباً من الفن . كان عاجزاً عن الحركة والتنقل من جراء تصلب المفاصل الذى أصاب ساقيه ، ولكنه كان يستطيع أن يرى وأن يسمع وأن يحس . وكان يكتب هذه المذكرات لكى ينمى قدرته على دقة الملاحظة . فهو يرقب الورد مثلا ليعرف أين هو اليوم مما كان عليه بالأمس؟ وما الذى

اشترته السيدة كراوس مثلا فى هذا الصباح احتفالا بعودة ولدها ؟ فزوده تقييد هذه الملاحظات بحاسة دقيقة تدرك كنه الحوادث الطفيفة ، وأرهف قوى نفســه ، وأفعم اللحظة العابرة بالحياة . وقد عقب على ذلك بهــدوء فقال : « وهــذا التقييد أيضاً شهادة لى عند الله بأنى لم أغفل عن تدبر آياته فى خلقه » .

ولم يلبث أن جعل يسألنى عن نفسى ، فذكرت له اسمى فقيده فى كتابه ، ثم ذكرت له أنى من رجال القريض والقوافى . فقال لى وهو كالمدهوش : « أشاعر أنت ! » ثم جعل يصوّب نظره فىّ ويصعّـده من فرع رأسى إلى أخمص قدمى ، ثم قال : « الآن عرفت أنى أجلس بين يدى إنسان سعيد . فأنت الإنسان القادر على أن يميط اللثام عن سر كل جمال ، أما أمثالنا فلا يستمتعون إلا بما ظهر منه . فغاية جهدى أنا أن أعدّد أسماء الأشياء التى تبعث السرور فى النفس ، أما أنت فإنك تحوزها وتملكها » .

كيف يسعنى أن أعترف له بأنه هو — لا أنا — الذى يحيى حياة شاعر ؟ لقد أحسست الآن فى حضرته بالضعة والهوان ، ولكنه قد بوّأنى منزلة عارٌ علىّ أن أنزل نفسى منزلة أخسّ منها .

فبذلت أقصى ما وسعنى حتى أرهف كل ما تنطوى عليه نفسى من دقة الإحساس وحرارة التشــوق ، فجعلت أتحدث عن فلسفته فى الحياة كما فهمتها ، فأحسست كأنها تنفــذ إلى أعماق قلبى فتذيب ذلك الجمد المتراكم فيه منــذ سنوات خلت . وأنبأته بالحقائق التى كان على علم بها ، والتى أغفلتها أنا حتى نسيتها . فذكرت له كيف كان واجباً علينا أن نسترد قدرتنا على الفرح بالأشياء الصغيرة التى تعرضها لنا الحياة ، وأن نتجنب قلة المبالاة بما طال عهدنا به ، حتى تلك الأشياء المــألوفة المتكررة كمشرق الشمس وسجع الطير على الأغصان . وتكلمنا عن رغبة البشر الصادقة فى استتباب السلام ، وتحدثنا عن الأمل الذى خامر القلوب فى كل مكان ، وذلك أن البشر قد بدأوا يعودون إلى تقدير تلك المباهج الباقية التى تمتعنا بها الحياة الدنيا — تلك الأشــياء الصغيرة التى أنعم الله بها علينا ، والتى يمكن أن تحدث فى النفس المطمئنة رجّـة كرجة الماء الساجى فى بحيرة إذا رميت فيها بحجر .

وبقينا زمناً ونحن صامتان لا ننطق ، وكان هو لا يزال يقلب هذا المجاز فى فكره ثم قال أخيراً :

« نعم ، ينبغى أن تكون البحيرة هادئة كل الهدوء ، كما يكون البحر المحيط بعد سكون العاصفة . والنفس الإنسانية شبيهة

بهذا . وليس يملك إنزال السكينة عليها إلا الله وحده سبحانه وتعالى » ، ثم سكت وبدأ يقول غير متلعثم : « ومن العجيب أنني في هذا الصباح كتبت في مذكراتي ... » ثم أخذ يقلب بإصبعه بضع صفحات وبدأ يقرأ بصوت خفيض : « إنه أجمل صباح خلقه الله . لقد أصغيت إصغاء الحريص ، فسمعت نور الشمس ونُوّار الزهر يحدثني بحديث كالوَحْى ، وخيل إلى أنى أسمع مثل ذلك في ابتسامة السيدة كراوس وهي تنبئني بأن ابنها في طريقه عائداً إلى وطنه » .

ولقد رأيته يميل ليتكئ على كرسيه ويطوى كتابه المفتوح ، فأحببت أن يكون ذلك المنظر آخر عهدى به ، وذكرى باقية في نفسى . فلما هممت بتوديعه ، أقبل رجل كهل صبيح الوجه في بزة رجال الشرطة ، ومال على الشيخ وقبل جبينه ثم قال :

« رعاك الله ياأبتاه . أراك ظفرت بصديق جديد ! إن أبي خير من يعرف كيف يصطفى الأصدقاء » .

وأخذ الشيخ يعرف كلاً منا بصاحبه : « هذا ولدى فرانك . وهذا السيد شاعر يافرانك » .

فمد إلى فرانك يده وهو يقول : « يسرني أن أراك ياسيدى » ثم نظر إلى أبيه وقال : « لقد حان موعد رحيلك يا أبتاه » . ثم التفت إلى ثانية وقال : « لعلك تعلم أنى إذا أردت أن أظفر بشيء من مباهج الحياة فلن أجد ذلك في مركز الشرطة ، ولكني إذا جالست أبي فالدقائق كلها مباهج » . ثم انحنى وحمل الشيخ بين يديه وقال : « هيا بنا . مساء الخير ياسيدى . أرجو أن تتفضل بزيارة أبي مرة أخرى ، فهو يحب الرُّفْقة » .

فلما كنت في طريقي إلى البيت خيل إلى أن الجو يزخر بألوان من جلال مبهم يعجز الشعر عن بيانه ، وجعلت أعبّ من الهواء أنفاساً عميقة ، ولم أغفل وأنا في نشوة الحبور عن النظر إلى القمر البازغ عن يميني ، وبدأت أحس كأن الربيع ينبوع ينفجر بين جنبي . وعندئذ انقشع ذلك الضباب الكثيف الذى كان مطبقاً على نفسى في الأسابيع الماضية ، وصفا عقلى صفاء هذه السماء الساكنة عند الغروب . فقلت لنفسى : « لقد لقيت اليوم إنساناً كريماً — إنساناً عظيماً ينبغي لكل امرىء أن يعرفه » .

وأسرعت إلى البيت وأنا في هذه النشوة ، وأخرجت مذكراتى وقلمى ، وجلست أكتب لك هذه الكلمات التى قرأتها .

التعب فرصة سانحة منكّرة في ثياب العمل .

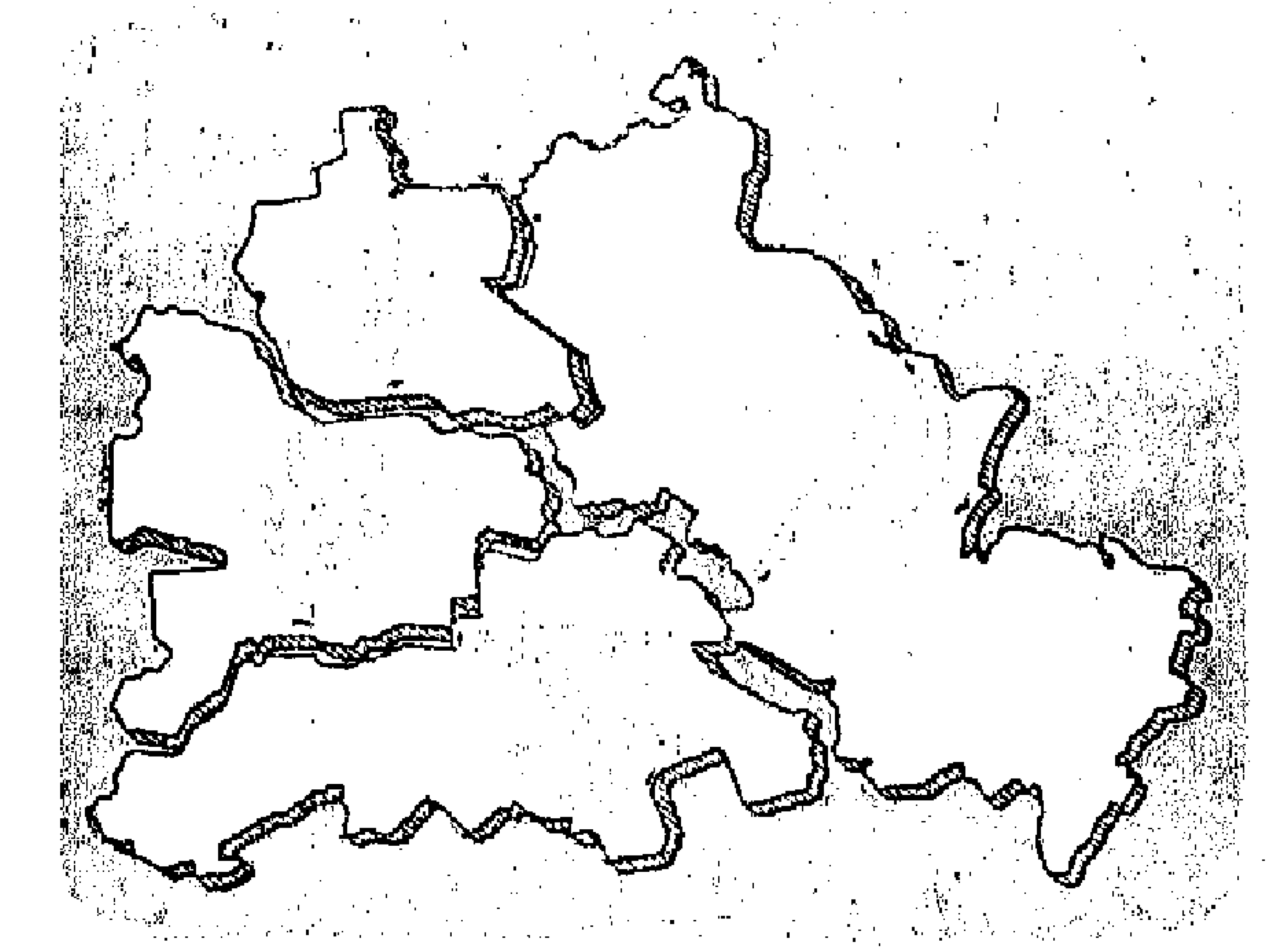
إن ما يقع فى العاصمة الألمانية فى الأشهر المقبلة ، خليق أن يكون بالغ الشأن فى مصير العالم .

فى جزيرة برلين

لويس فيشر

مختصرة من مجلة "الحديث الصريح"

مدينة برلين هى اليوم أشدُّ مدن العالم فتنة ، وقد تكون أهمَّها شأناً . فهذه عاصمة تضم ثلاثة ملايين من السكان ، وقد قسِّمت أربعة أقسام ، يحتلُّ كلَّ قسم منها جيش أمةٍ غير الأمم الثلاث الأخرى . هنا جزيرة يحيط الروس بها من كلِّ جهة ، وفى هذه الجزيرة مقر الحكومة الوحيدة القائمة فى ألمانيا — لجنة مؤلفة من أربعة مديرين ، يمثلون حكومات أمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا . فى برلين نستطيع أن



نتبيَّن : أفى وسع الغرب أن يتعاون مع الاتحاد السوفيتى فى سلام ووئام ؟

وأنت ترى الغرب يواجه الشرق فى مئة وخمس وعشرين لجنة أو أكثر ، تتولى تصريف شئون الحياة كلَّ يوم لشعب عدته ٦٥ مليوناً ، فتنظم شئون طعامه وماله ونقله وعماله وتجارته وتربيته ، وتعانى متاعب لا تحصى . ولنضرب لك مثلاً :

تدعى قيادة برلين إلى عقد اجتماع ، وأحد الموضوعات المطروحة للبحث هو موضوع لعبة « البيسبول » الأمريكية . ففى يوم الجمعة من كل أسبوع يتولى فريق من الجنود والضباط الأمريكيين تعليم الفتيان الألمان هذه اللعبة بعد الظهر . فإذا ما اجتمعت

منذ ربع قرن ولويس فيشر حريص على معرفة أحوال ألمانيا وروسيا . ففى سنة ١٩٢١ بدأ حياته الصحفية فى العاصمة الألمانية مكاتباً لجريدة إيفننج بوست التى تصدر فى نيويورك . وفى سنة ١٩٢٢ قام برحلته الأولى إلى روسيا ، ومنذ ذلك الحين حرص على دراسة أحوال الاتحاد السوفيتى والسياسة الأوربية ، فنشر كتباً ومقالات كثيرة فيها تحليل دقيق طريف للحياة فى روسيا وألمانيا وقد راجت ترجمة حياته التى كتبها بنفسه وهى « الرجال والسياسة » رواجاً عظيما فى سنة ١٩٤١ ، ونشر كتابه « التحدى العظيم » فى الخريف الماضى .

القيادة ترى الجنرال كوتيكوف يحتج ، ويصف اللعبة بأنها « نشاط شبيه بالعسكرى » ويزعم أنه يفضى إلى « تنظيم الكتائب » .

فيبتسم الضابطان الأمريكى والبريطانى ، ثم يدعو الأمريكى زميله الروسى إلى لعبة « البيسبول » التالية .

وقد لبىَّ الجنرال كوتيكوف الدعوة وشهد اللعبة ، ولكننى لا أدرى أقال إن اللعبة موجَّهة ضدَّ روسيا أم لم يقل . وتدل هذه الحادثة على سعة الهوَّة بين تفكير الروس وتفكير الغرب .

وإليك حادثة أخرى أخطر شأناً : فقد دخل الروس مراراً منطقة الأمريكيين للقبض على ألمان ، وذات مرة كان الألمان الذين يريدونهم من القضاة . فلما اجتمع مجلس القيادة أعلن الجنرال كلاى الأمريكى وكيل الحاكم العسكرى ، أنه لن يسمح بتكرار هذا العمل ، وأنه ينوى أن يمنع فى المستقبل كل اعتقال بالقوة ، فيضع الدبابات وينصب المدافع فى الشوارع إذا اقتضى الأمر . فكفَّ الروس ، ولكنهم حظروا دخول الصحف التى تصدر فى المناطق الأخرى الثلاث إلى منطقتهم . فلم يجد الاحتجاج ، فقرر الأمريكيون أن يحظروا دخول صحف المنطقة الروسية إلى منطقتهم ، ثم حذا البريطانيون حذوهم .

وقد سألت الموظفين الأمريكيين أن يذكروا ما عندهم من أمثلة على تساهل الروس فى نزاع ، فذكروا عدة أمثلة على ذلك فى شئون خاصة ببرلين ، ولكنهم عجزوا عن أن يذكروا مثلا واحداً يدل على تساهل الروس فى خلاف يتعلق بألمانيا كلها . وهذا مفهوم : ذلك بأن برلين ينبغى أن تدار شئونها كأنها وحدة متماسكة ، فإن لم يفعلوا قضى عليها . فأنابيب الماء ، وخطوط الكهرباء ، وسكك النَّفق ، لا يمكن أن تقطع عند حدود المناطق الأربع ، ففى وسعك أن تطوِّف فى جميع مناطق برلين بغير قيد سواء أراكباً كنت أم ماشياً . وعلى نقيض ذلك ترى المنطقة الروسية خارج حدود برلين قد سدَّت منافذها سدًّا محكما ، وإذا أراد البريطانيون أن ينقلوا المؤونة أو الناس من منطقة احتلالهم إلى برلين ، لم يجدوا بُدًّا من أن يسلكوا طريقاً ضيقاً طوله ١٩٠ ميلاً لقطع منطقة الاحتلال الروسية . أما الأمريكيون والفرنسيون فعليهم أن يسلكوا طريقاً أطول من طريق البريطانيين . وفى وسع الروس أن يوصدوا هذه الطرق متى شاءوا .

وأوثق الأقوال عمَّا يصنعهُ الروس فى ألمانيا ، وما يشعر به الألمان حيال ذلك ، يؤخذ من ألمان ينتقلون من منطقة

الاحتلال الروسية إلى برلين لقضاء أعمالٍ لهم ، أو من ألمان آخرين يهجرون المنطقة الروسية ليقيموا فى غيرها . وقد محصتُ كثيراً مما رووه .

وقد روى الدكتور كورت شوماخر خبر السناتور إيلرز من مدينة بريمن . وشوماخر زعيم من زعماء الديمقراطيين الاشتراكيين، وعسى أن يكون أقدر الساسة فى ألمانيا اليوم . وأما إيلرز فهو شيوعىٌّ صميم منذ سنة ١٩١٨ ، وقد انضمَّ منذ عهد قريب إلى الحزب الديمقراطى الاشتراكى ، وهو مناهضٌ للشيوعية . قال شوماخر : إن سيرة جنود الجيش الروسى حين استولوا على برلين زعزعت إيمان إيلرز بالشيوعية ، فقد جعل هؤلاء الجنود ينتهكون الأعراض وينهبون خبط عشواء . ومع ذلك لبث شيوعيًّا إلى أن أقيم معرض ليبزيج فى المنطقة الروسية منذ شهور مضت ، وقد عرض الروس فيه ضروباً لا تحصى من منتجات منطقتهم — وكانت كلها للإصدار إلى الاتحاد السوفيتى . فخلص إيلرز أخيراً إلى الرأى بأن البولشفيين يستغلون العمال الألمان لمنفعة روسيا .

وقد حدثنى فى برلين مهندسٌ ألمانى نابه الذكر يشغل منصباً كبيراً فى إدارة المنطقة الروسية ، فذكر لى ثلاث عشرة شركة كبيرة أنشأها الروس تستولى على ممتلكات الصناعات الألمانية ، وللروس فى كلّ شركة منها ٥١ فى المئة من الأسهم . وقال إن الروس يفككون آلات المصانع ويشحنونها إلى روسيا ، أو يشحنون منتجاتها . وهو يقدّر ما يرسل إلى روسيا بنحو ٧٠ فى المئة من منتجات الصناعة فى المنطقة الروسية .

وقد روى لى طلبة المدارس الثانوية أن صنائع السوفيت يدخلون عليهم فصولهم ليسجلوا بالاختزال مايقوله المعلمون والطلبة، ثم لا يلبث بعض هؤلاء المعلمين أن يختفوا .

وقد ارتبك الشيوعيون الألمان ارتباكاً شديداً من أجل الأساليب التى تتبعها الشرطة السرية الروسية ، وأعمال النهب والاستغلال الاقتصادى فى المنطقة الروسية

ففى شهر أغسطس سنة ١٩٤٦ روت صحيفة « التلغراف » التى تصدر فى برلين بترخيص من البريطانيين ، أن الشرطة الروسية خطفت عدداً من الفتيان تتفاوت أعمارهم بين ١٤ سنة و١٧ سنة ، فتوافد آباء الفتيان المعتقلين على محرّرى الصحف والمراسلين الأجانب وكبار أهل الدين فى مناطق برلين غير الروسية ، فكدسوا الأدلة على خطف فتيان قد يبلغ عددهم عدة آلاف .

وقد كان الشيوعيون الألمان يرجون حتى

أواسط سنة ١٩٤٦ أن يصيروا أقوى الأحزاب في ألمانيا كلها، فلما جرى الانتخاب في أكتوبر، صوّتت أغلبية ساحقة من سكان برلين ضد الشيوعيين، وانحازت إلى الديمقراطيين الاشتراكيين، وهم حزب اشتراكي .

وقد أغفل الروس وصنائعهم حقيقة واحدة، ذلك بأن البلاد الغربية لا تدرك حقيقة الروس إلا بالتنقيب عنها في بطون الكتب والمقالات والمحاضرات والتقارير المتضاربة المتناقضة، أما في شرق ألمانيا فالناس يرون حقيقة الروس سافرة، تذرع الشوارع في أحذية الجند، وتشترى ساعات المعاصم، وتحتك مناكبها بمنكبيك في قطرات النفق . وليس هذا مسلاة في نظر الألمان، فقد عاشوا اثنتى عشرة سنة في ظلّ الإرهاب النازى، فلا يسرّهم أن يستبدلوا الأحمر بالأسمر، فإن لم تصطلح آلام الجوع والأوبئة والبطالة على دفع الألمان إلى اليأس والتطرف، فالشيوعية في المناطق الغربية الثلاث سوف تظل قوة هينة لا يعبأ بها، أما في المنطقة الشرقية فلن تعيش إلا لأن الروس يظاهرونها ويؤيدونها .

وهذا تبدُّل سياسى حاسم في مصير أوربة، فألمانيا التي حاق بها التخريب والتدمير لا تزال عاملاً يحسب له حساب في أوربة، ومناهضتها للشيوعية سوف تؤثر في مستقبل القارّة .

فمن أجل ذلك خاصة ترى الروس يوالون السعى للظفر بتأييد الألمان، ففي شهر أغسطس ١٩٤٦ قرر مجلس رقابة الحلفاء بالإجماع أن يتساوى الرجال والنساء والفتيان في الأجور إذا تساووا فيما يؤدونه من عمل . وعين المجلس يوم البدء في تنفيذ هذا الإصلاح، بيد أن المارشال سوكولوفسكى القائد الروسى الأعلى في ألمانيا، سبق زملاءه — الأمريكى والبريطانى والفرنسى — إلى نشر هذا القرار بالمساواة . وراح الدعاة الروس يؤكدون مبلغ حب المارشال والحكومة السوفيتية للعمال، فليس مما يحسن في نظر الشيوعيين أن يظهروا أن الحكومات الرأسمالية تعنى بتحسين حال العمال الألمان . وثمة حوادث كثيرة من هذا القبيل، هي على التنافس بين الدول الأربع الكبيرة أدلّ منها على الوفاق .

وليس في برلين أحد يتصوّر أن العلاقات بين روسيا والغرب في ألمانيا، يمكن أن تبقى على حالها المضطربة الراهنة . فألمانيا تسير في طريق الانهيار المادىّ والأدبى، وسبب ذلك انقسام الدول الأربع، والحدود الفاصلة بين المناطق الأربع، والقيود المصطنعة التي تكبل الإنتاج الألمانى اللازم

لألمانيا ولسائر الأمم . وأسوأ من هذا كله أن الدول الأربع تظل عاجزة عن العمل إذا لم تتفق جميعاً — وهى فى الغالب لا تتفق . وقد كان الاتفاق يتمّ من قبل بموافقة الدول الغربية على مطالب الروس ، ولكن الدول الغربية قد سئمت الآن هذه الخطة .

والولايات المتحدة مشروع من شأنه أن يفضى إلى حسم الأمر . وفحوى هذا المشروع ، كما أطلعنى عليه أصحابه ، أن تلغىَ حدود المناطق فى ألمانيا إلغاءً تاماً ، وتحتفظ كل دولة من الدول الأربع الممثلة بمراكز لجنودها فى منطقتها الحاضرة ، دون أن يكون ذلك عائقاً يعوق حركة انتقـــال الناس والبضائع والصحف والآراء من ناحية إلى ناحيـــة ، وتقوم فى برلين إدارة مركزية سياسية واقتصادية تتولى أمر ألمانيا تحت هيمنة الدول الأربع الممثلة .

فإذا أبى الروس أن يوافقوا على هـــذا المشروع ، أفضى ذلك إلى قسمة ألمانيا بين الغرب والشرق ، وينتهى الأمر إلى ضم القسم الشرقى إلى الاتحاد السوفيتى — وإلى ازدياد الجفاء بين السلافيين والغرب ، على الأرجح ، فى جميع أرجاء الأرض .

ويعترض الروس على المشروع الأمريكى بأنه يكسب الحزب الاشتراكى أو الحزب الديمقراطى الاشتراكى المحظور إنشاؤه فى المنطقة الروسية ، صفة شرعية فى ألمانيا كلها ، فيفضى ذلك إلى قيام إدارة وطنيـــة ألمانية تتجـــه نحو الغرب بدلا من أن تتجه نحو موسكو . ويومئذ يمتد النفوذ الغربى إلى حدود بولندة ، وهـــذا خليق أن يشجع حركة المقاومة البولندية للسيطرة الروسية فتزداد قوة على قوتها . ثم إن توحيد ألمانيا ينزع من أيدى روسيا استئثارها باستغلال منطقتها استغلالا اقتصادياً ، فعندئذٍ لا تستطيع أن تستوفى التعويض مما تنتجه هذه المنطقة .

ولكنك تجـــد ردًّا قوياً على هذه الاعتراضات هو : إن مشاركة روسيا فى شئون ألمانيا المتحدة يتيح لها نصيب الربع من إدارة ألمانيا كلها ، وهذه تشمل الرور الذى يزيد إنتاجه الصناعى على إنتاج روسيا . فإذا أضفت إلى هذه المنفعة أن روسيا ستنال التعويض من ألمانيا المتحدة ، فذلك كفيل فى رأى أصحاب المشروع بأن يعوض روسيا ما تخسره من استئثارها بمنطقتها الشرقية ، أو ربما زاد عليه .

أما إذا أجاب الحلفاء طلب فرنسا وفصلوا الرور عن ألمانيا ، فيومئذ تتضاءل مصلحة روسيا فى توحيد ألمانيا ، وهذا خليق أن يفضى إلى إدماج المنطقة الروسية فى الاتحاد السوفيتى .

إن اتفـــاق الإنجلـــيز والأمريكيين

والفرنسيين من شأنه أن يواجه موسكو بضرورة الفصل في الأمر . وسير الحوادث العالمية قد أحدث أزمة في شئون روسيا الخارجية ، فقد سارت الأمور السياسية والدبلوماسية على هوى ستالين مدة سنة منذ اليوم الذي سلمت فيه ألمانيا ، أما اليوم فالحال غير الحال . والأحوال الجديدة تقتضي من حكام روسيا أن يتخذوا أخطر ما اتخذوهُ في حياتهم من قرار . أفتراهم يسلمون بتوحيد ألمانيا ؟ أم تراهم يخوضون مع الغرب معركة سياسية حامية ، فيتشبثون بما في أيديهم من ألمانيا وغيرها ، ويعلقون أملهم على أن تتمكن روسيا ، عاجلا أو آجلا ، من أن تستأنف سيرها إلى أمام ، نتيجة لحلول الكساد في أمريكا كما يؤملون ، أو لفتور في العلاقات الإنجليزية الأمريكية التي مافتىء الروس يتوقعونه منذ سنة ١٩١٩ ، أو لاشتداد ساعد الشيوعيين في اليونان وفرنسا وغيرها ؟

هذا هو المأزق الذي تعانيه موسكو . فتقلُّب سياسة روسيا الخارجية ، وترجُّحها بين الشدة واللين ، وتناوب البشر والعبوس على وجه مولوتوف ، أدلة بيّنة على أنه يشق على الروس أن يحزموا أمرهم ، ويفصلوا في النهج الذي ينهجونهُ : إمّا مع الغرب وإمّا ضده ؟

وقد وافقت حكومة السوفيت على توحيد ألمانيا الاقتصادي يوم وقعت اتفاق بوتسدام في شهر أغسطس ١٩٤٥ ، ثم أحبطت هذا التوحيد . فالمسألة الآن هي هذه : أيعد الروس مرة أخرى بتوحيد ألمانيا ؟ أيفون بوعدهم هذه المرة ؟ وماذا تراهم يريدون الدول الغربية أن تدفعه لهم ثمناً لوعد قد يفون به وقد لا يفون ؟

فإذا قرر ستالين أن يماشي الغرب ، كانت برلين أول من يشعر بأثر ذلك ، ووحِّدت ألمانيا وفقاً للمشروع الأمريكي . أما إذا جاء قرار ستالين مناهضاً للتعاون العالمي ، فستحسّ برلين بذلك أيضاً ، وتتمزّق يومئذ أوصال ألمانيا . ففي برلين ينبغي للبلاشفة أن يبينوا بأعمالهم : أيريدون التعاون أم التقاطع ؟

لا يزال الناس يتناقلون هذه النادرة المشهورة عن شارلي شابلن . فقد أرادت بلدة في كاليفورنيا أن تروّج لحفلة تقيمها ، فأعلنت أنها تمنح جائزة كبيرة لمن يفوق غيره في مباراة غرضها تقليد شارلي شابلن . فسمع شارلي بما كان ، فتنكر وحضر الحفلة ودخل المباراة ، فظفر بالجائزة الثانية .

« أمل جديد لبعض الأزواج الذين يشتهون الذرية ولا يوفقون »

عِلاجٌ للعقم

ف . د . راتكليف

مختصرة من مجلة "هايجيا"

ألوف من الأزواج على أن يكون **يتلهف** لهم ولد ، ولكنهم لايلدون ، وهم في العرف الطبي عقم . ولقد كان الرأى السائد إلى بضع سنوات خلت أن علاجهم عسير ، فترمى بهم الأوهام فى قبضة الدجالين والجهلاء . وقد جمعت شركات المستحضرات الطبية ملايين الجنيهات من بيع العقاقير المحضرة التى لاتغنى فى العقم شيئاً . وتجد الأزواج العقم الذين أتيحت لهم الرعاية الطبية الوافية قد ظلوا إلى سنة ١٩٢٠ لايوفق منهم إلى النسل أكثر من أسرة واحدة من كل عشر أسر . أما اليوم فكثير من البيوت التى حرمت نعمة الأولاد قد أشرق لها أمل مبشر بالخير ، فإن رجال البحث وأطباء الطليعة فى أمريكا استطاعوا أن يدكوا ما يحيط بحقائق التناسل البشرى من أسوار العقائد المتوارثة والجهل والحياء الزائف ، فكشفوا عن كثير من أسباب العقم ووسائل علاجه ، وقد لاقت عيادات العقم المنشأة فى أماكن كثيرة ، توفيقاً فى أكثر من نصف حالات العقم التى عولجت فيها .

فى كل شهر تخرج من مبيض المرأة البالغة السليمة بويضة واحدة فتجرى فى قناة فالوب (قناة تصل المبيض بالرحم) ، ويتم الحمل إذا ما اخترقت هذه البويضة ولقحتها نطفة من الذكر تعبر الرحم سابحة إلى القناة ، ومن ثم تهبط البويضة الملقحة إلى الرحم حيث ينمو الجنين .

وكل مايعوق تمام هذه الدورة أو يحول دونه يجوز أن يكون سبباً من أسباب العقم . وقد عرف من هذه الأسباب أكثر من ثلاثين ، وكان يكفى الطبيب قديماً أن يعثر على شذوذ ما ، فيعزو العقم إليه . وكان العلاج ، إن وجد علاج ، جراحياً فى العادة ، فإذا لم يتبعه الحمل قضى الأمر ، وإذا به ينجلى عن زوجين عاقرين ، أو عن بيت تهدمت أركانه .

أما اليوم فإن طبيب الأسرة أصبح لا يحجم عن ذكر العقم بصراحة ، فيقول إنه علة بشرية

لا ينبغي أن يستحي المرء منها أكثر مما يستحي من زائدة دودية ملتهبة أو رجل مكسورة، ثم يحيل مرضاه إلى عيادات يجتمع فيها الأطباء والكيميائيون والمتخصصون في الغدد الصم والمساعدون الفنيون، فيحشدون براعتهم لحل الإشكال.

إن القصص التي يرويها الأزواج الذين يترددون كل أسبوع على عيادة العقم في مستشفى الولادة بنيويورك، تتشابه تشابهاً عجيباً: زواج تمر عليه السنون ولا ولد، وقد ينتهي الأمر أولا باضطراب حياة الزوجين، وتبدأ الزوجة تعاني من قلق نفسي منشؤه أن تظن أن العيب فيها هي.

فيبين لها الطبيب الذي يفحصها أن العقم يكون في المرأة والرجل، وأن الزوج يجب أن يفحص أيضاً. وقد يعارض كثير من النساء، ويتشبثن بأن الزوج بريء من العيب.

لقد كان المألوف من قديم أن يرد العقم إلى المرأة، وظل هذا الرأي سائداً إلى سنة ١٩١٦ حيث تجمع للدكتور وليم كاري، أحد أطباء الطليعة في نيويورك، أدلة نسفت ذلك الرأي نسفاً، فقد ظهر من أبحاثه أن ثلث حالات العقم مرجعها إلى الرجل. ومنذ قام كاري بهذا البحث النفيس توالت عشرات الأبحاث تعززه. ففي سلسلة من حالات العقم تولاها العلماء بالبحث، فحص الرجال بعد أن أجريت لزوجاتهم جراحات خطيرة، فوجدوا ٤٥ في المئة منهم مصابين بعلة أو أكثر. وفي جماعة أخرى من مئة عاقر، وجد أن مرد ٧٨ منها إلى علل في كلا الزوجين، وظهر أن السبب في ثماني حالات يرجع إلى الأزواج وحدهم.

وقد يحكم الطبيب المتخصص فوزاً بوجود علة ما، كغدة ضامرة مثلا، تجعل التناسل محالا. وهذا الحكم القاسي يحسم الشك، فيلتمس كثير منهم أسباب السعادة بتبني الأطفال، ولكن الأغلب أن يكشف الأطباء عن أسباب عديدة تمنع الحمل، أكثرها يبرأ بالعلاج.

وأول خطوة في فحص الزوج هي فحص نطفته، فتحصى خلايا النطفة فيه تحت المجهر بطريقة عد خلايا الدم، فإذا كان مجموعها دون ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ في القذفة الواحدة فأغلب الظن أن يكون الحمل بعيد الاحتمال، لأن القذفة الواحدة من الرجل السوي تحتوي على خمسة أضعاف هذا العدد أو ستة أضعافه. فيصف الطبيب الراحة والرياضة علاجا لهذا النقص، وقد يضيف إليهما الحقن بالمادة النخامية المشتقة من الغدة النخامية التي تهيمن على التناسل. وكثيرا ما تكون العواقب باهرة بمثل هذا العلاج، فقد يرتفع عدد خلايا

النطفة فى بضعة أشهر من ستة ملايين أو ثمانية إلى ٣٠٠ مليون !

ولما كان حتما على الخلية من خلايا النطفة أن تقطع طريقها سباحــة ، فإن الخطوة الثانية هى تقــدير سرعتها ، وتسبح الخلية السليمة بسرعة سنتمترين ونصف فى ثلاث ساعات ، وفى إمكان العين المدربة أن تحكم على سرعة الخلية تحت المجهر ، وهل هى طبيعية أو دون الطبيعية .

ويوجه لفحص صفات الخلية اهتمام خاص ، وثمة تشابه بين صفات هذه الخلايا فى نطفة تحت الفحص وصفات أشتات البشر الذين يقطنون مدينة ما ، فلكل نصيبه من الخلايا الصغار التى لم تبلغ أشــدها ، ومن الخلايا الصحيحة القوية ، ومن الخلايا التى هرمت . وتدل كثرة الخلايا التى لم يتم نموها من نطفة الرجل على عجز فى قوة التلقيح .

وفى بعض الأحيان قد لا توجد فى النطفة خلايا الذكورة على الإطلاق ، وفى هــذه الحالات يستطيع الطبيب أن يحدس السبب حدســاً يقارب اليقين : فالحبــل المنوى مسدود . ولديه طرق بارعة للوثوق من حدسه ، إذ يقطع نُتْفَــةً من نسيج الخصية بعد تخديرها ويفحصها تحت المجهر .

فإن وجد به خلايا منوية حية ، فمن الجلى أن تكون القناة المنوية الخارجة من هــذه الخصية مسدودة ، وتكون الخطوة التالية جراحة لم تتقن أساليب إجرائها إلا منــذ خمس عشرة سنة ، فيصل الجراح الحبل المنوى بعضه ببعض حول السدة بخيط من الفضة .

وفى الوقت الذى يتم فيــه فحص الزوج وعلاجه ، تعنى طائفة أخرى من الأطبـاء المتخصصين بالزوجة . وأهم سبب للعقم فى المرأة هو انسداد قناتى فالوب اللتين تجريان بين المبيضين والرحم ، وهما قناتان دقيقتان كالشعر . وثمة اختبار فذّ اخترعه الدكتور ا . س روبين يسّر تشخيص هذا الانسداد أيما تيسير : ينفخ الطبيب غاز ثانى أكسيد الكربون المضغوط فى القناة ، فإذا هبط مقياس الضغط فجأة كان هذا دليلا على نفاذ الغاز إلى تجويف البطن وسلامة القناة ، وإذا ثبت الضغط عنــد مستواه الأول دل على انسداد القناة .

وقد تحقن فى القناة سوائل معتمة الظل ، إذا وقعت عليها الأشعة السينية ، ثم تؤخذ صورتها بالأشعة ، فيدل الظل فى الصورة على موضع السد فى القناة . ويستعمل الغسيل والحرارة فى فتح القنوات المسدودة ، وتستعمل الجراحة فى النادر من الأحوال .

وثمة سبب لعقم الأنثى كثير الحدوث ، هو تجمع المخاط فى عنق الرحم وحيلولتــه

دون مرور الخلايا المنوية. وقد يغني التحريك الرقيق أو إيلاج مرود من الزجاج في توسيع الفتحة وتيسير نفض المخاط .

وقد يشك الطبيب في قدرة المبيض على أن يبيض . ولما كان الحصول على البويضة الدقيقة — وهي لا تكاد ترى بالعين المجردة — عسيراً ، فلا بد من أن يعتمد الطبيب على اختبار المبيض عن طريق الاستدلال . فهو يعلم أن نظام خلايا المهبل يتغير أثناء البيض وتنخفض حرارة الجسم ، وتختلف مقادير الهرمونات الجنسية في الدم ، فإذا قاس هذه التغيرات استطاع أن يقرر أتضع المرأة البويضة وضعاً طبيعياً في وسط دورة الطمث أم لا تضعها .

على أن من المشاكل التي تعرض لهؤلاء الأطباء ما يبلغ من التعقيد مبلغاً عظيما ، إذ تتعدد أسباب العقم المستعصية في كلا الزوجين. وكذلك كانت حال زوجين شابين من كاليفورنيا ، كان كلاهما يذوب لهفة على الولد ، وتجلى من الفحص أن الزوج يعاني من نقص مرضي في معدل الأيض (حاصل عمليتي البناء والانتقاض في الجسم) ومن ضعف شديد في بدنه ، فوصف له الطبيب علاجا منتظماً بخلاصة الغدة الدرقية لترفع معدل الأيض ، وتعيد إلى الجسم النشاط ، وأحاله الطبيب أيضاً إلى معهد يمارس فيه الرياضة البدنية .

بيد أن أسباب العقم في الزوجة كانت أكثر ، فإن قناتي فالوب كانتا مسدودتين . وكان الرحم نابياً عن موضعه بحيث يحتاج تقويمه إلى جراحة ، فاستغرق إصلاح هذا كله سنة ونصف سنة ، وحدث الحمل في النهاية ، فكان سرور الزوجين عظيما .

وليس في وسع الباحث أن يغالي في خطر الصلة بين العافية والقدرة على النسل . وكثيراً ما نسمع عن زوجين قطعا الرجاء من أن يولد لهما ولد فتبنيا ولداً ، فما لبثا حتى أنجبا ولداً . وهذا شيء قد يستسر عن أفهام غير الأطباء من الناس ، ولكن الطبيب يستطيع أن يعلله تعليلا سهلا مقبولا ، فاهتمام الوالدين بعد التبني بالرياضة واللعب مع ولدهما المتبنى ، خليق أن يردهما إلى العافية ، ويسري عنهما بعض هموم العقل والنفس . وثمة لغز آخر كثيراً ما يعرض لهؤلاء الأطباء ، وذلك أن يفترق الزوجان العاقران بالطلاق ، فيبني كل منهما بزوج جديد ، فينجبان . وتعليل ذلك هين ، فإن كلا الخليطين في الزواج الأول كان دون مستوى الإنجاب ، فلما تزوج كل منهما زوجا قوي التلقيح بلغا ما أرادا .

إن انتهاء الحالات العسرة إلى مياسرة يعود على الطبيب بحمد لا يلقى مثله طبيب من مريض ، ويجلب للزوجين من السعادة ما كانا يخشيان أن لا يواتيهما أبداً . وقد سمى أحد

هؤلاء الأزواج السعداء ابنه باسم طبيب من الأطباء الذين عالجوه .

وقد نفى البحث كثيراً من الظنون القديمة : أن قدرة البشر على التناسل قد أخذت تتضاءل، وأن الفقراء أقدر عليه من الأغنياء . بيد أن التناسل لا تزال بعض غوامضه تيهاً تحار فيه العقول . والمعامل المجهزة أكمل تجهيز فى المستشفيات والجامعات تحاول جاهدة أن تكشف ما خفى من أسراره المجهولة

إن هذه الحملة الضخمة على مشكل عمّر عُمر الزمان، تنطوى على أمل بسام لمن حرموا نعمة الأولاد . وكثير ممن عقموا بالأمس ، قد يرزقون اليوم أولاداً ، وقد يكون الغد أكرم عليهم من اليوم . وقد كانت المغانم التى ظفر الناس بها حتى الآن من أبعث ما حدث فى الطب على الطمأنينة والرجاء .

كل ما أعرفهُ تعلمتهُ بعد الثلاثين من عمرى . [جورج كاينصو]

الشيخ ينسى

كنت أنا وشقيقتى ذات مساءٍ نقرأ جَهْراً فقرات من رسائل تلقيناها من شابين تعرفنا إليهما منذ عهد قريب . فتظاهر أبى أنه مشغول بقراءة صحيفتـه ، ولكنهُ لم يطق صبراً على ذلك ، فإذا به ينفجر ويقول : « رباه ! أنقذنا من السخف » .

فما إن سمعتهُ أمى حتى طرحت من يديها قميصاً كانت تحيكه ، وترفقت فى الخروج من الغرفة وهى تشير إلينا أن نتبعها . فلما عدنا كان أبى لا يزال يتمتم شيئاً عن هذا الجيل من الشباب وآثامه ، فقلنا لهُ إن ما خفى عنهُ كان أعظم مما يعلم ، وشرعت شقيقتى تقرأ رسالة تقطر حبًّا وهياماً ، ولو قيست بها الرسائل التى قرأناها من قبل لكانت معتدلة بل جافية .

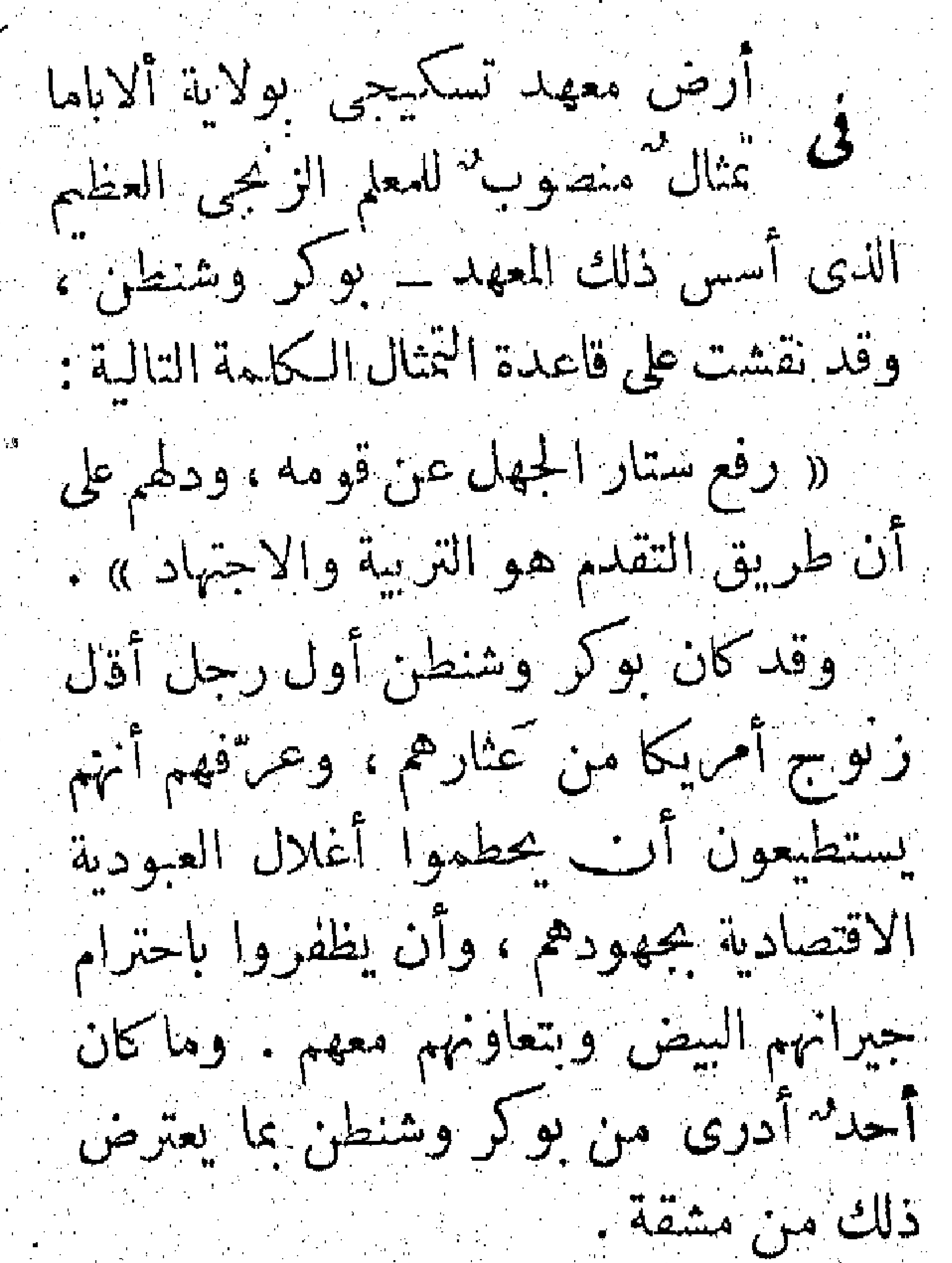
فصاح أبى : «لم أسمع فى حياتى سخفاً كمثل هذا السخف ، وأنا آمركما أن تمتنعا عن الإجابة على هذه الرسالة » . فتركناه يهرف قليلا ، ثم وضعنا الرسالة بين يديه ، فإذا تاريخها : أول يونيو ١٩١٥ ، وكانت مرسلة إلى أمى — من أبى .

[مسز دانيال بل]

داعية إلى الوئام

المصلح الزنجي بوكر وشنطن

أ . ك . آرمسترنج

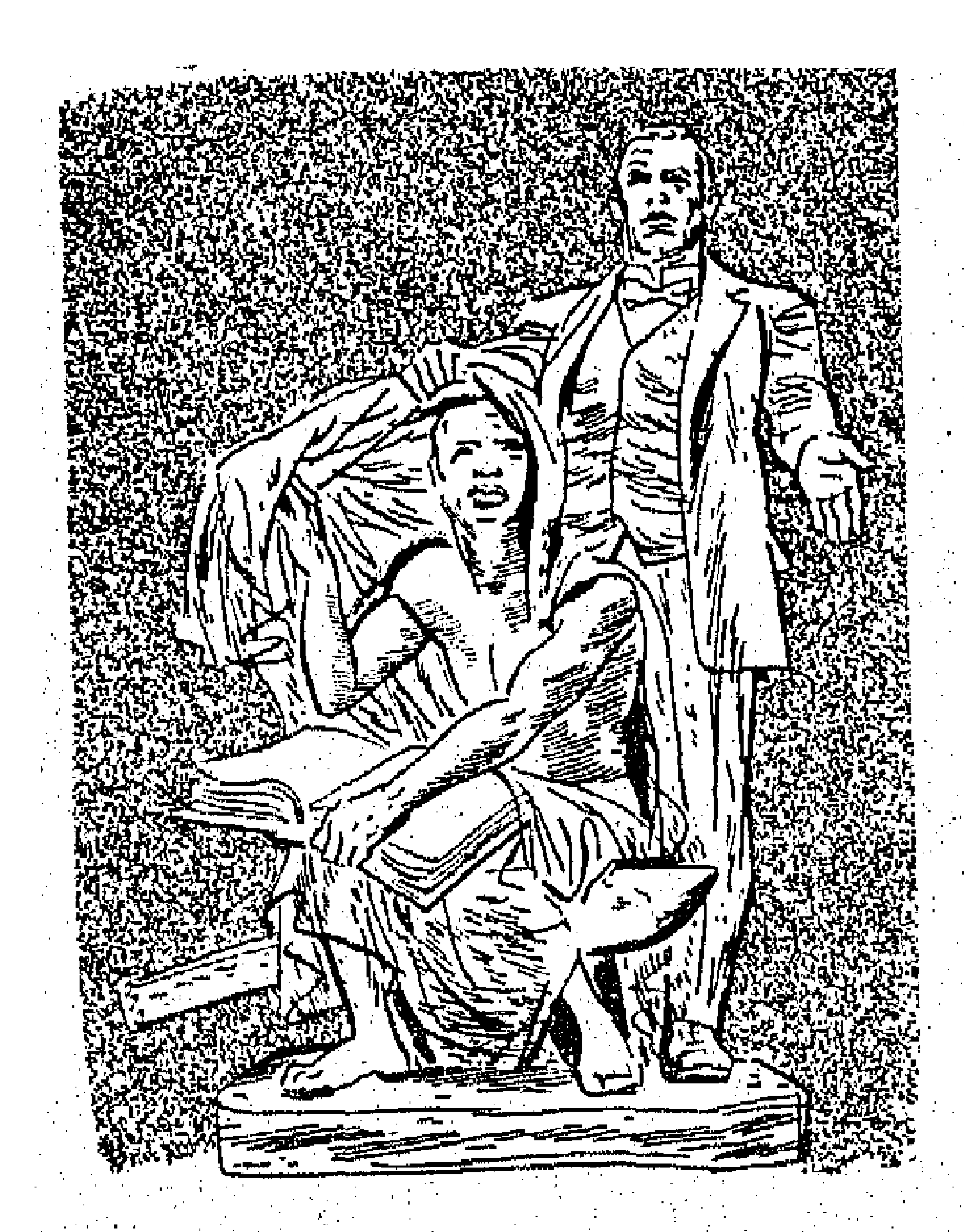


في أرض معهد تسكيجي بولاية ألاباما تمثالٌ منصوبٌ للمعلم الزنجي العظيم الذي أسس ذلك المعهد — بوكر وشنطن ، وقد نقشت على قاعدة التمثال الكلمة التالية :

« رفع ستار الجهل عن قومه ، ودلهم على أن طريق التقدم هو التربية والاجتهاد » .

وقد كان بوكر وشنطن أول رجل أقال زنوج أمريكا من عثارهم ، وعرّفهم أنهم يستطيعون أن يحطموا أغلال العبودية الاقتصادية بجهودهم ، وأن يظفروا باحترام جيرانهم البيض وبتعاونهم معهم . وما كان أحدٌ أدرى من بوكر وشنطن بما يعترض ذلك من مشقة .

ولد بوكر في ٥ إبريل سنة ١٨٥٦ في كوخ حقير في مزرعة بولاية فرجينيا . وكان طعامه في طفولته كسرة خبز يجدها هنا ، أو قطعة لحم يعثر عليها هنالك ، وكانت ثيابه قميصاً وسراويل وحسب ، ولم يسمع قط بزنجيّ واحد قادر على القراءة أو الكتابة .



فلما كان في التاسعة من عمره ، كانت الحرب الأهلية الأمريكية قد وضعت أوزارها وكان العبيد قد أعتقوا ، بيد أن حالهم لم يصلح منها سوى شيء يسير بعد إعتاقهم ، لأن تحريرهم ألقى عليهم تبعات جديدة كان النهوض بها يقتضي قسطاً من التعلم والتدريب ، وكانت الولايات الجنوبية التي نهكتها الحرب الأهلية عاجزة عن تدبير أمر التعليم لعبيدها المعتقين .

فهاجرت أمُّ بوكر وأولادها شمالا إلى ولاية فرجينيا الغربية ، وقطعوا معظم المسافة سيراً على الأقدام ، وهناك شرع بوكر يعمل في مناجم الفحم ونشر الخشب وحرث الحقول. وكان في الليل يتردّد على مدرسة ابتدائية مخصصة لأبناء الزنوج ، فلما سأله المعلم عن اسمه ، قال وفي نفسه طموح إلى أعلى المراتب: إن اسمه وشنطن ، اسم الرئيس الأول للجمهورية الأمريكية . وقد صار هذا الزنجي كما كان سميّه من قبله ، هادياً لقومه .

وسمع ذات يوم رجلين من عمّال المناجم يتحدثان عن مدرسة للزنوج في مدينة هامتون بولاية فرجينيا ، فقصدها وهو في السابعة عشرة من عمره ، وليس في جيبه سوى بضعة ريالات وفرها من عمله لتعينه على قطع خمسمئة ميل ، فأمره أحد المدرسين أن يكنس الحجرة . ومما يدلك على خلقه أنه كنسها خمس مرّات ونفض غبارها أربع مرات ، فقبل في المدرسة من فوره .

وقد اضطر أن يعمل عمل خادم في المدرسة وعمل نُدُل على موائد الأكل ، لكي يكسب ثمن طعامه . وأراد أن يتعلم صناعة يتعيش بها فتعلم صناعة البناء . فلم يكد يتخرج حتى عيّن عضواً في هيئة التعليم .

وكان في مدينة تسكيجي بولاية ألاباما ، تاجر من البيض يدعى جورج كامبل ، وكان له صديق من العمال الزنوج الحاذقين يدعى لويس أدمز ، فخطر لهما أن ينشئا مدرسة لتعليم الزنوج . واستعان كامبل بصديق له في مجلس الولاية التشريعي ، فظفر من الحكومة بألفي ريال ، فلما كتب إلى معهد هامتون يطلب « ناظراً » لمدرسته ، أوصى المعهد بتعيين بوكر وشنطن . فلما وصل إلى تسكيجي تلفت حوله وسأله بلهفة : « أين المدرسة ؟ »

فقيل له إنها لم تنشأ بعد ، فلم يفتّ ذلك في عضده بل قال إنه سيبني مدرسة . ثم استأذن في أن يتخذ من كنيسة للزنوج مدرسة يدرس فيها . ثم جعل يطوّف ليعقد أواصر الصداقة بينه وبين الناس ويدعو فتيان الزنوج إلى تسكيجي .

كان ما رآهُ وشنطن في ريف ألاباما كفيلا بأن يثبط عزيمة من هو أقصر منه نظراً وأضعف عزماً ، فقد كان معظم الزنوج يعملون فلا ينالون سوى أقل الأجور ، وكانت بيوتهم أكواخاً حقيرة ، وثيابهم من قماش خشن ينسج باليد ، وطعامهم لا يغني من جوع ، وكانت الأمراض متفشية بينهم .

وقرّ رأي الأستاذ وشنطن على أن تثقيف عقول القوم دون أن يعلمهم حرفاً وصناعات ،

مضيعة للوقت ، فأطلق على مدرسته : « معهد تسكيجي للعاملين والصناعات » ، وأعلن أنه حتم على كل طالب وطالبة أن يعمل بيديه .

وقد افتتحت المدرسة يوم ٤ يوليو سنة ١٨٨١ ، فقصد المدرسة ثلاثون من الطلاب كان معظمهم من حقول القطن المجاورة ، وكان سقف المعهد يرشح ماء ، فكان على الطلاب في أيام المطر أن يجلسوا تحت المظلات . ثم اقترض ٥٠٠ ريال من أصدقائه في هامتون ، وابتاع مزرعة قرب المدينة ، ووضع فيها أساس البناء الأول في المعهد .

ولم يكن لوشنطن مفر من أن يحارب بعض الآراء المتأصلة في النفوس . فقد كان من الأمثلة الشائعة بين البيض يومئذ : « علم الزنجي يمتنع عن العمل » . وكان الرأي السائد بين الزنوج المتعلمين : « أن الغرض الوحيد من التعليم هو تمهيد الطريق للمرء حتى يعيش في بحبوحة وراحة دون أن يعمل عملا شاقًّا » . وجاءه وفد من الزنوج يعترضون على ما في منهج المعهد من عمل يدوي ، فقال وشنطن : « إن في حراثة الحقل من الكرامة مثل ما تجده في نظم قصيدة . ومن الخير لبناتكم أن يعرفن كيف يهيئن المائدة ويدبرن شئون المنزل كمعرفتهن اللغة اللاتينية » .

واتفق مرة أن جاء إلى معهد تسكيجي مدرس زنجي متحمس من مدرسة في الشمال ، وكان جاهلا بأساليب الفكر والحياة في الجنوب ، فأغضب أحد تجار المدينة ، فزحف جمهور ثائر على المدرسة طالبين أن يلقي إليهم بذلك المعلم « الوقح » ، فاستقبلهم وشنطن رابط الجأش وقال :

« إن الجهل يثقل كاهلنا نحن الزنوج ، فلربما خالفنا القانون . أما أنتم يا أصدقاءنا البيض فتعرفون القانون ، فتخضعون له وتحترمونه ، فنحن نريد أن نتعلم منكم . أفترضون أن تجلبوا الخزي والعار على مدينة تسكيجي بعمل مخالف للقانون ؟ » ، فتفرق الجمع الثائر .

ومضى ناظر معهد تسكيجي قدماً في دعوته سكان غابات الصنوبر والمزارع ، فجعل يخطب في المعابد ، ويزور مئات البيوت ، ويترفق في شرح حاجة قومه إلى الأيدي المدربة والعقول المدربة . فكان يقول : « ينبغي لأبنائنا أن يتعلموا بالعمل ، ولا ينبغي لنا أن نتطلع دائماً إلى البيض للظفر بمن يرشدنا ويتقدمنا ، بل علينا أن ننشيء زعماءنا من أنفسنا » .

نال وشنطن بإخلاصه وصفاء سريرته صداقة كثير من الناس ، وصار الزنوج يتقدمون بالهبات أو يتطوعون للعمل

فى المدرسة الناشئة ، ونفحه البيض من أهل تسكيجى بهبات مالية . فأنشأ فى السنوات الخمس الأولى مناهج لتعليم الطلاب البناء والنجارة والحدادة والزراعـة ، ولتعليم الطالبات الطبخ والخياطة وتدبير المنزل . وكان مما يُزْهَـى به وشنطن أنه لم يأبَ أن يقبل طالباً ما لأنه عاجز عن توفية نفقته . وكان كل طالب ينفق بضع ساعات فى الدراسة وساعاتٍ أخرى فى العمل . وقد صنعوا الأثاث لمبانى المدرسة ، والأسرّة من خشب الصنوبر ، والفرش من قماش القطن وحشوها بورق الصنوبر ، وصنعوا أيضاً الموائد والكراسى . وكان النظام دقيقاً لأن وشنطن كان يعتقد أن التربية يجب أن تربى الخلق الصالح ، فكان الطلاب يلقنون رقة الشمائل وحسن الحديث واحـترام حقوق الناس . وكان الناظر يحـذّر المدرّسين فيقول : « ينبغى أن لا نخفق ؛ لأننا إذا أخفقنا قال الناس إن الزنوج عاجزون عن تعليم أنفسهم بأنفسهم » .

تمكن وشنطن بفضل شجاعته وحكمته وصبره ، من أن يتوسل بالمعهد لتوثيق أواصر الفهم والتعاون بين البيض والزنوج. ولقد مرّ ذات يوم أمام قصر ڤارنر ، وكانت مسز ڤارنر لا تعرفه ، فنادته وطلبت منه أن يقطع لها بعض الحطب . فنزع الأستاذ سترته ، وأخذ الفأس وقطع الحطب ثم حمله إلى المطبخ ، فعرفته الخادمة فأنبأت سيدتها: « إنه الأستاذ وشنطن ! »

وفى صباح اليوم التالى ذهبت مسز ڤارنر إلى مكتبه وقالت : « جئت لأعتذر ، فلم أكن أدرى من أنت ساعة كلفتك أن تقطع الحطب » .

فقال وشنطن : « لا بأس يا سيدتى ، فأنا أحبّ العمل ، ويسرّنى أن أسدى معروفاً إلى أصدقائى » .

ومنذ ذلك اليوم صارت مسز ڤارنر صديقة المعهد ، وقد حملت معارفها من أهل الثراء على أن يهبوا المدرسة ألوفاً من الريالات .

فلما أقيم معرض ولايات القطن فى خريف سنة ١٨٩٥ خصص جناح فيـه لمنتجات الزراع الزنوج ، ودعى الأستاذ وشنطن للخطابة ، فتولى حاكم الولاية تقديم الزعيم الزنجى إلى بضعة ألوف من البيض والزنوج كانوا مجتمعين فى بهو المعرض — ولعل هذا التقديم كان أول مرةٍ تولى فيها موظف كبيرٌ من البيض تقديم زنجى إلى جمهور من أهالى الجنوب .

وقف الخطيب الزنجىّ الطويل الأنيق ، فأنصت إليه الناس كأن على رؤوسهم الطير ، فمضى فى خطبته البليغة ، شارحاً مشروعه

فى التربية ، داعياً إلى التعاون والتفاهم ، والتفت إلى علية القوم من البيض الجالسين على المنبر وقال : « لقد أثبتنا إخلاصنا لكم بما قمنا به من رعاية أبنائكم والعناية بمرضاكم من آبائكم وأمهاتكم ، وسوف نشدُّ أزركم فى المستقبل بوسائلنا القليلة ، فتندمج حياتنا الصناعيــة والتجارية والأهليــة والدينية بحياتكم ، حتى تصير مصلحة القوميين مصلحة واحدة » .

فما فرغ الخطيب من خطبته حتى هبَّ الحاكم يصافحُه ، ووقف الرجال والنساء يهتفون . وطبعت الخطبة فى نشراتٍ وصحف لا يحصى عــددُها ، وبعث إليه الرئيس كليفلاند برسالة تهنئة صادقة ، وذاع ذكر بوكر وشنطن فى طول البلاد وعرضها ، وصار اللسان الناطق باسم قومه فى أمريكا .

وقد حضر بعــد زمن حفلة فى شيكاغو كان الرئيس مكنلى ضيف الشرف فيها ، فألقى خطبة فى ١٦ ألفاً من الناس ، وكانت الاجتماعات التى يعقدها وشنطن فى الجنوب ، هى الحفلات الأولى التى اجتمع فيها البيض والزنوج . وكان يحث على توخى الصراحة فى بحث المشكلات التى تهمّ الفريقين . وقد قال مرة لجمهور من البيض فى خطبة : « ينبغى لكم أن تفهموا مشكلات المحرومين والبائسين حتى تتمكنوا من بذل العون لهم » ، وكان جريئاً يوم قال : « إذا أردت أن تعرف كرم نفس الرجل فانظر إلى معاملته لأبناء جنس لم ينالوا من حظوظ الحياة مثل ما ناله أبناء جلدته » .

وكان يتوسل بالمودَّة والمثابرة فى حث أصدقائه الأغنياء من رجال ونساء على « تثمير أموالهم فى مستقبل الزنوج » . ومن أوائل الذين قصدهم رجل يدعى كوليس هنتنجتون ، وكان من كبار أصحاب السكك الحديدية ، فضاق ذرعاً بزائره وقاطعهُ وقال : « هاك ريالين لمدرستك » ، ولكن الزنجى الرقيق لم يزل يلاطفه حتى وهب ٥٠،٠٠٠ ريال ، ثم أضاف إليها مبلغاً آخر من المال كفل تشييد بناء باسمه فى المعهد .

ومن آيات ذكائه وحسن تقديره ، أنه كان يطلب إلى المحسنين أن يضمنوا تحقيق مشروعات مختلفة ، ولا يطلب منهم أن يهبوا المعهد مبالغ من المال . وقد أهدى أندرو كارنيجى إلى المعهد داراً للكتب ، ثم وهبه بعد زمن ٦٠٠،٠٠٠ ريال دفعة واحدة .

وثقة وشنطن بنفسه وبدعوته لم تتزعزع قط . فكان إذا ما احتاج المعهد إلى بناء جديد يقول : « اشرعوا فى البناء ، وأنا أدبر لكم المال » .

وكان يلهب حماســة تلاميذه ويلهمهم بمشاركته إياهم فى العمل ، وببلاغته السهلة .

وكان يفرض على المدرسين أن يبعثوا إليه بالطلبة المتلكئين ، فيعنفهم أشد تعنيف ، ثم تنبسط أساريره فيقول لأحدهم : « تعال واشرح لى متاعبك » . فيذهبان معاً إلى الحقل أو إلى الدرس ، فيبين الأستاذ لتلميذه بأوفى بيان كيف يسعه أن ينجز عمله .

وفى سنة ١٨٩٦ أقنع وشنطن المجلس التشريعى فى ولاية ألاباما بإنشاء محطة التجارب الزراعية لمعهد تسكيجى « لتدريب الطلاب الزنوج على الزراعة العلمية » ، وتناهى إليه خبر التجارب الزراعية التى يقوم بها جورج وشنطن كارڤر ، وهو عبد رقيق أعتق ، فقال له : « أنت أنت الرجل الذى نريده مديراً لمحطتنا ، فابحث وأنبئنا بما نستطيع أن نزرعه فى صلصال الأقاليم الجنوبية » . وقد أقام كارڤر نصف قرن يبحث ويجرب ، فأسفر عمله عن مئات من المحصولات التى زادت ثروة الناس من الجنسين جميعاً .

وقد وسّع وشنطن نطاق معهده حتى شمل المزارع ، فكان هو والأستاذ كارڤر يحمّلان عربة بالأدوات ويخرجان بها إلى المزارع ويبيّنان للفلاحين كيف ينتفعون بها . وقد وهبهما المحسن الأمريكى موريس جسوب عربة يجرّها جوادان ، مزوّدة بكل ما يلزم لعرض أدوات الزراعة ، فذاع صيت عربة جسوب وعرفت باسم المدرسة « المتنقلة » .

وقد وسّع وشنطن أيضاً نطاق تعليم الزنوج فى أمريكا فيما وراء حدود المعهد الذى أنشأه ، فأقنع أولا أحد ملوك الزيت بتحسين المدارس فى مقاطعة ماكون التى كانت مدينة تسكيجى عاصمتها . فرضى هذا الرجل أن يهب ٦٠٠ ريال كل شهر فى السنة الأولى ، فارتاح إلى نتائج المشروع ، فوسّع مجال العمل حتى شمل عدداً من المقاطعات . ثم جاء وشنطن بتاجر غنىّ إلى ألاباما ، وطوّف به فى ريفها ، وقال له : « كل ريال ينفق على مدارس الريف فى الجنوب ، يثمر ما قيمته ريالات كثيرة من تقدم الزنوج » .

فرضى هذا التاجر أن ينفق المال على إنشاء عدد من المبانى الجديدة . وأصر وشنطن على أن تكتتب كل جماعة من الزنوج بالمال اللازم لشراء أرض المدرسة ، وأن يزيد رجال التعليم أيام الدراسة . فظفر كذلك بمؤازرة البيض والزنوج على السواء .

وكذلك أنشىء صندوق باسم هذا الرجل ، فمهد لإنشاء ٥٠٠٠ مدرسة ريفية للزنوج أو أكثر ، ويسر طلب العلم على نحو ثلاثة أرباع مليون من أبناء الزنوج منذ إنشائه .

وقد توالت آيات التكريم على بوكر وشنطن من كل قاصٍ ودانٍ ، وقد تبين فيه الرئيس تيودور روزفلت روحاً يأنس إليها ويألفها ، فصار الرجلان اللذان

يدعوان إلى حياة الجهاد صديقين حميمين .

وقد أفضت أسفار وشنطن المتصلة وخطبه العامة ، مضافة إلى أعباء عمله الكثير في المعهد ، إلى إجهاد قلبه . فألحت عليه زوجته وأعوانه لكي ينال نصيباً وافياً من الراحة ، ولكنه قال لهم : « لا ، فبين يدىّ عمل طويل لا بدّ من إنجازه ، والعمر قصير » . وفى نوفمبر ١٩١٥ مرض وهو في نيويورك ، فحمل إلى مدرسته ، وما هى إلا ساعات قلائل حتى فاضت روحه .

وفى معهد تسكيجى اليوم ٣١٠ أستاذ وألف تلميذ ، وفيه ١٣٣ بناء تحيط بها أرض وحقول مساحتها ٣٥٥٠ فداناً . وقد أنشأ خريجو هذا المعهد سبع عشرة مدرسة للزنوج على غرار هذا المعهد .

وقد توالت اليوم آيات التكريم دلالة على علوّ منزلة وشنطن ، فقد ذكره « اتحاد التعليم الوطنى فى أمريكا » بين العشرة الذين أدّوا أكبر معونة للتعليم فى بلاد أمريكا .

وقد أنشىء صندوق لتشييد معهد فى مسقط رأسه ، وقد أصدرت وزارة المالية الأمريكية نقوداً خاصة من فئة نصف ريال معونة للمشروع .

وفى مايو ١٩٤٦ نصب لوشنطن تمثال فى « بهو الشرف » بجامعة نيويورك ، وقد بدت على جبين التمثال أخاديد شقتها أعوام من بذل الجهود وحمل التبعات ، وعلى ثغره ينبوع يتفجر بالدعابة مقرونة بالحزم والتصميم . أما شفتاه فيخيل إلى الناظر أنهما لا تزالان تنطقان وتسمعان الناس جميعاً ، أبيضهم وأسودهم ، ما اعتادوا أن يسمعوه فى أيام حياته : « إنه لا يضيرنا أن نفترق فى كل ظواهر الحياة الاجتماعية افتراق أصابع الراحتين ، ولكن لا بدّ لنا إذا حرصنا على الرقىّ والتقدم من أن نكون يداً واحدة » .

ولا يزال فى معهد تسكيجى نحو عشرة من أقران وشنطن وأصحابه ، وكلهم حريص على أن يذكر حسن مودّة ذلك الرجل ، وعظيمَ إيمانه ، ودقة نظامه . وقد لقيت الدكتور إيمت سكوت الذى ظلّ ١٩ عاماً وهو كاتم سرّه . فنظر إلىّ والدموع تترقرق فى عينيه ، وردّد كلمات وشنطن التى سمعها من جميع طلبة المعهد : « مهما بلغت بك خصاصة الفقر ، أو سواد اللون ، أو خمول الذكر ، فلا تنس أن الفرصة سانحة بين يديك ، وأنه كلما كثرت الصعاب التى لا بد من تخطيها كان النجاح أعظم وأتم » .

وهذه الكلمات البليغة البديعة الغور ، تذكرنا بأن نجعل أكبر همنا مصلحة الإنسانية لا منفعة الجنس ، فلا أجد أحداً كان أكبر عوناً لمثل هذه الكثرة من بنى الإنسان ، من هذا الرجل البارّ : بوكر وشنطن .

العين الكهربائية العجيبة — لها فى كل صناعة نصيب

هارلند مانشستر

مختصرة من مجلة "أتلانتيك الشهرية"

منذ بضع سنوات شهد الناس عن كثب جهازاً عجيباً يجعل الأبواب تفتح من تلقاء نفسها . فقد رأوا عمودين من معدن بينهما خمس أقدام، وفى كل منهما نافذة صغيرة مستديرة ، تنطلق منها شعاعة ضوء أفقية ، فإذا ما اجتاز أحد ما بين العمودين وقطع الشعاعة فساعتئذ ينفتح الباب فى سكون ، ثم يوصد على مهل بعد أن يمرّ .

وكان هذا العمل من أبسط الأعمال التى تتولاها « العين الكهربائية » ، فشعاعة الضوء المنطلقة من مصباح مألوف ، تقع على بطارية ضوئية كهربائية مرهفة الإحساس أشبه بمصباح صغير، ولكنها تحول كل انقطاع يقع فى الشعاعة إلى تذبذب فى الطاقة الكهربائية ، وهذا التذبذب يحرّك محركا صغيراً كهربائياً يفتح الباب .

وقد أفضى الانتفاع بالعين الكهربائية فى عشرات من الأغراض إلى طائفة من أهم وجوه التقدم الصناعى والهندسى فى هذا العصر . فهى التى زودت أفلام السنما بصوتها الناطق ، وإليها يرجع كلّ التقدم فى التلفزة (الرؤية عن بعد) . وقد صنعت بحيث تقلد العين التى ترى ، والأذن التى تسمع ، والفم الذى ينطق، والأنف الذى يشمّ، والأعصاب التى تحسّ . وهى توجه السفن ، وتقبض على اللصوص، وتصنف الثمار أصنافاً، وتتبين الدخان ،وتعدّ أوراق النقد ، وتضاهى بين الألوان ، وهى تفعل ذلك على وجه السرعة وبغير أن تخطىء . أما فى المصانع فتراها تفحص البضائع التى تمّ صنعها فتنبذ منها ما كان فيه عيب. وقد بلغ من دقتها وإحكامها أنها تتبين فروق القياس التى تبلغ جزءاً من مئة ألف جزء من البوصة .

وقد انتفعت بها مصالح التنظيم ، فقبل أن تقدم على إنفاق ملايين من الريالات على مدّ طريق جديد، تستعين بالعين الكهربائية على إحصاء حركة المرور ، فتنصب هذه العيون على جوانب الطرق ، فتحصى كل سيارة تجوزها وتسجل سرعتها أيضاً . وحساب السرعة يتمّ بتقدير الوقت الذى يمرّ بين انقطاع شعاعة منطلقة من إحدى هذه العيون ، وانقطاع شعاعة منطلقة من عين

تلها على الطريق. ولو طلبت من هذه العيون أن تحصى لك السيارات الماضية من جهة دون الأخرى، لكان لك ما تريد.

وقد أخذ أهل الهندسة ورجال المرور يجربون التجارب بهذه الأجهزة للانتفاع بها في تيسير حركة السيارات وتقليل حوادث الاصطدام. ومنها جهاز يستطيع أن يضعف من تلقاء نفسه ضوء المصباحين اللذين في مقدّم السيارة حين تدنو منها سيارة مقبلة عليها في ظلام الليل. فنور مصباحيك يؤثر في مصباحي السيارة المقبلة، فيتحرك جهاز فيضعف نور السيارة المقبلة، كما يضعف الجهاز الذي فيها ضوء مصباحيك.

وقد صنعت طائفة من هذه العيون الكهربائية لكي تتأثر بضوء النهار إذا هبط إلى درجة معينة. وقد وضعت في المدارس والمصانع والمكاتب وعلى أعمدة النور في الطرق، وربطت بنظام الإضاءة الكهربائية، فتضيء المصابيح من تلقاء ذاتها إذا قلّ ضوء النهار عن درجة معلومة. ولربما كان المعلم في المدرسة مشغولا بعمل بين يديه، فلا يتبين أن السماء قد غامت، وأن الضوء في حجر الدرس قد ضعف، وأن التلاميذ أخذوا يُدنون عيونهم من كتبهم حتى يبصروا ما يقرأون أو يكتبون، ولكنّ العين الكهربائية الساهرة المثبتة في الجدار تدرك ما يفوت المعلم، وتضيء مصابيح الحجرة متى ضعف ضوء النهار، فإذا انقشع السحاب وعاد الضوء كافياً أطفأت المصابيح لساعتها. وهذا الجهاز نفسه يستعمل في المطارات، حيث ينبغي أن تضاء الأنوار اللازمة لهبوط الطائرات، متى كان ضوء النهار غير كافٍ.

فإذا عصفت العاصفة، وتلبدت السماء بالغيوم، كان لا مفر لشركات النور من أن تكون متأهبة لزيادة التيار الكهربائي التي تنشأ من إضاءة الأنوار في المكاتب والبيوت والمصانع. فلذلك نصبوا عيناً كهربائية على سطح المصنع الذي تولد فيه الطاقة الكهربائية، فتنبه المهندسين إلى ما تنذر به العاصفة من اكفهرار السماء، قبل أن يزداد المستعمل من التيار ازدياداً مفاجئاً.

ولعل أروع عمل تتولاه العين الكهربائية هو قيامها بمهمة حارس في الليل. فتستعمل الأشعة التي تحت الحمراء أو «النور الأسود»، وهي أشعة لا تبصرها عيون البشر، ولكنّ العين الكهربائية تتأثر بها. فيوضع في جدار مدخل المصرف أو المخزن مصباح يطلق شعاعة من النور الأسود، ويوضع في الجدار المقابل عين كهربائية، وتسدّد الشعاعة إلى العين، فإذا مرّ جسم ما — جسم لصّ مثلا — بين المصباح والعين، قطع الشعاعة، فيقرع في الحال جرس الإنذار. فإذا استعملت

عدداً من المرايا كان فى وسعك أن توجـه هذه الأشعة من الضوء الأسود فى كل جهة تريدها ، علواً وسفلا ، فيعجز أى متسلل عن أن يجوزها دون أن يكشف أمرهُ ، ولو زحف على بطنه زحفاً . وقد بالغوا فى إتقان هذه الوسيلة فربطوا بها آلة مصوِّرة تحدث صوتاً ، وجهازاً يضىء مصباحاً كشافاً ، وتخفى آلة التصوير فى مكان معين ، فإذا سمع اللص صوتها نظر إلى مصدر الصوت ، فيضىء المصباح الكشاف فترسم الآلة صورته. وقد أقيمت هـذه العيون فى المستشفيات لمراقبة الذين يمشون فى نومهم ، أو المصابين بأمراض عقلية ، فإذا نهض المريض من سريره قطع فى قيامه شعاعة نور أسود ، فيقرع جرس الإنذار فى حجرة الممرضـة ، أو فى حجرة أحد أعضاء أسرته إن كان فى بيته .

وإذا استثنينا أمر النفقة ، رأينا أنه من اليسير أن تركب العيون الكهربائية فى البيوت فتؤدى أعمالا شتى — كأن تنير مصباح مدخل البيت ساعة يدنو الزائر منه . بيد أن الانتفاع بهذه العيون عظيم النفقة إلا إذا استعملت فى قضاء أغراض كثيرة ، كما يكون فى المصانع . ففى مصانع الصلب التى تقطعه ألواحاً كبيرة تستطيع هذه العيون أن تقيس اللوح الطويل المتحرِّك أمامها قياسا دقيقاً ، ثم تأمر المقص الميكانيكى أن يقطعه حيث ينبغى أن يقطع ، فتكون القطع متساوية. فإذا حدث فى الآلة خلل يسير تبينت العين الكهربائيـة ذلك الخلل من فورها ، فتقف الآلة كلها وتحول دون تحطيم أجزاء منها تحطيما كثير التكاليف.

وليس بين الآلات الميكانيكية آلة تستطيع أن تحصى بسرعة العين الكهربائية . خـذ مثلا لفة كبيرة من القماش الرقيق طولهُ عدة أميال وعرضه ٤٠ بوصة ، والقماش يمرُّ مراً سريعاً بين أسـطوانتين ، فإذا ركبت على جانبى القماش عينين كهربائيتين استطاعتا أن تحصيا معاً كلّ خيط يمرُّ من لحمة هذا القماش ، ولو كان عددها عشرة آلاف فى الثانية . فإذا تبينت إحداهما أن أحد جانبى القماش قد أخذ يسبق صاحبه فى السير ، أرسلت إشارة من تلقاء نفسها إلى جهاز يكفل تسوية القماش فى الحال ، فلا يفسد منهُ شىء .

ولما كانت العين الكهربائية تميز بين أمواج الضوء كما تميز بين الضوء والقتام ، صارت أعظم الآلات نفعاً فى ضبْط ألوان الحبر والطلاء والأصباغ على اختلاف ضروبها . وفى وسعها أن تميز البيض الأبيض القشرة من البيض الذى يميل لون قشرته إلى السمرة ، وتفحص البرتقال فتنبذ منهُ ما كان أخضر غير ناضج . وأصحاب مصانع الجعة ومعاصر الزيت ، يضعون هذه العيون فى الأنابيب التى تجرى فيها جعتهم أو زيتهم ، فإذا تغير

لونها (وهو قد يدل على تغيير جودة الصنف) دلت العين على ذلك . وقد تركب فى مدخنة مصنع، فتقيس كثافة الدخان وتبين ذلك لرجال حجرة الآلات فيضبطون مقدار الوقود . وتركب فى السفن ومستودعات البضائع فتتبين الدخان وتنذر بوجوده، فتوقى الناس غوائل النار وخسارتها .

وقد قيل إن أجهزة العين الكهربائية تستطيع أن تحلّ محل مليون من العمال فى أعمال الإحصاء والتصنيف وحدها ، فيكون ذلك رأس مشكلة اجتماعية غير يسيرة . وقد كان المستودع الكبير للبضائع ، يستخدم عشرات أو مئات من الفتيات لتصنيف حبوب الفول بأيديهنّ ، ولكنهُ يستطيع اليوم أن يستغنى عنهنّ بهذا الجهاز الذى لا يغفل عن حبة فاسدة أو حصاة بين الحبوب، وقد تزوّد الميزان بشعاعة ضوء وعين كهربائية، فإذا امتلأت العلبة بالوزن المقرّر، وقفت العين الكهربائية تدفّق الحبوب من تلقاء نفسها . ثم تمرُّ العلب الممتلئة أمام عين أخرى فينبذ ما فيه عيب .

وقد تمّ اكتشاف مبدأ هذه الآلة العجيبة فى سنة ١٨٨٧ على يد العالم الطبيعى الألمانى هاينرش هرتز ، وكان ذلك اتفاقاً يوم كان يجرّب تجارب بالأمواج اللاسلكية . فقد كان يحاول أن يدفع تياراً كهربائياً بين قطبين لا يصلهما سلك ما، فوجد أن الأشعة التى فوق البنفسجية المنطلقة من قطعة من المغنسيوم المشتعل ، إذا ما وقعت على الفجوة بين القطبين، زاد مقدار التيار الكهربائى.

والذى وقف عليه هرتز يومئذ ، كان هذه الحقيقة : أن الضوء ، أياً كان ضربهُ ، إذا وقع على مادة فلزية أحدث اضطراباً فى التوازن الكهربائى بين ذرّاتها ، فتنطلق منها كهيربات . ولما كانت الكهيربات سالبة الشحنة ، فإنها تنجذب إلى القطب الموجب، وقد تمكّن العلماء على الزمن من الانتفاع بهذه المبادىء فى صنع ما يعرف بالبطارية الضوئية الكهربائية أو العين الكهربائية . وإذا توخينا اليسر والبساطة فى وصفها قلنا إنها مصباح من زجاج بطّن بعضهُ بعنصر البوتاسيوم ، وهو عنصر شديد الإحساس بالضوء. وثمة سلك يصل هذه البطانة ببطارية كهربائية، وسلك آخر ممدود من البطارية إلى عمود قائم فى وسط المصباح. ضع هذا المصباح فى الظلام لا يحدث فيه شيء، ولكن ألق عليه ضوء مصباح كشاف وإذا بالكهيربات تتواثب كالشياطين من سطح البوتاسيوم إلى العمود المركب فى وسط المصباح .

فإذا وصلت بالأسلاك مقياسا يقيس التيار الكهربائى ، تبينت أن هناك تياراً صغيراً ، وأن هذا التيار يزداد قوة وفقاً

لازدياد قوة الضـوء الواقع على المصباح .

بيد أن التيار الذى يمكن توليده بهذه الطريقة ظلّ حتى ١٩٢٤ لايزيد على جزء من عشرة ملايين جزء من القوة اللازمة للمصباح الكهربائى فى البيت . ويومئذ وجد العالم إيفز ، أن فى الوسع تضخيم هذا التيار الضعيف ملايين من المرات بضم البطارية الضوئية الكهربائية إلى الأنبوب المفرغ الذى يجرى فيه التيار — وهو من صنع المخترع لى ده فورست . فأسفر ذلك عن إمكان الانتفاع بالبطارية الضوئية الكهربائية انتفاعاً تجارياً — وذلك فى نقل الصور على أسلاك التلفون .

وقد لفّت الصورة التى يراد إرسالها على أسطوانة ، وجعلت تدور فى علبة فلزية لا يخترقها الضوء ولا تتأثر به . وأقيم حيال الأسطوانة جهاز يحمل العين الكهربائية وينطلق منها شعاع دقيق من الضوء كأنه إبرة الجراموفون التى تمرّ على أسطوانته، وبوساطة هذا الشعاع الدقيق تستكشف العين تلك المنطقة الضيقة المضاءة من الصورة ، فيحدث تغير فى قوة تيارها الكهربى وضعفه، ويكون هذا التغير موافقاً لمواقع الظلّ والنور على الصورة . أما فى الجهاز المستقبل فيعكس الأمر ، ويحوّل التذبذب فى التيار إلى شعاع متذبذب يؤثر فى فلم من أفلام التصوير ، فيتأثر بالضوء ضعفاً وقوة وفقاً لذبذبة التيار ، وكذلك تجتمع الخطوط الدقيقة خطاً خطاً حتى تتم الصورة الأصلية .

وأتاحت العين الكهربائية لفلم السنما منطقة على جانبه تسجل عليها الأصوات المسايرة لصور الممثلين ، فحلت محل الأسطوانات التى استعملت فى أول عهد السنما الناطقة .

أما مستقبل العين الكهربائية والأجهزة التى تنتفع بها فرهن بخيال المخترعين . فثمة مثلا محطة تولد طاقة كهربائية من الماء المنحدر قد تتعهد كل أمورها عين كهربائية . وثمة لوحة بيانية تبين مقدار التيار الكهربائى المطلوب طوال اليوم والعين الكهربائية مسدّدة إلى اللوحة ، فتتبع المقادير المطلوبة ساعة بعد ساعة ، فتحرّك جهازاً يطلق من الماء المقدار الذى يكفل توليد الطاقة المطلوبة بالقدر اللازم . وقد ذكروا أن هناك عيناً كهربائية تستطيع رسماً هندسياً وتحوّل خطوطهُ إلى حركات تنفّذها أجهزة القطع وغيرها ثم تلقى جانباً كل جزء تم صنعه .

وليس ثمة ريب فى أن رجال الاختراع والصناعة سيصنعون آلات كثيرة تعمل من تلقاء نفسها ، كهذا الجهاز . وقد خرجت البطارية الضوئية الكهربائية من جوف الكهف الذى يحوى أسرار الذرّة ، لتفتح أبواباً لم تخطر على بال أحد ولا فى الأحلام.

ساعة فى مصرف

ستيفن ليكوك

من كتابه "نوادر أدبية"

عجزت كل العجز عن قهر ذلك الهلع الذى ينتابنى من المصارف ، فما أكاد أجتاز عتبة المصرف لأقضى بعض العمل حتى أنقلب مخبولاً قد رُفع عنه القلم .

وعلة ذلك الهلع أنى لقيت من أحد المصارف ، وأنا فى صدر شبابى، ما ملأ قلبى رعباً ، ولا تزال ذكراه تعتادنى بآلامها حتى هذه الساعة . فقد زاد مرتبى حتى صار ٥٠ ريالاً فى الشهر ، فوجدت ،وحقَّ لى، أن المصرف هو مكان مثل هذا المرتب . فاخترت أكبر مصرف وأعظمه شأناً فى المدينة ، وبعد تردّدٍ قليل رأيتنى أسير فى ساحته متثاقلاً متهيباً أتلفت كالخائف إلى الكتبة من حولى . ولم يكن لى بالمصارف عهد سابق ، ولكن كان قد استقر فى رأسى أن المرء الذى يريد أن يفتح حساباً فى المصرف لابُدّ له من مراجعة مديره فى الأمر .

كنت أحس فى دخيلة نفسى بأنى مُقدمٌ على لحظة فاصلة فى تاريخ حياتى ، وزاد الطين بلة هذا الجو الذى أطبق عليه الصمت والكآبة ، فمضيت قاصداً باباً كتب عليه « كاتب حسابات » . كان هذا الكاتب مخلوقاً طويلاً بارد الطباع فى هيئة الشيطان، فما وقع عليه بصرى حتى اقشعر بدنى ، وسمعت صوتاً أجش يخرج من حلقى وأنا أقول له : «هل أستطيع أن أقابل المدير ؟ » ثم أردفت بكلّ وقار : « أقابله على انفراد » ، ولست أدرى لماذا قلت « على انفراد » .

فقال الكاتب : « بلا ريب » ، وما هو إلا أن استدعاه .

كان المدير إنساناً وقوراً هادىء الحركة فنظر إلىّ بأدب نظرة المتعجب .

فقلت : « أأنت المدير ؟ » ، وما كنت أرتاب فى ذلك علم الله .

قال : « نعم ، أنا هو » .

فقلت : « هل أستطيع أن ألقاك على انفراد ؟ » ولم أكن أريد أن أردف كلامى بهذه اللفظة « على انفراد » مرة أخرى ، ولكنى فعلت وتورّطت ، فلا مندوحة لى من الإصرار عليها .

فنظر المدير إلىّ نظرة فيها شىء من الارتياع ، ولا لومَ عليه إذا ظن أنى أطوى

ضلوعي على سرّ خطير أريد أن أفضى إليـه به .

فلم يلبث أن قال : «تفضل» ، ثم قادني إلى غرفته الخاصـة فدخلنا وأغلق الباب بالمفتاح .

ثم قال : « نحن هنا في مأمن من كل مقاطعة ، اجلس » .

فجلس وجلست ، وجعل كلّ منا ينظر في وجه صاحبه ، ولكن صوتي خانني .

فعادَ يقول : « أنت أحد رجال الشرطة السرية فيما أظن؟ »

لقد استنتج هـذا من مسلكي الغامض الغريب ، فزاد ذلك في حيرتي وارتباكي .

فقلت : «كلا . أتريد الحق ؟ إني لست منهم ، بل ما جئت إلا لأفتح حساباً ، وقد عزمت على أن أودع كلّ مالِي في هـذا المصرف » .

فسُرّى عن المدير وبان ذلك في وجهه ، ولكنه ظلّ وقوراً ساكناً ، فقد خيل إليه الآن أني شابٌ يسّر الله له أسباباً من الغنى .

ثم قال المدير : « أظن أنه مبلغ كبير »

قلت بصـوت خفيض : « نعم ، هو ماتقول» ، وكان المبلغ كله في جيبي : «ويحسن بي أن أودع الآن ٥٦ ريالاً ، ثم أودع على رأس كل شهر ٥٠ ريالا » .

فهب المدير قائماً ، وفتح الباب ، ونادى كاتب الحسابات ، ثم قال له بصوت غريب:

« لقد جاء هـذا السيد يريد أن يفتح عندنا حساباً ، وسيودع الآن ٥٦ ريالا ! مع السلامة ياسيدى » .

فنهضت من مجلسى ، وإذا بي أرى باباً من الحديد في ناحية من الغرفة قد فُتح فقلت :

« مع السلامة ياسيدى » ، واجتزت الباب إلى الخزينة .

فلما خرجوا بي ، يممت شطر شباك كاتب الحسابات، ومددت إليه يدى برزمة الأوراق، وفعلت ذلك بسرعة وحدة كأنني حاوٍ من الحواة يصنع بعض حيله .

كان وجهى شاحباً كوجوه الموتى من شدة هذه المحنة المرهقة التي أمرّ بها .

ثم قلت له : « خذه فأودعه » ، وكانت نغمة صوتي توحى بأني أقول له : « دعنا نفرغ من هـذه البلوى المضنية بأسرع ما نستطيع » .

فأخذ مني المال ودفعه إلى كاتب آخر ، فأمرني هذا أن أكتب مقدار المال على ورقة وأوقع بإمضائي في سجل عنده . ولم أعد بعدئذ أحس بما كنت أصنع ، فقد غام المصرف في عيني وماج مائجه .

ثم قلت بصـوت أجوف مضطرب :

« أفرغنا من إيداع المال ؟ »

فقال الكاتب : « نعم » .

فقلت : « إذن فأنا أريد أن أكتب شيكا » .

وكانت نيتى أن أسحب من المال المودع ستة ريالات لقضاء حاجاتى ، وما هو إلا أن امتدت إلىّ يدٌ بدفتر شيكات من بين القضبان ، ثم إذا إنسان آخر قد أخذ يعرفنى كيف يكتب الشيك ، وخيل إلىّ أن الناس الذين حولى قد وقع فى نفوسهم أنى مليونير مخبول العقل.

فكتبت شيئاً لا أدرى ماهو على شيك ودفعته إلى الكاتب ،فنظر فيه ثم قال متعجباً :

« ماهذا ؟ تريد أن تسترد المال كله ثانية ؟ »

فعرفت عندئذ أنى كتبت ستة وخمسين ريالا مكان ستة ريالات . لقد سبق السيف العذل ، وأيقنت أنى عاجز كل العجز عن تفسير عملى هذا . وإذا الكتبة جميعاً قد كفّوا وألقوا أقلامهم وأخذوا ينظرون إلىّ . فهجم على اليأس ، فتوكلت على الله وحزمت أمرى كما يتفق :

« نعم – أريد المال كله »

قال الكاتب : « أتريد أن تسحب مالك من المصرف ؟ »

قلت : « نعم – إلى آخر مليم » .

فقال متعجباً : « أعزمت على أن لا تودع بعد اليوم شيئاً ؟ » .

قلت : « كلا ، لن أودع ماحييت » .

وطافت برأسى فكرة حمقاء خيلت لى أنهم سوف يظنون أنى لقيت منهم شيئاً ساءنى وأنا أكتب الشيك ، فلذلك غيرت رأيى ، وبذلت جُهد الجاهد حتى أبدو فى عيونهم كأنى إنسان حديد الطبع مجنون الغضب ، ولكن ذهب كل جهدى سدًى .

واستعدّ الكاتب لدفع المال إلى . ثم قال : « كيف تريده ؟ »

قلت : « ماذا تقول ؟ »

قال : « كيف تريده ؟ »

قلت : « آه » فقد أدركت ماذا يعنى ، ثم قلت له دون أن أفكر : « أريده أوراقاً من فئة خمسين ريالاً »

فأعطانى ورقة من فئة الخمسين وقال : « والبقية كيف تريدها ؟ »

قلت : « كما تريد » وأخذت المال وانطلقت خارجاً .

فلما انصفق الباب الكبير بعد خروجى ، خيل إلى أنى أسمع صدَى الضحكات تتردد فى جوانب المصرف . ولست ألوم من كان فى المصرف ، ولكنى ظللت زمناً طويلا وأنا أتلوَّى من هول تلك الذكرى ، ومن هول مانزل بى حين لقيت مدير المصرف .

واليوم أصبح ما بينى وبين المصارف عامراً بيد أنى لا أكاد أطأ عتبة المصرف بعد أن أقبض على زمام عقلى بيد من حديد .

كشفت شركة كبيرة أن فى نفس العامل سراً ، هو الطريق إلى الإنتاج الوفير والسلام فى المصانع .

ماذا يحفز العامل إلى العمل ؟

ستيوارت تشيس

هذا بحث لم يزل دائراً بين عمال المصانع منذ ست عشرة سنة ، وهو من أروع البحوث وأعظمها شأناً ، وقد تولته شركة « وسترن إلكتريك » فى مصنع لها قرب مدينه شيكاغو . ولو ظفر مديرو المصانع، كبيرها وصغيرها ، بما أسفر عنه هذا البحث فى فهم العلاقات بين العمال وأعمالهم ، لحدث انقلاب فى الصناعة لايقوَّم بمال .

وقد قضى خبراء الكفاية فى الإنتاج الصناعى زمناً طويلاً وهم يحاولون أن يستطلعوا خير ما يفضى إلى أقصى الإنتاج كل يوم ، من عدد ساعات العمل وأساليبه، والأحوال التى يتم فيها . وقد كشف الباحثون فى هذا المصنع شيئاً أعظم خطراً من ساعات العمل وأجوره وأحواله ، وهو شىء زاد الإنتاج دون أن يتأثر بأى تغيير طرأ على أحوال العمل .

وهذا الشىء الخفى منطو فى أعماق طبائع البشر ، لم يعثر عليه خبراء التعب والإجهاد ، وتجاوزه الرجال الذين يحاسبون العمال على الثوانى من ساعات العمل . وقد كان يهجس فى نفوس مديرى المصانع أن هناك شيئاً ، ولكنهم لم يعرفوا ما هو ، فحاولت شركة « وسترن إلكتريك » أن تستكشفه .

وعمال هذه الشركة ، عدتهم ٣٠ ألفاً من ستين أمة مختلفة ، وهى تصنع معدات لأجهزة التلفون ، وقد كان دأبها أن تساير التقدم الصناعى والاجتماعى ، فلها نظم لمنح المعاشات ، ومكافآت للعمال فى أيام المرض ، ولها مجلس يتولى تدبير كل مايضمن سلامة العامل ، وصناديق للتوفير ، وأندية للهو العمال ورياضتهم ، ومع ذلك كانت أسباب النزاع تمزق أحشاء هذه الشركة فى أيام الرخاء التى أعقبت نهاية الحرب العالمية الأولى .

وفى سنة ١٩٢٤ أقدمت هذه الشركة على دراسة تأثير الضوء فى العمل . وكان الرأى أن الإنتاج يزدادإذا كان الضوء أقوى وأبهى، فاختار الباحثون جماعتين من العمال، فكانت الجماعة الأولى تقوم بعملها فى ضوء ثابت من قدر معين ، وأما الثانية فكانت

تقوم بعملها فى ضوء أقوى ، فإذا إنتاجها قد زاد . وهذا ما كان الباحثون يتوقعونه .

ولكن إنتاج الجماعة الأولى ازداد أيضاً دون أن تزداد قوة الضوء عندهم مقدار شمعة واحدة ، فكان هذا أمراً يحير الألباب .

بيد أنهم لم يلبثوا حتى وقعوا على نتائج أخرى أشد تحييراً للألباب، فقد جعلوا ضوء الجماعة الثانيـة أضعف من ضوء الجماعة الأولى ، فازداد إنتاجها ! وازداد أيضاً إنتاج الجماعة الأولى . رباه ماهذا الأمر العجيب !

وجعل الباحثون يتلمسون الجواب تلمساً، فصاروا يتولون بالبحث الدقيق ناحيـة بعد ناحيـة من أحوال العمل ، حتى صارت مهمتهم بحثاً علمياً دقيقاً ، وحتى صار يعاونهم فيه رجال من معهد الصناعة فى ماساشوستس وجامعة هارفرد ، ومؤسسة روكفلر ، ولما ينته بعد . وقد وضع كتاب فى وصف هذه البحوث جعل عنوانه « الإدارة والعامل » ، فوصفته مجلة « مشكلات الموظفين » فقالت: « إنه أتمّ بحث فى العلاقات الصناعية نشر حتى يومنا هذا » .

وقد جاء فى أثر تجربة الضوء مشروع ضخم عقد الباحثون عليه أملهم فى أن يعينهم على فهم سر المسألة الأصيلة — عدا بعض المسائل الصغيرة — مسـألة : ماذا يحفز العامل إلى العمل ؟

فاختاروا جماعة من ست فتيات عاملات يتولين تجميع أجزاء جهـاز من أجهزة التلفون ، بل إنهم اختاروا فتاتين ، وطلبوا إليهما أن تختارا أربع فتيات من صويحباتهما فى العمل — وهذا أمر كان له أثر عظيم تكشفت عنه التجربة فيما بعد . وهذا الجهاز صغير الحجم مؤلف من أربعين جزءاً . وكانت مهمة الفتيات أن يأخذن هـذه الأجزاء من طبق أمامهن ، ثم يركبنها ، وهو عمل يصح أن يتخذ مثالا لأعمال الصناعة فى عصر الآلات .

وقد جلست الفتيات الستُّ على مقعـد واحد طويل فى حجرة خاصـة ، وكانت أصابعهن الخفيفة لا تعرف السكون ، فلا تمر دقيقة أو نحوها حتى تكون الفتاة الواحدة قد أتمت جهازاً واحداً ، فتلقيـه فى وعاء خاص، فتتولى آلة صغيرة إحصاء ما يتمّ صنعه. وظلت هذه الآلة خمس سنوات تحصى بغير انقطاع ما يتمُّ صنعه ساعة بعد ساعة ، ويوماً بعد يوم ، وأسبوعاً بعد أسبوع .

وكان فى الحجرة رجل يمثل جماعة الباحثين ، وكانت مهمتـه أن يتبين ماقد يحدث من حادث يستوقف الاهتمام ، وكان عليه أن يكون للفتيات صديقهن ومستشارهن، فيبين لهن البواعث على التجربة ، وأساليبها، ويطلب منهن إبداء مايعنّ لهن من آراء

وملاحظات ، ويستمع إلى شكواهن .

وكان الرأى أن تنصرف الفتيات إلى العمل كما عهدنه فى سابق الأيام ، وأن تُحصى الأجهزة التى يصنعنها ، فتتم لجماعة البحث معرفة المقدار الأساسى الذى تستطيع الفتاة أن تصنعه من هذه الأجهزة ، ثم أن يدخلوا على العمل وجوهاً من التغيير ، وجهاً بعد وجه. فإذا أفضى التغيير الواحد إلى نقص عدد الأجهزة ، فهو تغيير فاسد ، أما إذا ما أفضى إلى زيادة عدد الأجهزة فهو تغيير صالح مجدٍ ، فيعمم فى جميع أقسام المصنع . وهذا شىء واضح لامراء فيه !

بيد أن الحيرة التى أخذت الباحثين ساعة اطلعوا على نتائج هذه التجربة ، فاقت حيرتهم ساعة اطلعوا على نتائج تجربة الضوء . وقد جعلوا يسألون أنفسهم لِمَ لا تفعل الفتيات الست ما ينتظر منهن أن يفعلن ؟ ومرت الأشهر والسنون ، فازداد الأمر غموضاً ، ولكن العلماء علماء ، فمضوا فى التجربة لا يلوون على شىء ، وهم يسجلون مايحدث تسجيلا دقيقاً ، سواء أأدركوا سره أم لم يدركوه .

وقد دامت هذه التجربة زمناً جعلوه على فترات ، كل فترة تتفاوت من أربعة أسابيع إلى اثنى عشر أسبوعاً .

ففى الفترتين الأوليين كانت أحوال العمل كما عهدت : ٤٨ ساعة فى الأسبوع ، ومنها أيام السبت . فكان يجرى العمل كل يوم ٨ ساعات متوالية بغير توقف ، وكانت الفتاة الواحدة تصنع ٢٤٠٠ جهاز فى الأسبوع .

أما الفترة الثالثة فقد جعل الأجر فيها على أساس عدد الأجهزة التى تصنعها الجماعة ، فزاد الإنتاج وهو شىء متوقع .

وفى الفترة الرابعة أتيح للفتيات أن يتوقفن مرتين عن العمل للراحة ، كل مرة خمس دقائق ، فزاد الإنتاج أيضاً .

وفى الخامسة زيدت مدة الراحة مرتين إلى عشر دقائق ، فزاد الإنتاج زيادة كبيرة .

وفى السادسة جعلت مرات الراحة ستاً ، وكل منها خمس دقائق ، فقلّ الإنتاج قليلا . وقد شكت الفتيات أن تعدُّد أوقات الراحة يقطع عليهن انتظام العمل .

وفى السابعة جعلت أوقات الراحة مرتين ، قدّم فى إحداهما للفتيات بعض الطعام على حساب الشركة ، فزاد الإنتاج .

وفى الثامنة كانت أحوال العمل كمثلها فى السابعة ، غير أن الفتيات انصرفن فى الساعة الرابعة والنصف مساء بدلا من الخامسة ، فزاد الإنتاج زيادة كبيرة .

وفى التاسعة ، جعل زمن الانصراف فى الساعة الرابعة ، فظل الإنتاج كما هو فى الثامنة .

وفى العاشرة عادوا فجعلوا زمن الانصراف فى الساعة الخامسة . أفتَّ ذلك فى عضد الفتيات لأنهن خسرن ساعة من ساعات النهار كنَّ خليقات أن ينصرفن فيها إلى الراحة أو اللهو ، كلا — فقد زاد إنتاجهن زيادة عظيمة . فازدادت حيرة الباحثين ، وصارت الآراء التى بنوها على نتائج الفترات الأولى تتهاوى بين أيديهم . فثمة قوة خفية لم ينفذوا إليها تزيد الإنتاج . فجعلوا العمل فى الفترة الحادية عشرة خمسة أيام فى الأسبوع (عطلة فى يومى السبت والأحد) فظلَّ مستوى الإنتاج كما كان فى العاشرة ، ومن ثمَّ تأهبوا للامتحان الأعظم .

ففى الفترة الثانية عشرة ، حرموا الفتيات كل تحسين أدخل على أحوال العمل فى أثناء الفترات السابقة جميعاً ، وعادت الفتيات يعملن كما كن يعملن فى الفترة الثالثة — ٤٨ ساعة ، بغير وقت للراحة فى النهار وبغير طعام يقدَّم لهنَّ على حساب الشركة . ولو صحَّ ما أخذ به رجال الإدارة فى المصانع ، لكان هذا الرجوع عن تحسين أحوال العمل خليقاً أن يسحق نفوس الفتيات ويقلّل ما ينتجنه من الأجهزة . ولكن بدلا من ذلك قفز الإنتاج إلى أعلى مستوى بلغه فى التجربة كلّها ، إذ بلغ ما أنتجته كلُّ فتاة ٣٠٠٠ جهاز فى الأسبوع .

فزادت حيرة الباحثين واشتدت دهشتهم ، فقد كانوا يظنون أنهم عادوا بالفتيات إلى « أحوال العمل المعهودة » ، ولكنهم تبينوا أن تلك الأحوال قد زالت إلى الأبد . فقد طرأ على التجربة عامل خفىٌّ غيَّر التجربة ذاتها ، وهذه الجماعة من الفتيات هى غير الجماعة التى بدأوا التجربة بها .

وهذا العامل الخفىُّ لم يكن فى ناحية الإنتاج من عمل المصنع ، بل فى ناحيته الإنسانية ، فقد تغير نظر العاملات إلى عملهن . ذلك بأنه لما سعى رجال البحث إلى العاملات يسألونهن المعاونة والمعونة ، جعلوا العاملات يشعرنَ بأن لهن شأناً عظيما ، فتغيرت نظرتهن إلى العمل ، فبعد أن كانت كلُّ فتاة تعدُّ نفسها قطعةً من آلة كبيرة ، صارت تحسُّ أنها واحدة من جماعة متآلفة ، همُّها أن تعين الشركة على حلّ مشكلة . فهذا مكان يشعرن فيه بالاطمئنان والاستقرار ، وهذه جماعة يشعرنَ أنها جماعتهن ، وهذا عمل يدركن غرضه إدراكا بيِّناً ، فصار إنتاجهن أسرع وأحسن مما كان فى سابق أيامهنّ .

والمصنع يؤدى مهمتين خطيرتين : الأولى اقتصادية هى إنتاج البضائع ، والثانية اجتماعية هى أن يتيح لعماله وعاملاته ما يرضى نفوسهم . وقد انصرف معظم البحث الذى تولاه خبراء الإنتاج من قبل إلى المهمة الاقتصادية ، وقلّما

اهتموا بالمهمة الاجتماعية ، حتى كانت تجربة مصنع « وسترن إلكتريك » فأثبتت أنه لا يسعك أن تفصل إحدى المهمتين عن الأخرى . فإذا كانت المهمَّة الاجتماعية مضطربة ، فلن يجديك فى زيادة الإنتاج أن تتوسل بما فى نواحى الدنيا كلها من وسائل تزيد كفاية العامل فى عمله .

فلما تمَّ هذا الكشف ، اتضحت نتائج التجربة السالفة فى الضوء . فقد أحسَّ أعضاء الجماعتين فى تجربة الضوء أنَّ لهم شأناً خطيراً ، فازداد إنتاجهما بصرف النظر عن قوة الضوء أو ضعفه .

وقد أسفرت تجربة الفتيات فى صنع أجهزة التلفون ، عن نتائج أخرى . فقد ثبت من البحث الطبي فى فترات معيَّنة أن الفتيات لا يلحقهنّ إعياء تتجمع آثاره فى أبدانهن ، وأنهن كنَّ يعملنَ غير مرهقات . فإذا أضناهن سير العمل على وتيرة واحدة مملة ، فاهتمام كل واحدة بجماعتها كان خليقاً أن يقضى على هذا الشعور . وقد قل تغيبهن ، بل صرن متلهفات على الحضور .

وكان لكل عاملة أسلوبها الخاص فى تجميع أجزاء الجهاز ، ولا تهيَّبُ أن تحدث بعض التعديل فى الأسلوب المألوف ، وعلى قدر ذكاء العاملة يزداد التعديل ، وهذا كفيل أن يجعلها تهتم بما تعمل . فمن الخير لخبراء الإنتاج أن يتجنبوا ما يقتل هذا الاهتمام .

وكانت جماعة الفتيات تروح وتجىء كما تشاء ، وتتحدث كما تشاء ، لا تقيِّد حركاتهن وسكناتهن عينُ مشرف صارم ، فألفين أنفسهن يستمتعن بما يفعلن وجاهرن بذلك ، وقلن إنهن شعرن كأن ليس لهن رئيسٌ يهيمن عليهنَّ .

بيد أن الشعور بالحرية كان مقترناً بالشعور بالتبعة ، فصرن يأخذن أنفسهنَّ بنظام دقيق ، وصرن يعملن كأنهن جماعة واحدة ، فإذا تخلَّفت إحداهنَّ عن الإنتاج لتعبٍ أصابها ، ساعدتها صاحباتها على عملها . وعمدن إلى الاجتماع فى حفلات خارج المصنع ، وكنَّ يختلفن فى الحين بعد الحين ، ولكنهن كنَّ يشعرنَ فى قرارة نفوسهنَّ أنهنَّ أعضاء عصبة واحدة . فهذه آصرة كالآصرة بين أبناء القبيلة الواحدة ، قضت عليها الصناعة الحديثة أو كادت .

ولا يذهبنَّ بك الظنُّ إلى أنَّ الباحثين حكموا بعد هذه التجارب ، بأن ساعات العمل وأجورهُ ، وفترات الراحة ، وقوة الضوء أمور لا شأن لها فى الإنتاج ، ولكنهم وجدوا أنه إذا تمّ العمل فى أحوال مؤاتية دون إرهاق ، فشعور العامل أعظم شأناً من عدد ساعات العمل .

وقد أجريت تجارب أخرى دقيقة فعززت هذا الرأى: ليس شعور العامل أهمّ من عدد ساعات العمل وحسب ، بل هو فى كثير من الأحيان أهم شأناً من الأجور . بل وجدوا أن اهتمام العامل بالنسبة بين أجره وأجور أصحابه من العمال ، أعظم من اهتمامه بأجره هو. والعامل يسخط سخطاً شديداً، ولو كان عالى الأجر ، إذا وجد عاملا أقل منه كفاية وأعلى منه أجراً، وسوف يتبين بعض مديرى المصانع أن العوامل الاقتصادية وحدها ليست أقوى العوامل أثراً فى نفس العامل .

وأحسّ رجال البحث أنهم عثروا فى نتائج هـذه التجربة على كنز فعزموا أن يجربوا تجربة ضخمة جريئة تشمل ٢١ ألف عامل ، وأن يسألوهم أن يصارحوهم بما يشكون منه وما رأيهم فى عملهم ، وفى أحواله ، وفى رؤسائهم ، وفى الشركة نفسها .

وذهب الرجال يقابلون العمال ، والنساء يقابلن العاملات ، وكانوا يعتمدون فى أول الأمر على أسئلة محضرة، فإذا انحرف العامل فى جوابه عن موضوع السؤال ردّوه إليه ، ولـكنه لا يلبث حتى ينحرف ثانية وثالثة . وإذن فهناك فى نفسه شيء يريد أن يبوح به ، وقد يكون هذا الشيء تافهاً فى نظر الناس، ولـكنه شيء خطير فى نظره هو . وهـذا هو ما يطلبه رجال البحث. فطرحت الأسئلة المحضرة، وسمح لكل عامل أن يقول ما يريد: هذا المشرف كذا وكذا ، وتلك الفتاة فيها كيت وكيت . وقد تكون الشكوى من وفرة الدخان فى حجرة ، أو من متاعب يلقاها فى البيت . ومهما يكن حديث العامل أو العاملة تافهاً فى ظاهره ، كان الإصغاء إليه والاهتمام به على أتمّ ما يكون .

فلما انطلقت نفوس العمال على هذا النحو ، شعروا براحة عجيبة . قال أحدهم : « خير راحة أن أزحزح هذا الثقل عن صدرى» ، وقال آخر: «هذا خير عمل صنعته الشركة» ، وقال ثالث : « ما كان يخطر لى أن أذهب إلى مكتب المدير فأبوح بما بحت به إليك» .

فلما نفّس العمال عن صدورهم ، حدث أمر غريب : صاروا يثنون على تحسينات جاءت من المصنع دون أن تصنع الشركة تحسيناً ما، ولقد صاروا يرون الطعام فى المطعم أفضل مما كان ، والرئيس أدمث أخلاقاً مما كان . وكان كل ذلك وهما من الأوهام ، فالتغير الذى تمّ إنما كان فى نظرتهم إلى العمل فيوم بثوا ما كان فى نفوسهم من شكوى متراكمة ، نظروا فرأوا الدنيا أحسن وأبهى .

ولعلّ أعجب ما أسفر عنه هذا التحول فى نظرة العمال إلى عملهم، أن العمال صاروا يشعرون بأن لهم آراء نفيسة فى إدارة الشركة وكيف ينبغى أن تكون . وكانت الشركة

تستمع إليهم ، فغدوا يحسّون بأن لهم فى الشركة منزلة ، فصاروا أصدقاء للشركة لاخصوماً لها .

وكان لهذه المقابلات أثر فى نفوس المشرفين على العمال ، فاهتمام الشركة بالتجربة أقنعهم بأنها تهتم بالعمال من حيث هم ناس من الناس وبعد أن اطلعوا على آراء العمال وملاحظاتهم صاروا يعاملونهم كأنهم رجال ونساء ، لامجرد وحدات للإنتاج كالآلات .

وترى اليوم شركة «وسترن إلكتريك» قد أنشأت نظاماً من المستشارين لعمالها ، وثمة مستشار واحد لكل ٣٠٠ عامل ، والحديث بين العامل ومستشاره يستغرق نحو ساعة ونصف ساعة ، وما يقال فيه سرٌّ مكتوم بينهما ، ومديرو الشركة لايطلعون إلا على الشكاوى ، وأما أسماء مقدميها فلا تعرف . ولا تفرض المقابلة على أحد ، ولكن قلَّ من يعترض عليها من العمال ، فالصلة بين العامل ومستشاره ، كمثل الصلة بين المريض وطبيبه ، فعلى المستشار أن يستكشف متاعب العمال وشكاواهم وما يفضى إلى نقص إنتاجهم أو فتور نفوسهم ، ثم يسعى جاهداً ليزيل ما يتبينه .

وأنت إذا نظرت إلى حقيقة نفس العامل ، وجدت دافعاً قويا يستحثه أن يكون فى بيئة يضرب فيها بجذوره ، ويحس أنه من أبنائها ، وأن له فيها عملا نافعاً ، وأن يدرك غرض هذا العمل ، ويشعر بأنه رجل ذو شأن فى إنجازه ، فإذا لم يفعل فترت عنه نفسه ، وتراكمت فيها الشكوى على الشكوى . وما الشعور بالضنى والتعب والملل ، سوى أثر من آثار هذه الخيبة التى تمنَى بها النفس ، وليست سبباً لها . وقد طال إهمال رجال الصناعة لمهمتها الاجتماعية ، فجنوا من ذلك إضراباً ، وضعفاً فى الإنتاج ، وتبذيراً فى قدرة العمال على العمل .

ولو تدبرت مآل هذا الرأى ، لتركك التدبّر محيراً مشدوهاً من عِظَم ما يُرجَى منه .

على ألسنة الحيوان

قالوا : عيّر ثعلب لَبُؤة بأنها إنما تلد فى عمرها كله شبلا واحداً ، فقالت له : « نعم ! إلا أنه أسدٌ » .

قالوا : وقف جدىٌ على سطح ، فمرّ به ذئبٌ ، فأقبل الجدى على الذئب يشتمه ، فقال له الذئب : « لست أنت الذى تشتمنى ، إنما يشتمنى الموضع الذى أنت فيه » .

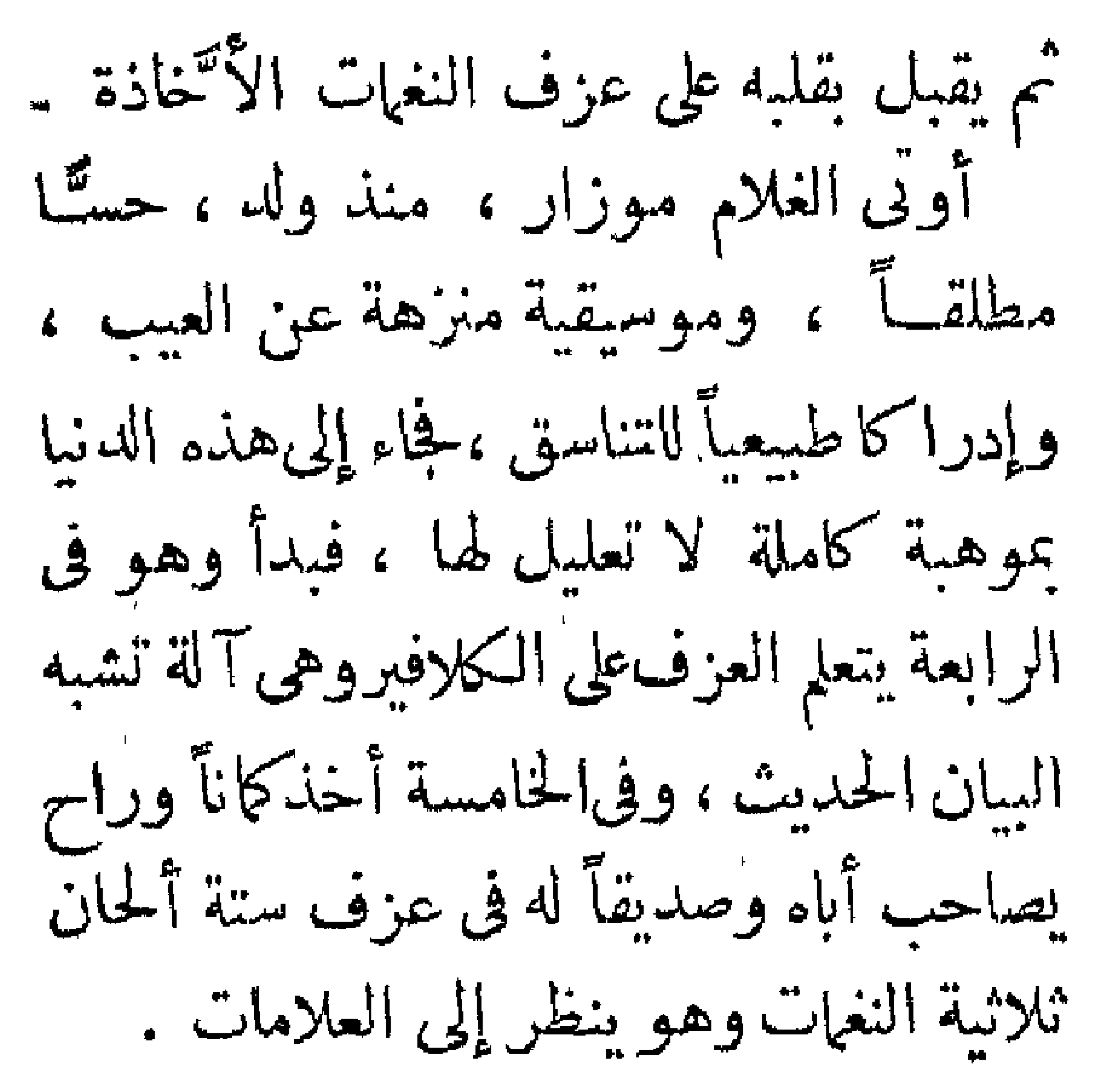


موزار
عبقرية في طفل

رونالد كلروس پيني

« آخر حفلة ..! وسيعزف الطفل الذي لم يبلغ السابعة على البيان والكمان ، ويرافق السمفونيات على البيـــان ، وقد غطيت مفاتيحه فكأنما يرى المفاتيح . وسيعين الأصوات عن بعد سواء أكانت مفردة أم مركبة . ويرتجل الألحان على البيان والأرغن ما رغب السامعون في ذلك . ثمن التذكرة نصف تيلر » .

بهذه العبارة التي نشرت في صحيفة ألمانية في سنة ١٧٦٣ كان الإعلان عن ولفجانج أماديوس موزار الموسيقي العبقري الذي لم يعرف العالم مثله في روحه العالمية — كأنما كان فلتة تتشهى العيون رؤيتها ، وكان بين المستمعين صبي آخر في الرابعة عشرة هو جوته ، وقد كتب له الخلود أيضاً . وقد ظل بعد ذلك بسنين يتذكر تلك الصورة البعيدة الوضَّاءة لذلك الموسيقي الصغير المرح الوجه ، الذي كان يعدو إلى مقعده أمام البيان في بزة بديعة مضحكة من الحرير البنفسجي ، وشعر مستعار أبيض ، ومعـــه سيف صغير ، ثم يقبل بقلبه على عزف النغمات الأخّاذة .



أوتي الغلام موزار ، منذ ولد ، حسًّا مطلقــاً ، وموسيقية منزهة عن العيب ، وإدراكا طبيعياً للتناسق ، فجاء إلى هذه الدنيا بموهبة كاملة لا تعليل لها ، فبدأ وهو في الرابعة يتعلم العزف على الكلافير وهي آلة تشبه البيان الحديث ، وفي الخامسة أخذ كماناً وراح يصاحب أباه وصديقاً له في عزف ستة ألحان ثلاثية النغمات وهو ينظر إلى العلامات .

قرأ هذا الغلام العلامات الموسيقية وكتبها قبل أن يقرأ الحروف ويكتبها . وله أصوات يرجع عهدها إلى العام السادس من عمره ، وتستطيع أن تعرف من مستهلها أنها من موسيقي موزار لا غيره . وهي رشيقة محكمة ، وفيها حياة نابضة ودقة وشجاعة ، فهي نتاج منشىء فذ وروح عظيم .

وكانت أصابعه وعقله سواء في المواهب . ففي العاشرة أذهل هذا الصبي الهولنديين بأن عزف عزفاً رائعاً على أكبر أرغن وأعقده في العالم . وفي الرابعة عشرة ذهبوا به

ليسمع فرقة الترتيل فى الفاتيكان تغنى قطعة « الميزيرير » الطويلة الصعبـــة ، وكانوا يعدونها من الأسرار ، حتى لقد نهوا المغنين أن ينقلوا نسختها وإلا عوقبوا بالحرمان . فحفظ الفتى كل نغمة ، ولما عاد إلى البيت دوّن القطعة كلها من ذاكرته ، ولما سمعها مرة ثانية أمضّه أنه أخطأ فى ثلاثة مواضع. وبدلا من الحرمان أنعم عليه البابا برتبة فارس من فرسان المهماز الذهبى .

وكان والد هذه الأعجوبة، ليوبولد موزار، وهو عازف كمان من الطبقة الثانية ومعلم من الطبقة الأولى فى سالزبرج بالنمسا ، وكان يجل عبقرية فتاه ، ولكنه مع ذلك استغلها، فحمل الفتى وأخته — وهى عازفة بيان موهوبة — وذهب يطوّف بهما فى أوربة . وقد عزف الطفلان أمام حكام فرنسا وبريطانيا والأسرة الإمبراطورية فى النمســا ، حيث زلت بالفتى رجـله على بلاط القصر فورم جبينه ، ولاطفته فتاة أعانته على النهوض على قدميه فعرض عليها ،على سبيل الشكر ، أن يتزوجها حين يكبران ، ولكن القدر كان قد أعدّ مصيراً آخر لمارى أنطوانيت، فقد صارت زوجة لويس السادس عشر !

ولم تكن المركبات المكركرة والطرق الموحلة، والفنادق الزرية ، والساعات الطويلة الشاقة لتستنفد مرح الصبى أو تفتّر روحه . وكثيراً ما كان الســامعون لفرط طربهم يأبون أن يغادروا مقاعدهم ، فيمضى الصبى السّمح فى العزف وكأنما ضُرب عليه سحر، ويبتكر صوتا بعد صوت ، وتنحدر النغمات واحدة بعـد الأخرى كأنها شآبيب الربيع ترقص قطراتها على الأزاهير، إلى أن يضطر أبوه إلى أن يأمره بالكف، فيغدق السادة والســيدات على الصبى الثنــاء والتصفيق والألطاف . وما من شىء من هذا استطاع أن يفقد الصبى ما فطر عليه من الرقة والدماثة.

على أن دخل هذه الرحلات كان يجىء دائما دون النفقات ، لأن المستمعين من علية القوم كانوا يدفعون عيناً — علب نشوق ومشابك أحذية وحلى زهيدة . وكان أبوه موزار يتقبل كل هـذا بانحناء ، ويحمل الطفلين ليكسبا عشاءهما بالعزف فى مكان آخر.

وكان الأب هو المعلم الوحيد للفتى ، فإن ابنه لم يذهب قط إلى مدرسة ولكنه عكف مسروراً على كل ضروب العلم ، وكان علم الحساب يفتنه على وجه الخصوص ، فكان يكتب الأرقام على الموائد والجدران مسحوراً بعلم يستطيع أن يؤدى الجواب الصحيح الوحيد الذى لا يعتوره نقص. وهذا سرّ يبين لنا كيف جاءت موسيقاه صحيحة كاملة مرضية للنفس أتم الرضى . غير أن موزار سعيد ،

ورقيق، وودود أيضاً، فهو محبب إلى القلوب كموسيقاه التى ترتاح النفوس إلى سماعها .

كان الناس فى زمان موزار يرون أن بعض أصواته « مسرفة فى الجدّة والتقدم والسبق »، أما فى آذاننا فإنه يخيل إلينا حين نسمع قطعة له أننا كنا نعرفها ونحبها طول حياتنا . والسبب فى هذا هو أن موزار كان له تأثير عميق فى موسيقى العصور التالية . وقد كان بيتهوفن دائم الدرس له ، وأثنى عليه هايدن ثناء خالصاً بأن قلده، وأشرب شوبان روحه وكان مما قاله وهو فى سياق الموت : « اعزفوا موسيقى موزار لذكراى » ، أما فاجنر المتكبر فقد أحنى له رأسه ، وتستطيع أن ترد كثيراً من الروح المرحة فى موسيقى الفالز لشتراوس ، وكثيراً من أغانى شوبير العظيمة ، إلى ينبوع موزار الصافى .

وكانت الأغانى تنبثق من أطراف أصابعه انبثاقاً ، وكان يجلس فى مركبة مرتجة وينقر بأصابعه على ركبته ، وديباجة وجهه مشرقة حتى يتم صوغ الصوت فى رأسه ، فيدوّنه على رقعة من الورق . وفى الرابعة عشرة من عمره أخرجت أحدث أوبرا له فى ميلان تحت إشرافه ، وعزفتها أكبر فرقة فى أوربة . وفى الخامسة عشرة كان قد ألف أربع عشرة سمفونية وست أوبرات قصيرة .

وفيما بين الخامسة عشرة والحادية والعشرين غزا أصعب ميدان للتأليف الموسيقى من الوجهة الفنية ، حيث يكون مجرد الخطو فيه مدعاة للمقارنة بينه وبين أساتذة الموسيقى السابقين ، فأثبت عندئذ أنه أستاذ لهم جميعاً . وكانت مواهبه كأنها نجم جديد مندفع هاوٍ إلى الأرض يزداد كل عام إشراقاً ونوراً .

وكان العدل يقتضى أن يولى أسمى منصب موسيقى يستطيع إمبراطور النمسا جوزيف الثانى أن يمنحه إياه ، ولكنه لقى بدلا من ذلك إهمالاً وزراية من الإمبراطور الذى خشى مأجوروه الأنذال موهبة موزار العظيمة وغاروا منها ، فراح منافسوه يحولون دون عزف آثاره وإخراجها ، أو يرشون العازفين ليفسدوها، ولم يكن هناك حقوق للتأليف تحمى المؤلف ، فمتى اشتهرت قطعة من الموسيقى فإن فى الوسع عزفها بغير قيد ، بل أن تنسب إلى رجل آخر .

وكان الضمان الوحيد للمؤلف هو أن يلحقه بلاط أو رجل ثرى بخدمته، وقد نال موزار وظيفة كهذه مرتبها ٦٧ ريالا فى السنة ! عند رئيس أساقفة سالزبرج ، فكان يأكل مع الخدم ، وكان الأسقف يعتقد أنه بإهانته يرغمه على القناعة بما نال ، فاستقال واستقر فى فينا وصار فناناً حرًّا .

ولما مات الموسيقار الشهير كريستوف

فون جلوك ، خلفه موزار على وظيفته — « مؤلف البلاط » ، ولكن بما لا يكاد يجاوز نصف مرتب فون جلوك ، ومع ذلك حمد الله على هذا وسُرَّ به ، لأنه كان قد اندفع فتزوج وهو صغير ، ولأن الأطفال كانوا يجيئون تباعاً .

وكانت زوجته كونستانز ويبر ، إحدى فتيات أربع جميلات في أسرة كل من فيها مولع بالموسيقى . وكانت كونستانز بنتاً ضحوكاً في الثالثة عشرة من عمرها حين رآها موزار أول مرة — أو على الأصح حين تخطاها بعينه إلى أختها ألويزيا التي كانت بنت خمس عشرة سنة ، وكان قوامها فاتنـاً وصوتها جميـلا ، ووعدته ألويزيا أن تنتظره حتى يذهب إلى باريس في طلب الثراء ، فلما عاد خائباً كانت هي قد أدركت مناها في دار الأوبرا . وقد سئلت بعد ذلك بزمان طويل لماذا انصرفت عن موزار ، فقالت معترفة : « خيل إليّ أنه رجل لن يكون له شأن » .

والتقطت كونستانز أشلاء قلبه المحطم ، فتزوجا على الرغم من غضب « أبيه » وعدم صفحه . وكانت « ستانزى » شقراء صغيرة حسنة الصوت ، وخير رفيقة للتنزه في غابات فيينا ، ولكنه ينقصها قدرة الزوجـة على تدبير المنزل . وكان موزار يرى شجو هذه الفتاة المرحـة وقد نشبت فيها أظافر الفقر والحمل والوضع ، فراح يبذّر المال وينفقه على الألطاف الصغيرة ، ليردّ إلى محياها ابتسامة الجذل اللاهي الذي استهواه . وشر من ذلك أن صحتها كانت ضعيفـة ، وكانت ولادتها غليظة العذاب ، وقد مات خمسة من أولادها السبعة في حداثتهم .

وكانت متاعب موزار من الكثرة بحيث كانت حقيقة أن تغرى أي موسيقار آخر بتأليف الأصوات المحزنة ، ولكنه لم يضمّن قط موسيقاه شيئاً من الأسى والنكد والمذلة التي لقيها في حياته . فكان ، كلما ازدادت أحواله سوءاً ، يصب شجاعته في فنه ، ولم تكن شجاعته كئيبة بل مرحة كشدو الطير .

ولـكى يؤدى ما عليه للجزار ويصرف المحضر (الذى كان يزوره مراراً ويخرج بقطع شتى من الأثاث) ، راح موزار يقيم حفلة بعد حفلة ، وكان يؤلف قطعة جديدة لـكل واحدة ، وكثيراً ما كان ينتهى من وضعها في آخر لحظة ، وقد صاغ طائفة من أعظم ألحانه في بضعة أيام ليس إلا .

وكان من العسير على موزار أحيانا أن يجد في شتاء فيينا المشهورة برطوبتها ، ما يحتاج إليه من الدفء للعمل ، وقد زاره بعضهم مرة فألفاه هو وامرأته يرقصـان طرباً ، فالأمر كله فكاهة ، ولكن الحقيقة هى أن البرد كاد يقتلهما ، فانطلقا يتحركان بغير وعى ،

وقد أسرع صديقهما فخرج وجاءهما بوقود.

ولكن الصديق الذى يعدُّ العالم مدينا له بالفضل أكثر من غيره ، كان تاجراً اسمه بوشبرج، وكان لايفتأ يقرض موزار مبالغ صغيرة من المال كلما تقطعت به الأسباب . وإنا لنقرأ رسائل موزار التى يتوسل فيها إلى صديقه أن ينجده ، فيتلهب سخطنا إذ نتبين أن هذا العبقرى المشرق اضطر أن يهوى إلى وهدة ذل السؤال .

وفى براج — على الأقل — فهم الناس موزار فى حياته وهاموا به . ولما دعى إليها ليدير الأوبرا المرحة التى وضعها « زواج فيجارو »،وكانت قد قوبلت بفتور فى فيينا، وجد أنه ما من شىء يدندن به الناس فى الشوارع سوى فيجارو ، ووضع وهو هناك سمفونية براج الجميلة ، وما لبث أن عاد إلى براج ليؤلف أوبرا خاصة لهذه المدينة التى تعشق الموسيقى .

وقد كان ذلك من أطيب أوقات موزار وكونستانز حين رحلا فوق الجبال إلى عاصمة بوهيميا البهيجة ، حيث عكف موزار على وضع « دون جيوفانى » التى توصف بأنها « الأوبرا الكاملة » . وكان دابونتى الشاعر الذى نظم لها الشعر ، صعلوكا مرحاً يسكن على الجانب الآخر من الشارع الذى فيه بيت موزار ، وكان ربما أطل أحدهما من النافذة وصاح بالآخر يدعوه إلى المجىء وسماع بضع صفحات جديدة ، وربما أدخلا السرور على قلوب براج كلها ، إذ يراهما الناس يخطران معا فى الشارع ويغنيان للحانة من أجل زجاجة من النبيذ .

وكان المعجبون بموزار يحتفلون به ويولمون له فى كل مكان ، وبلغ من كثرة ذلك أن ضاق وقته . وفى اليوم السابق لعرض الأوبرا ، كان استهلالها لم يوضع بعد، وأضيئت الأنوار فى المسرح ، وحينئذ فقط أعطى رجال الفرقة العلامات المدونة فعزفوا ألحانها المثيرة دون تدريب سابق .

ولم يسبق قط أن تناولت الموسيقى موضوعاً فكاهياًعلى هذا النحو البارع الممتع، على أن أوبرا « دون جيوفانى » مأساة أيضاً، وقد تبدى فيها موزار كاتباًذا اقتدار شيطانى ومواهب مسرحية جليلة ، فطالت ساعات الموسيقى الثلاث حتى صارت ستًّا من كثرة التصفيق والاستعادة . وأنقذ الدخل صاحب المسرح من الإفلاس، ولكن المؤلف لم يأخذ إلا مبلغاً يسيراً كان متفقاً عليه .

وكان نجم حياته القصيرة يبدو كأنه يزداد سرعة وتوهجاً وهو منطلق إلى الظلام الأبدى. وتعدُّ سمفونياته التسع الأخيرة — التى لم يعزف بعضها فى حياته — جديرة بمثل المنزلة التى تبوأها سمفونيات بيتهوفن التسع.

وكثيراً ما يقول بعضهم عن موزار بلهجة الاستخفاف إنه ظريف ، لأنهم لا يعرفون إلا أغانيه الصغيرة التي يشدو بها الأطفال ، ولكنك لا تستطيع أن تستمع إلى موسيقاه كلها دون أن تفطن إلى مبلغ عمقه .

وفي العام الخامس والثلاثين من عمره ، وعلى الرغم من مرضــه الشديد في فيينا ، ألف الأوبرا المشهورة «الناي السحري» ، وهي حافلة بالأغاني الرائعة ، وأخرجها مخرج على عجل في مسرح مرتجل ، فذاع أمرها ، واحتشدت فيينا كلها تستمع إليها ، وأصاب المخرج من المال ما يسر له بناء مسرح جديد ، ولكن موزار كان قد ألح عليه المرض فلم يشهد إخراجها ، فكان ينظر إلى ساعتــه وهو طريح ويقول : « الآن يرفع الستار» ، « الآن يجتازون النار سالمين على صوت الناي السحري »

وقبل ذلك ببضــعة شهور زار موزار رجل غريب جهم الوجه خوّله ســـيده ، على ما قال ، أن يكلف موزار بتأليف موسيقى لجنازة تصلح لأصوات الذكور والإناث إكراماً لزوجته ، وأبى الزائر أن يذكر اسم سيده ، والمعروف الآن أن هذا السيد هو الكونت فالسيج ، وأنه كان مولعاً بتكليف رجال الموسيقى أن يضعوا له الأصوات سراً ، ثم ينتحلها لتعرف بعد ذلك باسمه

وقد حالت موانع كثيرة بين موزار وتسليم القطعة ، وكان الرسول يجيء من حين إلى حين ليستعجل المؤلف ، وأصبح موزار يهذي في مرضه ويتخيل أن هــذا الرسول قادم من العالم الآخر ، وأن هذه الموسيقى ستعزف في جنازته هو نفسه ، فحاول كالمحموم أن يتمها . وقد جاءت مخيفة في قوتها وسبْرها لأعمق أغوار الحزن والندم ، وتقصيهــا لأبعد آفاق اللهفة الإنسانيــة على الخلود ، وختامها إعراب عن الإيمان الصريح المكين . وحفّ به على سرير موته صفوة إخوانه ، فارتسمت على شفتيه أنغام النفخ في الصور يوم القيامة ، كما صورها في موسيقى الجنازة

واجتمع نفر من الأصدقاء في جو مظلم مؤذن بعاصفة ليحضروا صــلاة قصيرة على جثمان موزار ، ولما خرجوا يشيعونه إلى المقبرة أومض البرق وهطل المطر وعصفت الرياح ، فكروا راجعــين ومضت المركبة بالنعش بلا رفيق . وفي حفرة بين عظام العيّارين والمومسات ، سوّى التراب على الهيكل الذي سكنته أعذب روح موسيقية ظهرت على وجه الأرض .

وانتصر موزار على الغبن والمرض والدّين والموت نفسه ، فإنّ ردّه على كل ما كان زريّاً أو مروّعاً لا يزال ينضح بنشوة الحياة .

هبات كريمة لا تكلفك مالا .

ليس لزاما أن تكون غنيا

كورين أبدجراف ولز

مختصرة من مجلة " دى روتيريان "

يعتقد كثير من الناس اعتقاداً راسخاً أن لاخيرَ إلا فيما يبذلونه من حُرِّ أموالهم ، وذلك أشبه بالفكرة القديمة التى تقول إن الدواء إذا لم يكن كريه الطعم فهو دواء لاخير فيه . وأعلم الناس بحقيقة هذا الأمر هم الذين يحبون فعل الخيرات ولكنهم لايجدون ماينفقون. فهم يستغلون ما آتاهم الله من البراعة، فإذا هم يجدون أساليب غير مألوفة تتيح لهم أن يَسْعدوا هم ويُسعِدوا سواهم.

خُذْ الوقت مثلا : فقليل من وقتك تبذله قد يكون ثروة فى عيون بعض الناس. وقد كان لى صديقة اسمها « ب » ، فذهبت إلى إحدى جاراتها ، وكانت أماً أثقلتها أعباء البيت ، فقدمت إليها هدية ، وكانت الهدية أن تتولى عنها العمل بعد ظهر الثلاثاء من كل أسبوع مدة ٤٨ أسبوعاً ، فكانت تحلّ محل الأمّ التى لا تستطيع أن تستأجر من يعينها، والتى لاتجد فرصة للراحة والاستجمام. فكانت ترفو للصغار جواربهم ، وتحكى لهم الحكايات ، على حين تخرج الأم فتستمتع ما شاءت بتلك الساعات من كل أسبوع .

وهذا شيخٌ متقاعدٌ أحزنه أن لايجد مالاً يهبه لأحد ملاعب الصغار فى قريته . فاقترحت عليه زوجته الذكية أن يقضى الصباح كله فى الملعب يعلم الصغار كيف يصنعون الطيارات والزوارق من الورق . فكانت معونته على نجاح الملعب كمعونة الواهبين من أموالهم .

والمهارة أيضاً هبة كريمة توهب. ولا يكاد يخلو أحد منا من مقدرة أو مهارة تنمو على الإنفاق والبذل . فهذه امرأة نَصَف كانت حاذقة فى العمل بإبرتها ، وكانت تقيم فى مثوى (بنسيون) ينزله بعض الشبان ، وكانت تتولى تقديم الطعام لهم . فلما كان يوم عيد من الأعياد أهدت إلى كل شاب منهم بطاقة ذكرت فيها أنها فى بحر هذه السنة سوف تتولى له رفو ثيابه وجواربه وتثبيت أزرار ملابسه . فهذه الأمومة التى فاض بها قلبها ودفعتها إلى استخدام ما هى حاذقة فيه ، حوّل المثوى إلى بيت تسكن النفس إليه.

ورب بذل مألوف ينقلب بذلاً له أكبر شأن . فهذه امرأة فقيرة لم يكن لها مهارة

فى شىء إلا فى صنع الخبز، فإذا كان يوم السبت اختارت هذه المرأة أشهى رغيف وأطراه فى فرنها، ومضت به لتتركه فى منزل أصاب أهله مرض أو ضيق أو حاجة . وبذلك أفاضت على هذه الدنيا الموحشة شيئاً من السعادة .

وكان فى ولايتنا خطٌّ حديدى بعيد عن العمران ، فاعتاد عمال القطارات التى تمرّ عليه أن يلقوا ببعض الصحف والمجلات إلى العمال الذين يتولون إضاءة أنوار الإشارة على طول الخط صيفاً وشتاء وفى وقدة الحرّ وزمهرير البرد . وكان سبب ذلك أن حديثاً جرى بين مفتش القطار وأحد المسافرين ، فقال له المسافر : إن ترك جريدة للعامل الشيخ الذى تعدّى الثمانين من عمره ، والذى يعيش فى ذلك المكان وحيداً ، قد تدخل أعظم السرور على قلبه .

والشىء الذى يستحق عندك أنت أن ينبذ قد يكون لغيرك ذخيرة نفيسة. فهذا طبيبُ أسنان قد وجد أن لكل مايستغنى عنه من أدواته نفعاً لجماعة من الطلبة المولعين بالأعمال الميكانيكية ، فترى اليوم عشرة منهم ينتفعون بها أيما انتفاع فى ورشة أقاموها .

وصاحب السيارة خليق بأن يجد فى سيارته معيناً من الخير لاينضب . ففى السيارة مكان فسيح لايحتاج المرء إليه، وقلما يتنبه إلى قيمته عند من لاسيارة له أو من لايستطيع أن يسوق سيارة . فأدرك ذلك فتى غنىٌّ هو وامرأته فأخذا يخرجان بعد ظهر السبت فيأخذان فى سيارتهما بعض الناقهين إلى نزهة فى الريف . وتقول امرأته : « عند الأغنياء شىء سوى المال يستطيعون أن يبذلوه للناس ، إذا هم تنبهوا وفتحوا أعينهم له » .

ويخطىء كثير من الناس فيظنّ أن أهل اليسار لا يقدّرون الهدايا الصغيرة حق قدرها. بيد أن أمثال هذه الهدايا إذا قدمت بإخلاص ومودة ، وبلا طمع فى جزاء ، كان موقعها فى نفوس الأغنياء أعظم منه فى نفوس الفقراء ، فإن البذل الصادر من القلب هو أحد الأشياء التى يعجز المالُ عن شرائها .

وقد اعترف لى رجل شيخٌ شحيح بأنه لم يجد لهدية من الفرح كالذى وجده حين أهدى إليه ابن سائق سيارته طبقاً شهياً من السمك الغض . ولى صديقة تستطيع أن تشترى بمالها بستاناً من الأزاهير ، ولكنها تغتبط أعظم اغتباط بوردة جميلة يتركها لها كلّ صباح رجلٌ من خدمها يوم كانت فتاة صغيرة .

أجل إنه ليس لزاما أن تكون غنياً حتى تكون كريماً ، فأكثر الناس أغنياء بما يحوزون من أشياء تيسر لهم أن يكونوا كرماء. والفقير المدقع يستطيع أن يصنع من الإحسان مثل الذى يصنعه الأمير الماجد ، إذا كان قلبه منطوياً على الكرم الحقّ .

يشهد الذين وافتهم المنية والذين أشفقوا على الموت ثم نجوا ، بأن آخر لحظات الحياة خلو من تباريح الآلام .

ليس في الموت ما يخاف

لستر هوارد بري

مدير تحرير مجلة "سلفانيا الطبية"

سوف يبلغ الكتاب أجله يوماً فتموت ، فإذا كنت كمثلنا جميعاً ، فأكبر الظن أنك تخاف أن تموت ، لاعتقادك أن الموت كريه . فإن كان ذلك فأنت مخطىء .

فالموت ليس كريهاً ، والمرء منا يأخذه الموت أخذاً رفيقاً كما أخذته سنة النوم مئات من المرات . وحسبك أن تعلم أن الموت خلو من الألم . هكذا يقول الأطباء ، وهكذا يقول من شارفوا غمرات الموت ، وهكذا يقول الراحلون وهم في سكرات الموت ، وهكذا يقول من مات ثم ارتد حياً ، (وقد كان ذلك) .

وليس ذلك إنكاراً لما يسبق الموت من آلام ، كلا فإن الحشرجة البطيئة التي تصحب التهاب الرئة ، والفهقة الخانقة التي تكون في الغرق ، وكل الآلام التي تأتي مع الأمراض القاتلة والجروح المهلكة ، إنما هي شطر من الحياة لا من الموت . والجسم إذا ظل يجاهد متشبثاً بالحياة ، فقد تعتريه بعض الأوجاع المبرحة . والحق هو أن تلك العبارة المخوفة المألوفة التي طال سماعنا لها : « فلان يكابد غصص الموت » قد ملأت قلوب أكثرنا رعباً حتى اعتقد رأياً باطلا ، هو أن آخر أيامنا في الحياة الدنيا وأول عهدنا بالآخرة لا بد أن يكون كريهاً بشعاً .

ولتسمع شهادة طبيب إنجليزي من أقدر الأطباء ، هو السير جيمس جودهرت ، وقد حرص أيام كان في أحد المستشفيات الكبيرة على أن يشهد احتضار كل مريض غشيته سكرة الموت . وقد انتهى إلى رأى هذا مؤداه : « ليس في الموت ما يفزع من حضرته الوفاة . فإن الحجاب الفاصل بين الدنيا والآخرة لا يعدو أن يكون غمامة رقيقة يخترقها المرء وهو لا يكاد يشعر » .

وقد أيد هذا الرأي بعض الأطباء الممتازين ، كالسير بنيامين برودى ، والسير وليم أوسلر . ويقول الدكتور ألفرد ورستر الأستاذ بجامعة هارفرد سابقاً : « الموت سهل دائماً في آخره » . والسرطان مثلا من أشد الأمراض تبريحاً في آخر أيامه ، فاسمع ما يقوله

الدكتور هرسلى ، وهو من أشهر المتخصصين فى السرطان : « إن الموت نفسه لا يصحبه شىء من الألم أو من الأوجاع التى يحس بها المرء إحساساً صحيحاً » .

ومن أعظم الحقائق التى تسرّى عن المرء هى هذه الحقيقة : « إن الملمات التى يرهبها المرء أشد رهبة وهو يتوقعها ، تفقد دائماً أكثر هولها إذا نزلت » . وهذا حق أيضاً فى أمر الموت ، فهو إذا دنا ، دنا رفيقاً .

ومنذ خمس عشرة سنة حدث فى فندق بمدينة بوسطن أن كان رجل فيّاض العافية والبشر يلقى محاضرة فوقع مغشياً عليـه ، فلما ألحّ عليه نزْف أحشائه قالوا له إن أمله فى الحياة أوهن من بيت العنكبوت ، وكان ذلك الرجُل هو إرْفِنْ كُبْ من كبار الصحفيين والكتاب . فقال يذكر يومه ذلك : « وأخيراً عرفتُ أنّنى بلغتُ الحد الفاصل بين الموت والحياة ، وعندئذ بدأت قواى تخُورُ ، وكان ذلك شعوراً آتياً من طبيعة البدن ، فأحسست أنى أهوى هويًّا بطيئاً رفيقاً هيناً فى ظلمات قد أطبقت علىّ . وكان فى هذه الظلمات شىء يُفَرِّجُ عنّى بل يُغرينى . فلو أنا أسلمت نفسى إليها جملة واحدة لاسترحتُ .. ولكننى سلمتُ أمرى لله غير مبالٍ بحياةٍ أو موتٍ .

« وأُطبقت علىّ الظلمات قبل أن يهجس فى نفسى هاجس يقول : « لو رضيت بالرحيل الآن فإنى لجبان إذن ، لأنى سوف أخلف ورائى أشـياء لم أنجزها بعد » . وجعلت أنتشـل نفسى من الغمرة رويداً رويداً وبجهد شديد . فقد كنت أجاهد فى سبيل البقاء .

« ومن الناس من يقشعر قلبه رُعْباً إذا ذكر الموت ، فإلى أمثـال هؤلاء أقول عن تجربة ، بعد أن خضْتُ تخوم البرزخ القائم بين الموت والحياة ، إننا سوف نلقى الموت بلا رهبة ولا كرب ، وبلا ضجر ولا اشمئزاز ، وبلا عذاب يبرح بالجسم أو بالعقل . بل سنتبين حين نلقاه أنه تحوّل مصحوب بالراحة والأمن ، تحوّل سرمدى يتم على أرفق وجه وأرحمه » .

ويحدثنا بروس برتن ، وهو كاتب مشهور ، عن تجربة كهذه . فقد كان فى أحد المستشفيات رجل كهل مثقف ، برّح به التهاب الرئة وأظله الموت بظله ، حتى أشفى على الموت ومن حوله بعض الممرضات والأطباء ، وقد أمسكوا يديه كأنما يرجون أن يستنقذوه من مزالق الموت ، فلم يستطع أحد منهم أن يتبين أحىٌّ هو أم ميت . ثم انقشعت غمامة الموت ، وعاش الرجل .

فقال بروس برتن لهذا الرجل بعد زمن : « لقد قال الأطباء يومئذ إنك كنت على شفا

الهاوية ، فكيف كنت تجد نفسك ؟ وماذا ساور قلبك ؟ »

فقال : « لا شيء البتة ! فما كنت أبالى أمتُّ أم حييت . وكل ما وجدته هو أنى مُتعبٌ أشد التعب ، فكنت أقول لنفسى : الآن أستطيع أن أنام » .

وهؤلاء الذين ذكرنا قد نجوا من الموت ليقصوا علينا مالقوا — فماذا وجد الذين ذهبوا فلم يعودوا ؟ وقد تولى جماعة من العلماء دراسة « الكلمات الأخيرة » التى نطق بها ١٢٢٩ إنساناً من أماثل الناس ، فكان فى كل ٦٠ كلمة، كلمة واحدة يمكن أن يقال إنها تدلُّ على شعور بالخوف أو بالألم، أما الكلمات الباقية ، وعدتها ٥٩ كلمة، فكانت كلمات مختلفة متدرجة مابين قلة المبالاة إلى النشوة .

وقد ذكر الدكتور إدوارد هاموند كلارك فى كتابه « رؤًى » دراسة عجيبة للمشاعر التى تساور قلوب الذى جاء أجلهم. فمن ذلك أنه اتفق مع أحد مرضاه أن يذكر له مايجده حين تغشاه سكرة الموت ، فاتفقا على أسلوب من الإشارات بالأصابع حتى يستطيع أن يجيب عن الأسئلة التى يلقيها عليه حين لا يطيق كلاماً بلسانه أو إيماء برأسه . فلما أخذته غشية الموت ظلّ يشير بأن «لا» على السؤال الذى لم يزل يكرره الدكتور وهو : « هل تحس بآلام مبرّحة ؟ »

ويقول الدكتور كارل : إن الموت لا ينزل دفعة واحدة ، فللموت مرحلتان : الموت العامّ أو موت المخلوق ، والموت الخاص أو موت الأعضاء . فالموت العام يأتى مع آخر خفقة من خفقات قلب الحى ، وعندئذ يبطل عمل الوظائف الرئيسية فى الجسم ، وتنطفيء شخصية الحى ، ولكن كل عضو من الأعضاء يموت وحده وعلى حياله. فالعقل يموت فى بضع دقائق ، وأما الكلية فربما عاشت بعد ذلك ساعة أو أكثر .

والدكتور كارل يسمى المرحلة الأولى : « موت الرّجعة » وذلك لأن الحياة يمكن أن ترتجع أو تستردّ بالوسائل السريعة الناجعة إذا كانت الأعضاء الرئيسية سليمة لم يفتك بها مرض . أما المرحلة الثانية فهو يسميها « الموت البائن » أى الذى لا رَجْعة فيه .

فهذا مثلا غريق قد انتشل من الماء وهو فى غيبوبة، وهذا سائق سيارة وجد منكفئاً على عجلة القيادة وأبواب الجراج مغلقة عليه وآلة السيارة دائرة . فيأتى الدكتور فلا يحسُّ نبضاً ولا يتبينُ تنفساً ، فيرسل فى طلب نسّامة (جهاز للتنفس) وتمضى الدقائق سراعاً، فإذا الحياة قد عادت إليهما .

فبناء على رأى الدكتور كارل يكون هذا الحىُّ الصريع قد مات — مات موتاً حقيقياً فيما يتعلق بشعوره وبدنه فى جملته .

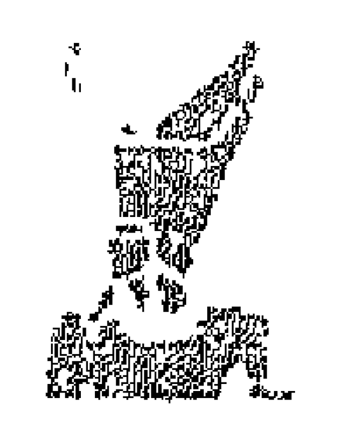
وبين الذين يستجيبون لدعوة النسّامة فيحيون ثانية، والذين يستعصي أمرهم فيبقون أمواتاً فرْق ، وذلك أن الأعضاء الرئيسية في الفريق الأول لم تتلف بعد .

وماذا يقول أولئك الذين استنقذوا من موت الغرق؟ تراهم يقولون دائماً إنهم لم يقاسوا تعباً مبرّحاً قطّ بعد المجاهدة الأولى في سبيل النجاة ، فإن ذلك الكرْب المطبق ينقشع وتأتى بعده راحة كغفوة النائم . وقد كتب أحد الذين نجوا بعد الغرق، وهو جرانت آلن الكاتب الإنجليزى المشهور فقال :

« لقد علمتُ واستقرّ في نفسي أني مارستُ الموت مرّةً ، فكان لذلك أكبر الأثر في قلة مبالاتى به . والموت كالنّوْم خلوٌ من الألم . ولا يجد المرء في الموت ألماً تضيق به النفس ، بل الألم الذى يلقاه هو فيما يسبقه من مجاهدة ومن شعور بدنُوّه ، ومع ذلك فهذا الألم نفسه أقلّ مما يحس به المرء حين تكسر له ساقٌ أو يُخلعُ منهُ ضرسٌ . ولم أشعر بدبيب الخوف فى نفسى » .

والعلم الصحيح يفسر لنا ما نلقاه عند ساعة الموت : فسبب ما نلقاه فيه هو أثر الانحلال الذى يدب فى الأعضاء . وكل خَفْقة تكون أضعف من التى سبقتها فى قدرتها على دفع الدم فى عروق البدن ، فإذا ما اطّرد ضعف ضغط الدم خامرت المخّ سكينة وراحة مرجعها إلى تخدير لطيف مَرَدّه إلى نضوب معين نشاط البدن . فإن تلك الموجة العارمة من النشاط البشرى قد أخذت تنحسر كالجزْر مرتدّة إلى خضمّ الحياة العامة وانسربت إلى أعماق بعيدة عن عبابه الصاخب ! وعندئذ يسترخى بدن الحى ويستقبل أروَع أحداث الحياة بنفس مطمئنة —

كالمرء يستغشى ليغفوَ آملاً
سِنَةً تُريه لذائذَ الأحلامِ



كان دوماس الروائى الفرنسىّ على فراش الموت ، وكان خادمه الأمين فى زاوية الغرفة ينتحب كالطفل ، فالتفت إليه دوماس بعينين نشر عليهما الموت غلالته وقال بصوت فيه حشرجة الموت : « لاتبك يا صاحبي ، فإذا احتجت إليك فى الحياة الآخرة طلبتك » .

[كتاب « الفصاحة الحديثة »]

« ليس بين الصغار طفل فاسد لا يمكن إصلاحه »

غلام صعب المراس

فلتون أورسلر

في ليلة من ليالي الشتاء ، قرع جرس التلفون البعيد المدى في قرية أمريكية ذاعت شهرتها في جميع أرجاء الأرض باسم « مدينة الصبيان » فدار الحديث التالي :

« فلانجان ؟ أنا مدير الشرطة هوزى . أعندكم مكان لصبي آخر يأتيكم عاجلاً ؟ »

« أين هو الآن ؟ »

« في السجن . إنه غلام فاسد شكس شديد المراس ، فقد سرق مصرفاً ، وسطا على ثلاثة متاجر مرهباً الناس بمسدس في يده » .

« كم عمره ؟ »

« ثماني سنوات ونصف » .

وإذا فلانجان الأزرق العينين ، النحيل الوجه يقول كالمستغرب : « ماذا ؟ »

فقال مدير البوليس : « لاتغرنك حداثة سنه ، فهو ما وصفت لك وأكثر . أترضى أن تتولى أمره عنا ؟ »

وقد مضت سنوات وفلانجان يتولى أمر الأحداث المهملين ، عن المجتمع المحيّر في أمرهم ، وقد كانوا أحداثاً من شتى الأعمار والأجناس والمذاهب .

فقال : « إذا عجزت عن أن أصلح عوج غلام في الثامنة بعد هذا الزمن الطويل ، فخير لي أن أنفض يدي من هذا العمل . جئني به » .

وبعد ثلاثة أيام وصل مدير الشرطة هوزى وزوجته إلى مكتب فلانجان ، ومعهما السجين — صبيٌّ في وجهه شحوب غير



نسي الناس اسم أبيه ، فهم لا ينادونه إلا باسم « إدي »

طبيعى ، وتحت إبطه صرّة . وقد وقف بحذاء المكتب ، فلم يكد رأسه يبدو فوق سطحه ، وكان أشعث الشعر تتهدل خُصل منه فوق وجهـــه النحيل ، وكانت عيناه الشهلاوان العابستان كأنهما مغمضتان تحت أهدابهما الطويلة السود ، وكان فى فمه لفافة أمالها على جانب منه ، وقال مدير الشرطة : « لاتلق بالا إلى هذه اللفافة ، فلم يكن لنا بدٌّ من أن نرشوه باللفائف » .

وألقت زوجة مدير الشرطة ظرفاً كبيراً على المكتب ، وقالت : « هذا تقرير عنه ، ومع ذلك فإنه لايحوى سوى نصف ماينبغى ، فهذا الصبي المجرم الذى لايصلح لشىء ، غير جدير بأية معونة . وأنا أرى أنه ليس بشراً . فوداعاً ياصاحبي ، وأتمنى لك التوفيق ، فلا أمل فى إصلاحه إلا بتوفيق من الله » .

وفلانجان رجل تنطوى جوانحه على حب الله وحب خلقه ، ولاسيما الأحداث منهم ، فصعّد بصره فى هذا الشيطان الخبيث وصوّبه ، فخطر له أنه لم يَرَ فى حياته فتىً مثله اجتمع فيه مايضحك ومايبكى فى وقت واحد .

وأشار بيده إلى ضيفه الصغير أن يجلس ، وأخذ يقرأ التقرير ، فوجد أن الناس قد نسوا اسم أبيه ، فهو لا يُعرف بينهم إلا باسم « إدى » ، وقد ولد في حيٍّ من أحيـاء الفقراء والمساكين قرب الميناء ، وفقد أمه وأباه فى وباء من الأنفلونزا فشا بين الناس قبل أن يبلغ الرابعة من العمر ، فصـاروا يتناقلونه من بيت إلى بيت فى ذلك الحىّ ، فعاش كأنه حيوان مشرّد .

وقد أرهفت الشدائد دهاءه وإرادته ، فما بلغ الثامنة حتى صار زعيم عصابة من الصبيان ، وكان عمر بعضهم ضعف عمره . وتدرب على أيدى المشردين الأقوياء فى جيرته ، فمالبث إدى حتى صار أسبق منهم إلى الجرائم الصغيرة التى يدبّر أمرها أحكم تدبير .

وقبل أن يلقى القبض عليه بستة أشهر تحداه عضو جديد فى عصابته ، قال :

« إنك لاتصنع شيئاً بيديك ، فأنت لست زعيماً » . فقال إدى :

« سوف ترى ، سأصنع شيئاً لن تجرؤ أنت على مثله ، سأسطو على مصرف » .

كان المصرف فى دار قديمة ، فلما كان ميعاد غـداء الكتبة ، دخل إدى المصرف دون أن يراه أحد ، وعبر البهو إلى شباك صراف ، وقد اضطر لصغره أن يقف على أطراف أصابعه ومدّ يده القذرة فأخذ رزمة من أوراق النقد وأخفاها فى سترته ، ثم عاد إلى عصابته ، واقتسم هو وأعضاؤها ما أخذ وهو ٢٠٠ ريال ، ولكن ما صنع لم يقع وقعه المرجو فى نفوسهم ، فقد أخفى رجال المصرف نبأ السرقة ، فلم تطنطن بها الصحف .

وسخر منه أعضاء العصابة فقالوا : « إنما تريد أن تستغفلنا ، لقد وجدت هذا المال فى مكانٍ ّما » .

فما كان من إدى إلا أن اختفى عن أبصار أصحابه بضعة أيام ، وكان أحدهم قد باعه مسدساً ، فخرج إلى الحقول يتدرب على الرماية .

فلما فعل فعلته التالية ، حفلت الصحف بأخباره ؛ فقد دخل مطعماً فى ساعة يقل فيها رواده ، وسدد مسدسه إلى الصراف ، فأعطاه مادخل خزانته فى ذلك اليوم . وأتبع ذلك سطواً على دكان خياط فانتزع منه المال الذى فى جيبه ، ثم زار حانوت سيدة عجوز تبيع الحلوى .

فلما رأت العجوز فوهة المسدس صاحت به : « ألق مافى يدك قبل أن تؤذى نفسك » . وضربت المسدس بيدها فسقط ، وتشبثت بشعر الفتى حتى لايفلت ، فصارعها صراعاً عنيفاً ، فاستغاثت ، فحضر رجال الشرطة على استغاثتها ، وانتهت بإدى الحال إلى أن صار اليوم فى « مدينة الصبيان »

ألقى فلانجان التقرير من يديه ، وحدق فى هذا الغلام الفاسد الذى كتب عنه التقرير ، فرأى إدى فى الضوء الخابى جالساً لايتحرك ناكس الرأس ، فتعذر على فلانجان أن يتبين ملامح وجهه العابس الجهم ، وإذا الفتى يخرج ورقة رقيقة من ورق اللفائف وجعبة فيها طباق ، ثم جعل يلفُّ لفافة بيد واحدة ، كما يصنع رعاة البقر فى أفلام السيما ، ثم أشعلها ، ونفخ الدخان على سطح المكتب الذى يفصله عن فلانجان .

وإذا بأهدابه الطويلة المطبقة ترتفع لحظة حتى يأخذ بنظرة مايصنعه الرجل الجالس أمامهُ .

فبدأ فلانجان : « مرحباً بك يا إدى فى هذه المدينة ، وأنت تعلم أن زمام إدارتها فى أيدى الفتيان من سكانها ، فمنهم المحافظ ومنهم أعضاء المجلس البلدى ، ومدير الشرطة » .

فدمدم إدى : « وأين السجن ؟ »

فقال فلانجان : « ليس عندنا سجن . فاذهب إلى الحمام الآن ، ثم نعشَّ ، وفى غد تبدأ دراستك . ففى وسعنا ، أنا وأنت ، أن نصير صديقين حميمين — فالأمر بيدك أنت . ورجائى معقود على أن أفسح لك مكاناً فى قلبى يوماً ّما . فأنا واثق أنك فتى كريم النفس »

وإذا جواب الفتى ينطلق كالرصاصة فى كلمة واحدة بذيئة .

وفى نحو الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ، فتح مكتب فلانجان ودخل منه التلميذ الجديد مختالاً ، فقد قص شعره وسرَّح

وصـار نقى اللون والإهاب ، ثم ألقى على مكتب الرئيس بمذكرة من أحد المعلمين جاء فيها : « عزيزى فلانجان، لقد سمعناك تقول ألف مرة أن ليس فى الدنيا ولد شرير ، فهل لك أن تقول لنا كيف تصف هـذا الفتى ؟ »

فيمم فلانجان شطر الفصل ، فألفى جوّه ينذرُ بالعاصفة . فوصف له المعلم كيف ظل إدى ساكناً فى مقعده نحو ساعة ، ثم إذا به قد نهض وجعل يختال بين صفى المقاعد جيئة وذهاباً، ويتفوه بأبذأ الألفاظ، ويقذف إلى الأرض بكل ماتصل إليه يده من أشياء ، ثم تناول زجاجة حبر وقذفها فأصابت تمثال شيشرون .

وأعاد فلانجان إدى إلى مقعده، واعتذر للمدرس فقال :

« الخطأ خطأى، فإننى لم أنهه عن قذف المحابر ، وستجرى عليه قوانين « مدينـة الصبيان » كما تجرى على غيره منا ، ولكن ينبغى له أن يعرف أولا ماهى هذه القوانين ، وينبغى لنا أن لا ننسى أن إدى فتى كريم النفس »

فصاح إدى : « كريم كلهيب النار ! »

وقد امتنع الفتى عن توثيق أواصر الودّ مع أحد من الفتيان أو المعلمين ، بيـد أنه حرص على أن يختص الأب فلانجان بأقذع أوصافه ، فقال عنه إنه — « أستاذ ملعون » .

وكان ينفق وقت فراغه وهو يجوس متلصصاً يبحث عن فرصة تتيح له أن يفرّ . وأقام مترفعاً عن مشاركة سائر الفتيان فى ألعاب الرياضة أو الـكرة ، وكان يتمتم فى وصفها « هى لعب الأطفال » ، ونفر من فرقة الموسيقى ومن العمل فى الحقل ، ولم يره أحد خلال الأشهر الستة الأولى يذرف دمعة أو يبتسم ابتسامة واحـدة . وسرعان ما صار سكان « مدينـة الصبيان » يتساءلون : « ترى هل لـقى فلانجان ندّه الذى لا يعنو لسلطانه ؟ »

وسأل فلانجان المدرّسات : « ترى أيتعلم هذا الفتى شيئاً فى الفصول ؟ » فقلن : « إنه أخذ يتعلم الحروف الأبجدية ، والحقيقة أنه يتعلم أكثر مما يظهر ، ولـكن البغضاء تنهش قلبه » .

لم يكن إدى أول فتى عنيد الطبيعة رآه فلانجان فى حياته ، فقد عرف فتى رمى أباه الذى دأب على ضرب أمه فأرداه قتيلا . فتى قاتل ! نعم ، ولـكنه كان قاتلا لأنه كان يحبُّ أمه ، فلما عرف فلانجان ذلك السرّ هان عليه أن يصلح أمر الفتى . وهذا إدى ، ولا بدّ أن يكون فى حياته سرٌّ ، ولو عرف لسهل على فلانجان أن يصلح أمرهُ .

فحدث فلانجان نفسه : « لا بدّ لى من أن أضرب صفحاً عن القواعد المتبعة . سأحاول أن أغمر الفتى بالحب والحنان » .

وجعل الفتيان والمدرسون يراقبون خطة فلانجان الجديدة كأنها مباراة بين فريقين من اللاعبين ، وكان فلانجان الفريقَ الذى يؤثرونهُ ويتمنون لهُ التوفيق . وحين ينطلق فلانجان يستعيد ذكريات تلك الأسابيع والأشهر الحافلة بآيات التودُّد إلى الفتى . تراهُ يرتعد ، فما أكثر الأفلام السخيفة التى أخذ الفتى إليها ! وما أكثر الشطائر وقطع الحلوى وأكواب المثلوجات التى اشتراها لهذا الصبى العفريت !

ومع ذلك لم يبد على إدى أبداً أنه يستمتع بما آثرهُ به فلانجان أو خصه به ، وكانا إذا مضيا معاً مع الفجر فى أيام الصيف المعطرة برائحة الصنوبر والزهر ، يراه يسير متثاقلا إلى البحيرة التى يقصدانها لصيد السمك ، فلا يبدو على قسماته ما يشير إلى أنه مغتبط بما يصنع حين تعلق سمكة بشصّه ، فقد ران على نفسه نفورٌ من كل شىء ، وصار ألوذ بالصمت مما كان .

وقد حدث مرة ، قرب نهاية هذه التجربة الخائبة ، ما أشعر الرجل بأن الشقة بينه وبين الفتى قد ضاقت ، فقد بلغا شارعين متقاطعين فى مدينة مزدحمة ، وهمّا بالعبور ، وكان إدى غافلاً عن السيارات المتحركة ، فأقبلت عليه سيارة نقل ضخمة وكادت تدهمه لو لم ينقذه فلانجان ، فتألق نور الشكران لحظة قصيرة فى عينى الفتى ثم أطبقت الأهداب السود مرة أخرى ، ولم يفُهْ بكلمة .

فصار فلانجان ، الرجل الذى يؤمن بأن فى طبيعة البشر خيراً أصيلا ، يعتقد أن فى نفس هذا الفتى فساداً بعيداً عن مناله . وكان أمل الرجل فى إصلاح هذا الفتى قد ضعف حتى كاد يتلاشى ، يوم دخل عليه إدى فى مكتبه فى صباح مونق من فصل الربيع ، وأعلن فى جرأة أنه جاء لكى يحسم هذا الأمر مع فلانجان ، وكانت عيناه الشهلاوان تتقدان حنقاً وسخطاً .

فقال : « مازلت تتوسل بكل حيلة لكى تستميلنى ، ولكن حِيَلك لم تنطل علىّ . ولو كنتَ حقاً تطلب لى الخير ، لكنتُ مع ذلك مغفلا لو انقدت لك ، وقد كدت أنقاد ، ولكننى جعلت أتفكر أمس فى كل ذلك ، واليوم عرفتُ السرّ » .

كان فى لهجة إدى وقوله معنى الجدّ الصارم والرجولة ، فليس هذا القول قولَ فتى وقح يائس ، فتراءت للرجل شعاعة من رجاء ساعة رأى اختلاجة لطيفة على شفتى الفتى .

وقال إدى : « أنت رجل دجّال »

فقال فلانجان : « إما أن تقيم الدليل على ما تقول ، وإما أن تكفّ » .

فقال إدى : « إذن خذ الدليل . لقد رفست إحدى المدرّسات ، فماذا تقول عنى الآن ؟ »

فقال فلانجان : « لا أزال أرى أنك فتى كريم النفس! »

فقال إدى : « إن قولك هذا مصداق لقولى . فأنت لا تكفّ عن ترديد هذه الأكذوبة،وأنت تعلم أنها أكذوبة،أليس هذا دليلا على أنك رجل دجال ؟ »

فجعل الرجل يبتهل فى سرّه ويدعو الله أن يعينه : « هذا هو منطق الفتى، فكيف أردّ عليه ؟ كيف أستطيع أن أقيم له الدليل على ثقتى به . فإما أن أفعل ذلك الآن، وإما أن أعجز إلى الأبد . اللهم ألهمنى أن أقول الكلمة المناسبة » .

ثم تنحنح فلانجان وقال : « أنت يا إدى فتى ذكىّ، وتدرك حقّ الإدراك صحة القول متى قام الدليل عليه ، فمن هو الفتى الكريم النفس ؟ الفتى الكريم هو الفتى المطيع ، أليس ذلك كذلك ؟ »

« نعم . . . »

« هو الفتى الذى يصنع ما يطلبه منه معلموه ؟ »

« نعم . . . »

« كل ماصنعته حتى الآن يا إدى إنما كان دلك ليس إلا . وكلّ مافى الأمر أنك لم تلق سوى أفسد المعلمين ، وهم المتشردون والصعاليك ولكنك أطعتهم،لاريب فى ذلك. وقد صنعت كل عمل فاسد علموك أن تصنعه، فلو كنت تطيع المعلمين الصالحين الذين فى هذه المدينة ،كما كنت تطيع أولئك المعلمين، لكنت نخير الناس » .

هذه الكلمات البسيطة المنطوية على حق لانزاع فيه ، فعلت فى نفس إدى فعل السحر فصرفت عنه الشياطين وطهرت جوّ الحجرة، وإذا هذا اللغز الإنسانى المغلق قد ذُهل أولا ، ثم تألقت عيناهُ الشهلاوان ، فدنا من حافة المكتب حيث سقطت أشعة الشمس، وفى تلك اللحظة أيضاً كانت نفس فلانجان قد استجابت للانقلاب الطارىء على نفس الفتى ، ففتح ذراعيه ، فارتمى الفتى بينهما ثم ألقى وجهه على قلب الرجل وذرف دمعاً سخيناً.

كان ذلك منذ زمن بعيد ، وقد أقام إدى فى « مدينة الصبيان» عشر سنوات . فلما برحها كان فى الطليعة بين أبناء فصله، فانضم إلى « مشاة البحرية » وظفر على الشواطىء الدامية فى المحيط الهادىء بجزاء بسالته ، من ترقيته ثلاث مرّات .

وفلانجان يباهى به اليوم فيقول : « إن صدره مزدان بالأوسمة ، وليس ذلك غريباً، فقد كان شجاعا أىّ شجاع. ولكنه كان أيضاً رجلا يحبّ إخوانه . وهو اليوم شاب كريم الأخلاق ، ولكنه لايزال كما عهدته ، أصلب من عرفت عوداً وأشدّهم مراساً » .

كيف استغل تيتو كرم الدول الديمقراطية في تقوية نظامه الجائر .

إخفاق في يوغسلافيا

اريك بريدونف

مختصرة من مجلة " أميركان ميركوري "

عبأ المرشال تيتو جيشاً تعداده ٦٠٠,٠٠٠ جندي وزوّده بالأسلحة، وألف أيضاً قوة ضخمة من الشرطة السرية ، بغية إقامة حكومة في يوغسلافيا على غرار حكومة روسيا السوفيتية . فمن أين أتى بالمعدّات التي لاغنى عنها ؟ لاشك في أنه لم يأت بها من يوغسلافيا المخربة ، بل جاءته عن طريق لجنة الإغاثة والتعمير . والأدلة على ذلك بينة الوضوح ، وقد وقعت أنا نفسي على كثير منها .

فما مقدار المساعدة المادية التي قدمتها لجنة الإغاثة والتعمير إلى يوغسلافيا ؟ لقد صرح المرشال تيتو في خطبة له في مؤتمر الشبان الشيوعيين بمدينة زغرب في يونيه سنة ١٩٤٦ فقال : « نعم ، لقد قدمت إلينا لجنة الاغاثة والتعمير بعض المعونة ، ولكن المعونة الأولى والجوهرية ، قد جاءتنا من حليفتنا العظيمة روسيا السوفيتية » .

ولم أهتد أنا ولا أحد من زملائي في السفارة الأمريكية إلى دليل على هذه « المعونة الجوهرية » ، ولم نر سوى جيش من الجواسيس الروس والمندوبين السياسيين ، وجنود كانوا يتعيشون بما ينتهبونه من هذه الأرض المخربة ، ويشحنون إلى روسيا معظم ثروتها الاقتصادية .

كان الروس ينقلون المؤن والمعدات من كل مدينة ومزرعة ومصنع ، ثم يشحنون البضائع المصادرة في الدانوب إلى البحر الأسود . وقد اعتاد حراس قوافل الصنادل أثناء إرسائهم ليلاً على مقربة من القرى أن يسطوا على أهلها وينهبوا ماشيتهم وأنعامهم ودجاجهم . وقد تلقت السفارة الأمريكية شكايات كثيرة عن حوادث النهب هذه ، ولم ترسل حكومة تيتو إلى روسيا فيما أعلم احتجاجاً واحداً ، بل كان نقيض ذلك، فقد

* كان بريدونف من رجال السفارة الأمريكية في بلغراد ، وكان عمله فيها فحص الشئون الاقتصادية ودراستها .

قيل للناس إنهم مهما بذلوا فكل ما يبذلونه أقل مما تستحقه حليفتهم روسيا من جزاء .

ولما حُررت بلغراد من رِبقة النازى لم يتسع وقت القوات الألمانية لإتلاف مقادير عظيمة من الأطعمة المخزونة ، تشتمل على ما يـ ٥٠ ألف مركبة من القمح ، وألفى مركبة من السكر . وقد وضع الروس أيديهم على هذه المقادير الوافرة ، ولم يتركوا شيئاً منها للأهالى . ثم كان من كرمهم أن ردوا إليهم ١٠ فى المئة من القمح ، وأحيط ذلك بدعاية هائلة تبين للشعب اليوغسلافى مبلغ كرم الجيش السوفيتى .

وأكبر من ذلك أن حكومة تيتو عقدت اتفاقات تجارية سرية بينها وبين روسيا السوفيتية ، فباعت لروسيا فى بحر العامين الماضيين جانباً كبيراً مما تنتجه يوغسلافيا من السكر والنبيذ واللحم والزجاج والقنب والجلود ، بأسعار يقول عنها العمال والفلاحون إنها دون تكاليف الإنتاج . وقد تبين لنا أن روسيا كانت تمد يوغوسلافيا فى مقابل ذلك بالثقاب والصابون والمواد الكيميائية والأسلحة ، وكان بعضها مما كانت ترسله أمريكا إلى روسيا بمقتضى قانون الإعارة والتأجير .

فهذه هى « المعونة الجوهرية » التى كان يقدمها الاتحاد السوفيتى إلى الشعب اليوغسلافى ، وهى المعونة التى قال عنها تيتو للشعب إنها تستوجب جزيل شكره .

ولنقارن بين نصيب لجنة الإغاثة والتعمير من معونة يوغسلافيا ، والمعونة التى قدمتها روسيا والتى لا تزيد عن بعثة بعض الموظفين إليها . ففى نهاية سنة ١٩٤٦ بلغ مجموع ما شحنته لجنة الإغاثة والتعمير إلى يوغسلافيا ٢,٠٠٠,٠٠٠ طن ، تبلغ قيمتها ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال .

وقد ذكر الكولونيل مهل سرجيشيك ، وهو روسى يتولى رئاسة اللجنة ، فى تقرير نشرته صحيفة بولتيكا (وهى صحيفة شيوعية كبيرة) فى ٢٠ إبريل سنة ١٩٤٦ أن لجنة الإغاثة والتعمير قد جلبت إلى يوغسلافيا حتى يوم ١٥ إبريل سنة ١٩٤٦ نحو ٩٧٩,٣٣٩ طن من الأغذية ، كان معظمها من القمح واللحم والسكر واللبن والشحم والزيوت .

ومعنى ذلك أن اللجنة أرسلت إلى يوغسلافيا من المؤن مقداراً إذا هو وزّع على كل رجل وامرأة وطفل ، كان نصيب كل منهم فى السنة ١٥٠ رطلا من الغذاء .

ويجب أن يضاف إلى ذلك ٥٨,٨٧٢ رطل من القطن والصوف والأقمشة والملابس ، أى نحو ٩ أرطال من المنسوجات لكل شخص ، أى ما يكفيه أن يتخذ منها سروالين وقميصاً وثلاث حلل كاملة و ٦ أزواج من الجوارب ، ومعطفا وستة مناديل .

وقد وصل إلى يوغسلافيا وقتئذ ٨,٥١٨ طناً من الأدوية كما ورد فى التقرير نفسه ، أى ما يكفى لإمداد كل شخص من خمسة عشر مليون نفس ، وهم سكان يوغسلافيا ، بنحو رطل وربع رطل منها. ويجب أن لا ننسى أيضاً ٢٨ مليون جالون من البنزين ، وسيارات النقل التى يزيد عددها على ١٢٠٠٠ سيارة ، ومازنته ٧٥٠٠٠ طن من الفحم ، ولا تنس الجرارات وآلات الزراعة والطواحين ومعدات المناجم والسكك الحديدية ، والمقدار العظيم من سائر السلع التى لا غنى عنها . فهذه الأشياء كلها هى التى أشار إليها تيتو محقراً بقوله : «بعض المساعدة من لجنة الإغاثة والتعمير» .

والحقيقة هى أن يوغسلافيا قد تلقت هبات من السلع يبلغ ثمنها أكثر من عشرة أضعاف ميزانيتها قبل الحرب ، أو ما يزيد عن مجموع دخلها القومى فى بحر ثلاثة أعوام . وهكذا نجت يوغسلافيا من الخراب الشامل على رغم ما أصابها من نهب الروس ، بفضل ما أمدتها به لجنة الإغاثة والتعمير من المؤن .

ولنشرح الآن كيف تمكن تيتو من تحويل ما جادت به الدول الديمقراطية إلى سلاح ماض عزز نظامه وقواه .

كان أهل يوغسلافيا يعانون فى الشتاء والربيع من عام ١٩٤٤ — ١٩٤٥ قوارص الجوع والبرد ، وكانت السفن المشحونة بالغذاء والكساء والأدوية راسية فى الموانىء الإيطالية تنتظر إذن تيتو حتى تنقل إلى يوغسلافيا هذه المؤن ، ولم يأذن تيتو إلا بعد أن ظفر بحق الإشراف على توزيعها ، وطلب أن يرأس اللجنة مندوب سوفيتى ، وبذلك أشرف على اللجنة الكولونيل سرجيشيك ، وهو رجل إدارى حازم ومن المخلصين لستالين .

كان أكثر موظفى اللجنة فى بادىء الأمر من الأمريكيين والبريطانيين ، وكان بينهم أيضاً نفر قليل من الشيوعيين أو من الموالين للشيوعية كانوا يعدون خيراتها ملكاً مباحاً للقوات الروسية .

ولم يكن هؤلاء الرجال يرفضون قط طلباً لتيتو أو أحد أعوانه .

وكنا إذا رأينا نحص ما تحتاج إليه جماهير الناس من طعام وكساء ردّ سرجيشيك بابتسامة وقال : « مهما يكن من شىء فإن هؤلاء اليوغسلافيين المساكين قد ذاقوا بأساً شديداً ، فينبغى أن نقدم لهم ما يشاءون بغير تردّد أو تحقيق » ، فكان من العبث أن نذكره بأن روسيا لم ترسل من هذه المؤن كلها رطلا واحداً .

وقد استقال كثير من الموظفين المقتدرين المهذبين مقتا للعمل ، فسرعان ما كان

سرجيشيك يُحل محلهم موظفين من الروس، وكان الروس يشغلون المناصب الرئيسية فى نقل مؤن اللجنة وتوزيعها فى يوغسلافيا .

ولما جاء مستر هيربرت لهمان الرئيس العام للجنة الإغاثة والتعمير ليزور يوغسلافيا زيارة استغرقت يومين ، وليتفقّد شئون اللجنة ، ذهبوا به إلى أماكن معينة وقدموه إلى فئة معينة من موظفى اللجنة ، كان يراد له أن لا يرى سواهم .

وقد رفضت حكومة تيتو ، فى السنة التى قضيتها فى يوغسلافيا ، أن تأذن لمفتشى اللجنة أن يعاينـوا مصانع النسيـج التى أصلحت أو أعيد إنشاؤها بالمعدات التى قدمتها اللجنة. ولم يؤذن لهم أيضـاً أن يفحصوا منتجات هــذه المصانع التى كانت تنسج من قطن اللجنة وصوفها . ولم تكد المصانع تبدأ عملها حتى أخذ ضباط الجيش اليوغسلافى يخطرون بملابسهم الجديدة فى طرق بلغراد ، على حين كنت ترى سائر الناس فى أسمال بالية .

وليس ثمة شك فى أن الجيش وسلاح الطيران قد أعيدت تعبئتهما فى يوغسلافيا بإمدادات اللجنة ، أما الاثنتا عشرة ألف سيارة من سيارات النقل، وهى التى أرسلتها اللجنة ، فقد حولت عن الغرض المقصود منها (وهو تحسين النقل المدنى) ، واستغلت فى نقل جنود جيش تيتو ومهماته إلى أنحاء البلاد . وكانت أيضاً تستغل كثيراً فى نقل المدنيين ورجال الجيش فى المظاهرات التى كان يدبّر أمرها أنصار المرشال تيتو .

وكان تيتو وضباطه العظام يتنقلون فى سيارات فخمة ، وكان لديهم قدر عظيم من البنزين، وقدر كثير من الفحم يستدفئون به. وأنا أعلم أن معظم هــذه الأشــياء كانت تأتيهم من اللجنة . وقد كان وزير سلوفينيا الشيوعى جاراً لى ، فرأيت ٣٠ طنًّا من فحم اللجنة ، قد نقلت إلى داره فى سيارة نقل من سيارات اللجنة ، زودت ببنزين اللجنة .

وكانت الأدوية التى قدمتها اللجنة أو جمعية الصليب الأحمر إلى أهل يوغســلافيا تتخذ وسيلة للاضطهاد السياسى ، فالمريض إذا لم يكن هواه مع الحزب ، رفضت عيادات الحكومة بغلظة أن تمنحه أى دواء .

ويعتقد كثير من الناس أن إمدادات لجنة الإغاثة والتعمير كانت تقدم بلا مقابل إلى أبناء الدول المخربة ، ولكن لم يحدث ذلك إلا نادراً ، فقد وافقت اللجنة على بيع هذه المؤن لأبناء البلاد . وكان المفروض أن تباشر الحكومات بيعها بأسعار تعادل تكاليف الإنتاج، وبهذه الوسيلة يدفع الشعب قيمة ما يحصل عليه ، وتظفر الحكومات المفلسـة بالأموال التى تستغلها فى استعادة نشاط الصناعة فى بلادها .

والذى حدث فى يوغسلافيا هو أن الشيوعيين تمكنوا من أن يفعلوا مايشاءون بإمدادات اللجنة ، ولم يكن فى استطاعة الناس أن ينالوا شيئاً منها إلا من أسواق الحكومة الخاضعة لهيمنتها ، فيشترونها بثمن يتراوح ما بين ثلاثة أضعاف ثمنها العادى إلى ثلاثين ضعفاً . وعلى هذا النحو كانوا يبيعون السلع التى ترسلها اللجنة بربح فاحش ، وظفرت حكومة تيتو بأموال كانت كافية لإعداد جيشه وتعزيزه ، حتى ضم إلى صفوفه ثُمنَ الرجال فى يوغسلافيا . وإنه لمن المتعذر على أغنى الدول أن تستبقى مثل هذا الجيش بدون عمل ، غير أن تيتو استطاع ذلك بفضل لجنة الإغاثة والتعمير .

وقد نهب تيتو أهل يوغسلافيا باستغلال حاجتهم إلى إمدادات اللجنة ، فقد أرغمهم على أن ينزلوا له عن ممتلكاتهم وحرياتهم ، حتى يظفروا بما يمسك أرماقهم من غذاء وكساء .

وخلال ذلك شن جيش تيتو ودعاته حملة عنيفة على الدول الديمقراطية ، ولما جأر الناس الجياع بالشكوى من غلاء أسعار الطعام واللباس والدواء قالت صحفه التى تهيمن عليها الحكومة :

« إنها الرأسمالية قاتلها الله ! أليس من الظلم أن يفرض علينا الأمريكيون الأثرياء أن ندفع هذه الأسعار الفاحشة ! »

لقد كان من غفلة الدول الديمقراطية أنها أتاحت لتيتو أن يستغل لجنة الإغاثة والتعمير وينتفع بمواردها فى إنشاء حكومته القائمة على أساس النظام الجامع .

ترى الحقَّ أحياناً غريباً يناضل لكى
يبرز ، وتجده أحياناً مُغْـفِياً فى نكتة .

طلب أندرو كارنيجى الغنىُّ المحسن ، من شاب ذاهب ليتلقى العلمَ فى جامعة يينا بألمانيا أن يأتيه بتوقيع عالم الأحياء المشهور إرنست هيكل . فلما تلقى كارنيجى ما طلب ، قرأ البطاقة فإذا هى : « إرنست هيكل يشكر لأندرو كارنيجى المجهر الذى أهداه إلى معمل بحوثُ الأحياء فى جامعة يينا » . فطرب كارنيجى لما فى البطاقة من حسن الطلب وأرسل المجهر .

[معلمة الخطباء]

سلاح مهمل يكافح السل

ألبرت ك . ميزل
مختصرة من مجلة "ليبرتي"

« قصة لقاح لو استعمل من قبل لكان خليقاً أن يمد فى أجل كثير ممن قضوا بالسل ، ولقد ينقذ منذ اليوم ألوفاً من الناس من عدوى هذا المرض »

سلاح ماضٍ فى كفاح السل ولكنه مهمل منذ سنين ، وهو لا يشفى من السل وحسب، بل يقى منه أيضاً ، وقد يكفكف من غوائل هذا الطاعون الأبيض الذى يودى بعدة ألوف من الخلق ، ويعدى مئات الألوف من الناس فى كل عام .

وهو رخيص سهل الاستعمال ، والحقنة الوحيدة اللازمة من هذا اللقاح لا يكلف صنعها أكثر من بضعة قروش، وهو مأمون الأثر ، محمود العواقب فى الحاضر والمستقبل . ومع ذلك فإن هذه الدرع الواقية من السل قد أهملت فى الولايات المتحدة بحجة أنها «تعوزها التجارب الموثوق بها لإثبات نفعها» .

بيد أن الأدلة العلمية المحكمة قد انتهت إلى إثبات نفعه وجدواه .

تبدأ القصة فى سنة ١٩٠٨ يوم اكتشف العالمان الفرنسيان ألبرت كالميت ، وكاميل جيران أن من الممكن تحصين الماشية من السل بحقنها بمقدار ضئيل من مكروباته الضارية . ولكى يجعلا هذا الاكتشاف مأموناً فى تحصين البشر، كان عليهما أن يكفكفا من ضراوة المكروب دون أن يضيعا قدرته على تنبيه الجسم إلى إحداث المناعة . وبعد تلطيف ضراوة المكروبات خلال ١٣ عاماً، وفقاً فى النهاية إلى إيجاد فصيلة من مكروبات السل المستأنسة ، أطلقا عليها اسم لقاح كالميت وجيران .

قوبلت هذه الحقنة الجديدة فى أوربة بالتهليل ، ولقح بها فى فرنسا والدنمرك والسويد وسواها ألوف من المواليد الذين ولدتهم أمهات مصابات بالسل ، وكان الحقن فى بحر الأيام العشرة بعد يوم الولادة .

وتجلى أثره الباهر فى النرويج فى عهد الاحتلال النازى ، فإن مصلحة الصحة العامة التى كانت تستعمل لقاح كالميت وجيران فى تحصين الأطفال من السل منذ سنة ١٩٢٧، بدأت حملة للتحصين به حتى تدفع بها ما يتوقع من تفشى هذا المرض من أثر الضنك والفاقة، فلم يزد معدل وفياته بين المحصنين على ١٨ فى المئة من الإصابات بين غير المحصنين .

وطعّم في الدنمرك عدد كبير من تلاميذ المدارس خلال الحرب . وثمة خطة لتعميم هذا التطعيم في المدارس ، سوف يتمّ تنفيذها سنة ١٩٤٨ . وقد وجد رجال القسم الطبي في الجيش الأمريكي في اليابان أنه ما وافت سنة ١٩٤٣ حتى كان ٥٥٨,٠٠٠,٥ من اليابانيين قد طعموا بهذا اللقاح .

واستعمل لقاح كالميت وجيران في روسيا على نطاق واسع ، فطعم به أكثر من ٢,٠٠٠,٠٠٠ شخص . أما حيث يكثر السل في بعض البقاع ، فتعطى الحقنة الواقية لجميع المواليد دون استثناء . وقد أصبح لقاح كالميت وجيران يقابل الآن في إنجلترا بترحيب كبير ، حتى قررت وزارة الصحة في النهاية أن تنشىء معملا لصنعه .

ولقد كان لقاح كالميت وجيران حريا أن يلقى نفس النجاح في الولايات المتحدة ، لولا حادثة وقعت في ليوبيك بألمانيا . ففي سنة ١٩٣٠ أعطى الأطباء ٢٥٠ مولوداً ما حسبوه لقاح كالميت وجيران ، فمات ٧٣ منهم في بحر بضعة أشهر ، ودل التحقيق على أن الطعم المعطى كان ملوثاً بفصيلة من مكروبات السل شديدة الضراوة . فأدرك رجال الطب ، بعد أن ظهرت كل الأدلة القاطعة ، أن لقاح كالميت وجيران كان بريئاً من دم هذه الوفيات . فقد حقنوا بهذا اللقاح ملايين من الناس منذ ذلك اليوم ، فلم تُعْزَ وفاة واحدة للقاح كالميت وجيران .

بيد أن أطباء الولايات المتحدة ظلوا يتجنبونه خشية أن يتكرر حادث ليوبيك ، ولأنّ أطباء أوربة لم يثبتوا بالتجارب المضبوطة كفاية اللقاح وتأثيره .

على أن قليلا من أصحاب العقول الجريئة في الولايات المتحدة قد جربوا لقاح كالميت وجيران ، ولكن ما نشر من نتائج تجاربهم كان عرضة للنقد على الدوام ، بحجة أن الضوابط ليست وافية تارة ، وأن مدى هذه التجارب قصير تارة أخرى .

فلما كانت سنة ١٩٣٥ بدأ الدكتور جوزيف د . آرنسون ، من معهد هنري فيبس في جامعة بنسلفانيا ، يمتحن اللقاح في بحر ست سنوات في ٣٠٠٠ هندي أمريكي من سكان أربع مزارع من مزارع الغرب ، و١٢ قرية في جنوب شرق ألاسكا كانت جميعها موبوءة بالسل ، واستعان بمدير الشئون الهندية ومصلحة الصحة في الولايات المتحدة ، فبدأ بمزرعة بيما في منطقة الهنود بولاية أريزونا ، فأخذ يدعو الأطفال والشبان من الهنود إلى المدارس ، فينحّي من يجد فيه عرضاً من أعراض السل ، ويطعم الباقين بحقنة واحدة من اللقاح .

وظل آرنسون ومعاونوه يجوسون خلال

مناطق الهنود أربع سنوات، طعموا خلالها ١٥٥٠ هندياً . وكان ثمة ١٤٥٧ هندياً آخرين خالين من السل، فأوهموا أنهم حقنوا باللقاح، ولكنهم لم يحقنوا إلا بمحلول بسيط من الملح .

فهذه تجربة محكمة مضبوطة . فهاتان طائفتان من الهنود تعيشان جميعاً في الأكواخ القذرة ، وهما جميعاً عرضة لغوائل السل ، فلو كان لقاح كالميت وجيران عديم الجدوى لتساوت إصابات السل في كلتا الطائفتين .

وأخذ آرنسون ومساعدوه يترددون على تلك المناطق عاما بعد عام ، ويسجلون وفيات السل في كل منها ، فوجدا أنه مات ٢٨ نفساً ممن لم يحقنوا إلا بماء الملح ، على حين أن المطعمين لم يمت منهم بالسل سوى أربعة .

لقد عجز لقاح كالميت وجيران عن وقاية كل المطعمين، ولكن بعد أن تمت الدراسة تبين أن ٤٠ من ١٥٥٠ هندياً مطعماً أصيبوا بالسل، يقابلهم ١٨٥ إصابة في غير المطعمين.

وجاءت الحرب فوقفت تجارب آرنسون في المزارع ، ولكن نتائج تجاربه نشرت في شهر يونيه الماضي ، ونشرت معها في الوقت نفسه نتائج تجربة أخرى لهذا اللقاح، استغرقت خمس سنوات ، قام بها الدكتور ر . ج . فرجسن ، المدير العام لمكافحة السل في ولاية ساسكاتشوان بكندا . وقد أجرى فرجسن تجربته على ممرضات المستشفيات ومصحات السل ، وهن فتيات كن يوم استخدامهن خاليات من المرض، ولكنهن عرضة لعدواه على الدوام . فقسمهن أيضاً إلى طائفتين ، طعمت إحداها ولم تطعم الأخرى ، فكانت إصابات السل في الطائفة الأخيرة أربعة أضعافها في الأولى .

ومثل هذه التجارب في قوة الدلالة ، تجارب الدكتور جوزيف أ . بودوين من مصلحة الصحة العامة بمونتريال في كندا، فقد استعمل الدكتور بودوين في تجاربه أطفالا يعيشون تحت سقف واحد وفي حي فقير مع مسلولين يدل بصاقهم على وجود مكروبات المرض . وبدأ تجاربه منذ سنة ١٩٢٦ ، فطعم طائفة اختارها كما يتفق له من أطفال كل أسرة موبوءة بالسل، وأعفى طائفة من التطعيم .

ثم أخذ يراقب هؤلاء الأطفال على مر السنين ، فأيدت أرقامه النتائج الدقيقة التي حصل عليها آرنسن وفرجسن ، إذ بلغ معدل وفيات السل في الأطفال المطعمين ١٨٫٧ في الألف يقابله ٤٧٫٤ في الألف بين غير المطعمين .

وكان للمحصنين بلقاح كالميت وجيران مزية على غيرهم في عدد الإصابات ، ففي المدة

التى استغرقتها التجربة ، كان معدل إصابات السل فى الأولين ١٣٥ فى الألف مقابل ٢٣٧ فى الآخرين — أى ضعفه بالتقريب .

وليس معنى هذا أن نزعم أن لقاح كالميت وجيران عقار ساحر ، فإن الدكتور كندال إمرسون، من جمعية الدرن القومية بالولايات المتحدة، على رأس جماعة من العلماء يذهبون إلى أنه علاج قاصر ويقولون : « إن هذا اللقاح لا يبرىء من المرض ، بل إنه ليس واقياً منه فى جميع الأحوال ، بيد أنه قد يورث مناعة قوية من عدوى السل حيث يتعرض الناس لهذه العدوى » .

ويبدو أن سيل الأدلة المعززة للقاح كالميت وجيران قد اكتسح لحسن الحظ سد التشاؤم الذى حال دون تجربته الشاملة فى بعض البلاد . ففى ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٦ عقدت مصلحة الصحة فى الولايات المتحدة مؤتمراً من ثقات الخبراء فى السل ، فأوصوا بعدة توصيات واسعة النطاق ، لو نفذت لأنشىء معمل مركزى لصنع لقاح كالميت وجيران ، يوزع بغير ثمن على الباحثين فى كافة الولايات ، ولأجريت تجارب شاملة على الهنود وموظفى مستشفيات الأمراض العقلية ونزلائها، وعلى طلبة الطب والممرضات وغيرهم من الطوائف المعرضة لعدوى السل . ولعل أهم هذه التوصيات عمل بحث خاص فى مدينة لا يقل تعدادها عن ١٠٠،٠٠٠ فيطعم جميع سكانها دون استثناء .

وإذن فقد ينخفض المعدل السنوى لوفيات السل، بهذا السلاح القديم الذى ثبت مضاؤه ، وقد ينجو به عشرات الألوف ، ولولاه لما نجا من مخالب الموت أحد منهم .

فى وسعى أن أفهم رجلا يصوّب نظره إلى الأرض ثمَّ يكون ملحداً ، بيد أننى لا أستطيع أن أدرك كيف يصعّد نظره إلى السماء ثم ينكر وجود الله .

[أبراهام لنكولن]

فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وهب روكفلر مبلغاً وافراً من المال لينفق فى ترميم كاتدرائية ريمس فى فرنسا ، وكان إدوار هريو وزيراً للمعارف ، فتقبل الهبة باسم الحكومة . وقد روى هريو أنه ورد فى رسالة الهبة من روكفلر هذه العبارة : « أنفق هذا المال فى الأجزاء التى لا تُرَى من البناء ، فسوف تجد كثيرين يتبرعون بالمال لترميم الأجزاء التى يراها الناس ! »

آراءٌ للمناقشة

يخيّل إليّ أن الناقد الذى لا يدرك عيوب الشيء الذى يستحليه ، إنما هو ناقد لم ينضج بعد . وهذا رأيي فى الحبّ أيضاً . وكل امرأةٍ نشأت بيني وبينها علاقة حب كنت أعرف عيوبها معرفة تامة . وكل محب لا يدرك عيوب من يحب هو فى رأيى ليس بمحبّ البتة ، وإنما هو فريسة وَهم . وأنا أزدرى ذلك الحبّ « الأعمى » ، وأرى أنْ لا حبَّ إلا مع البصيرة الصافية ، وأرى أيضاً أن لا بصيرة لمن لم يحبّ :

[هفلوك إليس]

خير ما يفعله الذين يأبون إلا المغالاة فى تقدير آرائهم ، أن يخلدوا إلى الأرض التى نشأوا فيها ، فالأسفار تجعل الآراء الراسخة تتهاوى وتتساقط فى غير مشقة . وقد بدأت أسفارى وأنا أظنّ أنى أعرف كيف يُساس الناس ، وماذا ينبغى لهم أن يعتقدوا من الآراء . فلما عدت إلى بلادى وجدتنى خِلواً من هذه الأوهام التى كنت أعدّها حقائق ثابتة ، ولكننى اكتسبتُ أتمَّ ما يتاحُ للمرء من سعة العقل ورحابة الصدر . وأخلاق البشر تختلف اختلافاً لا يكاد ينتهى ، وكل خلُقٍ منها له حقٌّ فى البقاء مستقلا عن سواه . بيد أن تحت هذا الاختلاف وحدة جامعة . ففى نفوس البشر ، مهما اختلفت أساليب حياتهم ، إحساسٌ بتقدير قيم الأشياء ، وهذه القيم تكاد تكون متشابهة فى أصولها عند جميع طوائف البشر . فالخير والجمال والحكمة لا تزال لها أشرف منزلة عند الناس فى كل زمن وفى كل مكان .

[ألدوس هكسلى]

قال عمر الخيام : « لم أتعلم من الحياة شيئاً قطُّ سوى العجب من تصاريفها » ، ونحن نعيش اليوم فى عصر حافل بالمعجزات ، فلو فقدنا القدرة على العجب مما يتعجب منه ، فيا حسرتا على ما فقدنا . وقد كانت لى جدة ماتت فى التاسعة والتسعين من عمرها ، ولكن عجبها مما ترى كان متوقداً لا ينطفىء . وكانت تشتدّ فى توبيخنا إذا رأت أن دهشتنا أقل من دهشتها لعجائب هذا العالم الذى نعيش فيه . وأنا لا أزال أشكر لها ما علمتنى ، فإنى لا أزال إلى يومى هذا لا أرضى لنفسى أن تنطفىء جذوة العجب التى تتوهج بين جوانحى . وأنا لا تساورنى ريبة فى أن العجَب والتشوُّف والحب هنّ الثلاث اللواتى يجدّدن شباب العقل .

[هارولد نيكلسن]

سويسرا تسدى المعونة
إلى الجياع من أطفال أوربة

جورج رسيقى

مختصرة من صحيفة "كرستيان سنشرى"

تشرف على بحيرة جنيف بناية ضخمة مشيَّدة بالحجر الأبيض ، كانت فيما مضى من الأيام دار عصبة الأمم ، ولكنها اليوم خالية تخيم عليها الوحشة ، بيد أن مبـــدأ الإخاء الذى كان ملهم العصبة فيما سلف ، لا يزال حيًّا فى دار أصغر من دارها ، قائمة قبالتها فى الشارع نفسه .

فمن وراء أبواب هذه الدار يتردد صدى أصوات البِشْر المنطلقة طيلة النهار من صغار يلعبـون . وقد ألفيت ، حين دخلت البهو الكبير منذ عهد قريب ، عشرات من الصغار الهزال الجياع جالسـين إلى موائد طويلة يلتهمون طعاماً وفيراً من المكرونة . ورأيت على إحدى النوافذ الكلمة التالية بحروف كبيرة : « ألا ليت جميع أطفال العالم يمدّ بعضهم إلى بعض يد المعونة » .

هـذه الدار هى مركز هنرى دونان* لإسعاف الأطفـــال . وهو مشروع من مشروعات جمعية الصليب الأحمر السويسرية ابتكرته جماعة من المتطوعين السويسريين ، وهم الذين يزوّدونه بالمال ويتولون العمل فيه . وقد شمل برعايته منذ سنة ١٩٤٢ مئة ألف من الأطفال أو أكثر جاءوا من اثنى عشر بلداً أوربيًّا . فكان القائمون على هذا العمل وأعوانهم ينقلون إلى سويسرا كل من أضرّ بهم الجوع من أولاد وبنات تتفاوت أعمارهم بين الرابعة والرابعة عشرة ليقضوا فيها ثلاثة أشهر طلباً للعافية . فإذا حلوا فى الأماكن التى أُعِدّت لاستقبالهم ، أرسلوا إلى أسر سويسرية يعيشون بين ظهرانيها . ولو أنك رأيت هؤلاء الصغار ساعة وصولهم ويوم تنتهى إقامتهم — بين أسمالهم البالية ووجوههم النحيلة السقيمة ساعة يصلون ، وبين ملابسهم المدفئة ومظاهر الشبع والعافية على أبدانهم حين ينصرفون — لأثلج المنظر صدرك .

وقد بدأ إسعاف الأطفال فى شتاء ١٩٤٢ حين كان الاحتلال النازى آخذاً بخناق أوربة ، وكانت سويسرا من خطر الغزو فى اضطراب

* مؤسس جمعية الصليب الأحمر ، أنظر المختار ديسمبر ١٩٤٤ ص ٤٥ .

دائم تقريباً ، وكانت موارد الطعام فيها شحيحة . ومع ذلك لم تكفَّ جماعة من السويسريين من ذوى التجربة فى إسعاف الأمم ، عن التفكير فى الذين هم أسوأ حالاً منهم . فلما أصدرت جماعة «إسعاف الأطفال» نداءها الأول ، تطوَّع لخدمتها أناسٌ من جميع الطبقات ، وتدفق المال عليها ، وفتحت الأسر السويسرية بيوتها للمشردين الجياع .

يصل الأطفال إلى الأماكن التى أعدَّت لاستقبالهم ، فتنضى عنهم ثيابهم ، ويحرق ما يكون عليهم عادة من أسمال بالية ، ويقص شعرهم ، وتطهر أبدانهم الهزيلة . وبعض هؤلاء الصغار يفدون من بلادهم وقد قص شعرهم وقاية لهم من الحشرات ، فترى البنت كالولد ، لولا بقية مهلهلة من شريط رث عصبت به الأمهات رؤوس بناتهن .

وهذا الذى حدث لغلام فرنسى يدلك على ما يتملك هؤلاء الصغار من العجب حين ينقلون من بيئة فيها القذر والشقاء ، إلى أخرى فيها النظافة التى تسعدهم . فهذا الغلام الفرنسى همس فى أذن جاره ليلة وصوله : « أتظن حقاً أننا فى سويسرا ؟ » فجاءه الرد المقنع من صاحبه : « أفى ذلك شك ؟ ألا تراهم يغسلون أبداننا ولا يكفُّون » .

وعماد هذه الهيئة هو الأسر السويسرية التى تطوعت لإيواء هؤلاء الأطفال والإنفاق على طعامهم وشرابهم من مالها الخاص . وأذكر سيدة هى أم أربعة أطفال ، ولكنها آوت حتى اليوم أربعة أطفال أجانب ، واحداً بعد واحد . وما فعلته ليس بالشىء النادر ، وهى تقول : « لا يغرب عن بالى أبداً أن مصيبة كهذه قد تنزل بأولادى — فيسعدنى أن أشعر يومئذ أن أحداً من الناس قد هبَّ إلى رعايتهم » .

وفى مدينة تون التى يبلغ عدد سكانها عشرين ألفاً ، تجد ألفين قد طلبوا أن تتاح لهم فرصة لإيواء هؤلاء الأطفال . وقد آوى أحدهم اثنى عشر طفلا على التوالى من اثنى عشرة جنسية . وهو يقول : « كان ترويض بعض هؤلاء الأشقياء أمراً عسيراً ، بيد أنهم لم يكادوا يألفون حياة الأسرة وعيشها المنظم حتى باتوا خير لِدَات لابنى » .

وتبذل العناية الطبية لكل ولد بذلا منتظماً ، فيزور البيت فى كل شهر مندوب للهيئة يتفقد حال الطفل ويسأله هل عنده شكوى يقدمها . وقد تقتضى الحال أحياناً أن ينقل طفل شكس الطباع إلى مركز خاص ، فيتولى العناية به معاونون من أهل التجربة ، بيد أنك لا تجد بين جميع الأطفال الذين آوتهم أسر فى مدينة جنيف ، سوى طفلين اثنين قد طلبا أن يغيرا مكان إقامتهما .

وفى كثير من الأحيان يظلُّ الأطفال

يراسلون الأسر التى آوتهم زمناً طويلاً بعد عودتهم إلى بلادهم ، وآباؤهم يكتبون أيضاً فيقولون : « إنها لمعجزة عظيمة فى رأينا حين نعلم أن الإنسان مازال يعطف على أخيه الإنسان » . وأما السويسريون فتراهم يبعثون بطرود الطعام والثياب وبالمال إلى من كان ضيفاً عندهم ، فتتوثق بذلك أواصر الإنسانية وعرفان الجميل ، متخطية تلك الحدود القائمة بين البلدان .

وتدبير المال لهيئة إسعاف الأطفال مشكلة دائمة ، ففى سنة ١٩٤٥ وحدها أنفقت الهيئة ١٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك سويسرى (نحو ٦٠٠,٠٠٠ جنيه أو أكثر قليلا) . وكثير من هذا المال يجمع كلَّ أسبوع من أطفال المدارس ، ويجمع بعضه من مشروع « قصعة اللبن » ، فقد صنع صندوق صغير أبيض يشبه قصعة اللبن ، ووضع فى المطاعم والمخازن فتلقى فيه نقود المتبرعين ، ويأتى البعض الآخر من هبات أكبر .

وقد استطاعت الهيئة ، بما ظفرت به من تأييد ، أن تعالج كل حالة طرأت عليها . ففى نوفمبر ١٩٤٤ مثلا ، يوم تقدمت جيوش الحلفاء نحو حدود سويسرا ، تلقى المقرُّ العام للهيئة نبأ بالتلفون ، أن ١٣٠٠٠ طفل قد عزلوا بين جبهتى القتال ، وأنه لابد من مدّ يد المعونة إليهم فى الحال ، وإلا قتل كثير منهم . فاستعانت الهيئة برجال المقاومة الخفية فى فرنسا ، ودبرت وسيلة لترحيلهم جميعاً فى ٤٨ ساعة . فهبت أربعون ألف أسرة سويسرية من فورها ، وعرضت عليهم ضيافتها ، ولم تمضِ بضعة أسابيع حتى نقل عشرة آلاف طفل من مدينة ميلهاوز .

كانت أنطوانيت الصغيرة الشقراء ممن أنقذ، وكانت متشبثة تشبث اليائس بعروسها الملطخة بالدم ، فقد قتلت أمها إلى جنبها فى أثناء التقاذف بنار المدافع . فلما سألتها المرأة التى نضت عنها ثوبها كيف ترى سويسرة ، أجابت : « إنها مدهشة . فقد خيل إلى أول ليلة رأيت فيها الأنوار تضىء وتنطفىء على جبل مظلم ، أنها نجوم السماء — ولكننى أعرف اليوم أنها أنوار البيوت فى سويسرا ، ذلك أننى لم أر أنواراً فى الليل من قبل » .

إن هؤلاء الأطفاء الذين ولدوا فى أثناء الحرب لم يستمتعوا بالطفولة كسائر الأطفال، فكثيرون منهم لم يروا ضروباً معيَّنة من الطعام، فينبغى لهم أن يتعلموا كيف يأكلون. ولما طلب إلى إحدى البنات أن تدخل حوض الحمام ، جعلت تصيح ظناً منها بأنها خليقة بأن تغرق ، بيد أن الأطفال إذا أخذوا بالحسنى والعطف ، فسرعان ما يألفون النظافة والنظام .

وليس فى وسع أحد لم ير جماعات الصغار

عائدة إلى أوطانها ، أن يصـدق أن ثلاثة أشهر قد أحدثت كل هذا الانقلاب ، فقد بلغ معـدّل الزيادة فى وزنهم ١١ رطلا . ولما تذكرت ما كان عليه الوافدون من سوء الحال عند وصولهم ، راعنى ما رأيته عند توديع قطار يقلهم ، من الخدود المورّدة والثياب الجديدة ، بل إن ثياب بعضهم كانت أثقل مما ينبغي .

وقد فسّر لى ذلك أحد المتطوعين فقال : « كل رجل يريد أن يكسو ابنه المتبنى ثوباً أفضل من ثوب جاره . فترى بعضهم مايكاد يأخذ الطفل بعد وصوله حتى ينطلق به إلى المخازن ليشترى له كل مايحتاج إليه . وقد رأيت أناساً ينفقون ٣٠٠ فرنك (نحو ١٩ جنيهاً) فى عصر يوم واحـد ليبتاعوا لطفل واحد ما يلزمه من ملابس جديدة . ومن النساء من تحرم صغارها ما يحتاجون إليه من أحذية، ويستعملن بطاقاتهن العزيزة فى شراء أحذية للغرباء . وهؤلاء الصغار يبدون أكثر ثياباً مما ينبغى ، لأنهم يحملون على ظهورهم (يلبسون) أكثر مما يسمح الجرك السويسرى بإخراجه من سـويسرا محمولا فى الحقائب » .

وقد أعدت قطارات خاصة لنقل هؤلاء الأطفال ، وكلٌّ قطار يضمُّ ٣٥ ممرضـة متطوعة ، ويحرسه جنود سويسريون ، وينقل من ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ طفل كل مرة . وهذه القطارات تجوب أوربة التى اجتاحتها الحرب، وتنقل إلى سويسرا الضعاف والجياع، وتعيـد الأصحاء والمعافين إلى أوطانهم . وتبذل سلطات الاحتلال فى المناطق المختلفة لهيئة إسعاف الأطفال كل ما تستطيع من معونة، وقد قال أحد المتطوعين: « الأطفال هم خير جواز للسفر » .

وقد أوجز لى متطوع آخر الحالة كلها بقوله : « إن خير وسيلة لبناء أوربة جديدة هى أن نسدى العون لأبدان أبنائها ونفوسهم » .

ثم تحرك القطار ، فأطلت من كل نافذة رؤوس مستبشرة ناضرة تضحك وتصيح : إلى اللقاء ! إلى اللقاء !

لا تزال أفكارك كأصابع المثّال ، تصوغ قسَمات وجهك

[تشارلز رزنيكوف]

تحب المرأة فى الرجل أن يكون فى حاجة إلى أمٍّ ترعاه

[إثيل باريمور]

من صميم الحياة :

كبرياء

لويس انترماير

منذ بضعة أعوام خلت ، اتخذت لى مكاناً فى الجبال أقمت فيه ، واستعنت بمرجريت هانس لأملى عليها مختارات من الشعر كنت عزمت على جمعها . وكانت مرجريت مِنْ أجمل مَنْ وقعت عليهن عينى ، وكانت ذهبية الشعر ، زرقاء العينين ساجية الطرف ، وكانت كأنها ملكة فى سَمتها وتماثلها ، وهذا شئ قلّ أن تجده فى بنات عصرها . وكانت تكره أن تتحدث عن نفسها ، بيد أنها كانت خفيفة الحركة قادرة على العمل .

وذات ليلة دعوت الشاب دان فيرنس للعشاء ، فإذا بى كنت الوسيط بينهما من حيث لا أدرى . وكانت أسرة فيرنس من وجوه البلدة ، وكان لأبيه شركة كبيرة ومنجم حديد ومصرف ، وكان دان فى الرابعة والعشرين من عمره ، عملاقاً عريض المنكبين أشكل العينين ، جَعْد الشعر ، وكنت عرفته فى جامعة مشيجن أيام استدعتنى لأقيم فيها زمناً ، وكان دان كسائر أهله محافظاً متزمتاً ، شديد الغيرة على آداب الأسرة ، يتحرّى ما هو خليق باسمها وشرفها .

تعشت معنا فى تلك الليلة مرجريت ، وما كادا يفرغان من الطعام حتى كانا قد وقعا فى الحب ، ومن يومئذ وهما يسبحان معاً ويتنزهان معاً ، وعلمها دان كيف تمتطى صهوات خيله العِتاق .

وتغيرت مرجريت ، فأصبحت تسترسل فى حديثها وتنطلق فى ضحكها ، وكانت من قبل تحرص على أن يكون لباسها مما يُلبس ساعة العمل ، فصارت اليوم تضع على صدرها زهرة ، وتزين شعرها وتتأنق فى تصفيفه ، وتتحلى أحياناً ببعض الجواهر .

فرأيتها ذات يوم وعلى صدرها دبوس نفيس من الذهب على هيئة زهرة ، فخيل

قضى لويس أنترماير نحو عشرين سنة فى شركة لصناعة المجوهرات كان يملكها أبوه ، ولم يزل بها حتى صار وكيلا للرئيس ، ثم استقال فى ١٩٢٣ ليقف وقته على الكتابة والتأليف والمحاضرة فى الأدب . وقد جمع مختارات كثيرة ، وألف خمسة وعشرين كتاباً بين نثر وشعر .

إلى أنى ارتددت فجأة إلى الماضى فى سنة ١٩٠٥ ثم قلت لها : « هل تأذنين لى يا مرجريت أن أرى الدبوس ؟ »

فأخذته وقلبت الزهرة فإذا على ظهرها هذه الكلمات الثلاث : « روزى أوبرادى الفاتنة » .

وقالت مرجريت : « هذا دبوس جدتى »

جدتها ! لقد أحسست كأنى عُمِّرت عمر أبى الهول ، فإن هذا الدبوس من صنع يدى يوم كنت جوهرياً فى صدر شبابى ، وقد أهديته إلى سيدة موهوبة أطلقت عليها اسم « روزى أوبرادى »

لم أكن قد جاوزت العشرين بعد ، وكنت فتى مرهف الإحساس فياض الصبابة أتغنى ببعض الشعر ، وأعزف على البيان ، وأتأنق فى ملبسى ، وكنت أيضاً مغرماً بالمسرح .

وكانت روزى أوبرادى إحدى كواكب الغناء فى المسرح الهزلى – تغنى وترقص وتقلد المغنين والراقصين ، ولم تتخذ لنفسها اسماً تعرف به فى المسرح ، وكانت شديدة الاعتزاز بأرومتها الإرلندية وبلهجة وطنها التى تذكرك بحفيف أجنحة الطير بين أفنان الشجر . وكانت سوداء الشعر تعقصه فوق رأسها كأنه تاج ، وكانت لها بشرة بيضاء ناعمة بضة ، وكانت زرقاء العينين ، وكانت أكبر منى بأعوام قلائل ، ولكن كانت فيها تلك المسحة الخالدة التى لا تبليها الأيام ، والتى يمتاز بها جمال فاتنات الغيد . وهمت بحبها هياماً شديداً حتى ألححت على عمى أن يقدمنى إليها ، وكان عمى مساعداً لأحد المشهورين من مخرجى المسارح ، فلما قدمنى إليها ، وكانت على وشك الفراغ من ارتداء ثيابها لتغادر المسرح ، قلت لها ، وأنا أتكلف قلة المبالاة : « أتتكرمين بأن نتعشى معاً ؟ »

قالت : « ما أحبّ ذلك إلىّ ، ولكن ... »

وابتسمت ابتسامة وضاءة أرادت أن ترقق بها جفاء الرفض . ولم أزل ألحف عليها ليلة بعد ليلة حتى رضيت ، فذهبنا معاً إلى فندق أستور الفخم ، وأحببت أن أظهر الكرم فطلبت زجاجة من النبيذ ، فأبت أن تشرب بيد أنها أكلت ما اشتهت من أطايب الطعام .

وكان من الجمال فى ذلك العصر أن تكون المرأة رابية الثديين ثقيلة الأرداف ، فلم أدر كيف استطاعت روزى أن تكون ممشوقة نحيلة الخصر . وبعد هذا اللقاء الأول كثر خروجنا معاً ، وكانت هى تعدّنى رفيقاً وصديقاً ، وتضحك من مواثيق لها بأنى أحبها حباً لا يموت ، فكانت تعاملنى كأنى أخوها الأصغر .

فلما أهديت إليها الدبوس ، جزتنى جزاء ساخراً فأنبأتنى أنها امرأة متزوجة ، وأن

لها بنتاً صغيرة ، وأن زوجها يوشك أن يعود من إنجلترا . فجزعت جزعاً شديداً ، وتجلى لى غدر النساء وخداعهن. وآليت بالله أن انفض يدى من جميع بنات حواء إلى الأبد — أو ثلاثة أشهر أو أربعة على الأقل .

والآن هاهى حفيدة روزى أوبرادى ماثلة أمام عينى .

فسألتها : « ألا تزال جدتك بقيد الحياة يامرجريت؟» وعقدت العزم على أن لا أفضى إليها بتاريخ هذه الحلية، فإنه لعسير على الشباب أن ينظروا إلى أجدادهم إلا كما ينظرون إلى مومياء محنطة ، فأبت على كبريائى أن ألقى بنفسى فى غمار هذه الزمرة .

فقالت لى : « نعم ! وقد أهدتنى هذه الحليــة يوم نلت شهادتى . وأنا من أسرة مالها قليل ، فكانت جدتى لا تفتأ تعيننا ببعض مالها ، ولما مات جدى عادت إلى الحى الفقير الذى كانت تعيش فيه قديماً ، لتشمل بكرمها من بقى حياً من عجائز جيرانها » .

وبعد ذلك ببضعة أشهر عزمت على السفر إلى نيويورك لأقابل ناشر كتبى ، فإذا دان فيرنس وأمه قد عزما على السفر أيضــاً ، وكانت أمه قد رضيت بعد تمنع عن زواجه بمرجريت ، فدعا دان مرجريت إلى مرافقتنا فى هذه السفرة .

فلما كانت ليلتنا الثانيــة فى نيويورك ، دعانا دان إلى ناد فخم من أندية الليل ، فلما حان الموعد خفّضت الأضواء وأعلن قسم الحفلات أنه سيعرض الليلة برنامجاً طريفاً تشترك فيه نخبة من قدماء الممثلات ، وتلا علينا أسماءهن ، فكان فى آخرها روزى أوبرادى . فاسترقت النظر إلى مرجريت فإذا هى تمثال جامد شاحب ليس فى وجهها رائحة دم .

كانت الحفلة سخيفة كل السخف ، وكان من المحزن أن ترى هذه المخلوقات العتيقة وهى تجعل نفسها أضحوكة وسخرية فى أداء أدوار كانت لها فى أدائها شهرة وصيت . وحان موعد ظهور روزى، فازداد شحوب مرجريت . فلما عزفوا لحن « روزى أوبرادى الفاتنة» خرجت روزى وهى ترقص فى هالة من النور الأزرق كشف عن قوام قد تضخم، ووجه قد تخدّد، وشعر كان فاحماً فشاب ، ولم يبق لها من الشباب إلا وميض عينيها الزرقاوين .

قامت روزى ببعض أدوار تقلد الفنانين، وكان أبعثها على الضحك دور ساخر لتاريخ حياة راقصة ، كيف بدأت منذ سنة ١٨٩٠ حتى انتهت بها إلى الوقت الحاضر .

فلما فرغت قال دان متعجرفاً : «أحسنت العجوز » .

فقالت أمه : « ما أشبهها بغسالتنا ! من العار على امرأة فى مثل سنها أن تجعل نفسها أضحوكة » .

كان ينتاب وجه مرجريت تبدُّل عجيب ، وحين كانت روزى تمثل انهدت مرجريت فى مقعدها ، وإذا بها الآن تعتدل فجأة ، وإذا عيناها تبرقان ، ثم قالت بصوت ثابت النبرات :

« إن هذه المرأة التى جعلت نفسها أضحوكة هى جدتى. إنها امرأة كريمة ، نبيلة ، فقد جادت بمالها كله فى مساعدة النـاس ، وأنا منهم . ولم أكن أعلم أنها ههنا الليلة ، أما وقد علمت فسأذهب إليها لأراها وأقول لها إنى أتيه بانتسابى إليها ، ولا يتكلف أحد منكم مؤونة مصاحبتى » .

واختلج صوتهـــا ، فنهضت وأخذت حقيبتها ، فكان ذلك وداعَ الأبد لدان ، ووداعاً لدنيا الغنى والأمن . فلما غابت عنا جلسنا ثلاثتنا صامتين ، ثم أشعل دان لفافة وأخذت أمه تدير كأسها بين أناملها ثم قالت:

« من الخير يادان أن تدفع الحساب وننصرف » .

فذهب ودفع الحساب ، وخرجت معهما عازماً على أن أعود لألقى روزى ومرجريت .

فلما صرنا فى الخارج نادى دان سيارة ، وذكر عنوان الفندق للسائق ، وأعان أمه على الركوب ثم انثنى إلى قائلاً : « أرجوك أن ترافق أمى إلى الفنـدق ، فإنى سأعود أدراجى لكى أقابل حماتى وجدة زوجتى إن شاء الله » .

أقوال تؤثر

ما من شىء يفسد الصداقة كالمغالاة فى وصف محاسن الصديق .

[ماريا مورافسكى]

صور لفظية

قالت سيدة لأخرى : لا وربى ، لم أروِ الحادثة لأحد ، فما كنت أعرف أنها سرٌّ يكتم .... التربية الحسنة تمكن المرءَ من أن يساوره القلق على سير الأمور فى جميع أقطار الأرض .... ترى الذين يبكرون فى الهبوب من النوم، مزهوين فى الصباح ، متعبين فى المساء .... إن ما تحتاج إليهِ هـذه الأمة هو مزيد من الكلام الحرّ الذى يخلق بك أن تصغى إليهِ .

يزيدون الكواكب بهاءً

كانت الممثلة

يوم بت ديفس فى صحراء كاليفورنيا تمثل مشاهد أحد الأفلام ، روت شركات الأنباء أنها سقطت فوقعت على رقعة يكثر فيها نبات الصبر الشائك ، فقرأ ملايين من الناس فى الصحف أن تسعاً وأربعين شوكة من شوك الصبر قد أخرجت من بدن الممثلة «التى سوف تراها قريباً فى فلم شركة وارنر: جاءت العروس » . وقد اتفق مرة للمثلة كارول لومبارد قبيل مصرعها ، أن لقيت رجلا من مديرى شركات السنما ، فجعل يجأر بالشكوى من ضريبة الدخل ، فقالت له إنها يسرُّها أن توفى الحكومة ضريبة الدخل مهما بلغت . فاتفق لرجل من رجال الإعلان أن سمع كلامها ، فنقله إلى شركة يونيتد برس ، فإذا اسم كارول لومبارد على الصفحات الأولى من الصحف فى كل مكان فى أمريكا .

وهذان مثلان يدلان على ضربين مختلفين من الإعلان عن ممثلات هوليوود وممثليها . فقصة بت ديفس كانت ملفقة ، فالممثلة لم تسقط على الشوك . وأما كلمة كارول لومبارد فكانت عفوَ الخاطر ، فطنطن به رجلٌ من أهل الإعلان أبرع طنطنة ، فرفع ما نشره من منزلتها ومنزلة صناعة السنما فى أعين الناس ، ولا يزال ما صنعه معدوداً من أبرع الأمثلة على الإعلان المجدى .

وقد يعمد المعلن أحياناً إلى ضروب من الإعلان هى أدنى إلى الخبل منها إلى العقل ، كما فعل أحدهم يوم صنع عروساً تشبه جنجر روجرز وألقاها فى مظلة من طائرة محلقة فى الفضاء ، لكى يعلن عن فلم « العروس البديعة » تمثيل جنجر ، بيد أن هذا الضرب من الإعلان قد أخذ يقلّ حتى كاد يزول .

وأمّا اليوم فأفضل طريقة هى أن تصوّر الحقيقة تصويراً رائعاً يستوقف الأنظار ، كما فعل أحدهم يوم استخرج لممثلة أمريكية من الجنوب عقداً بمليون ريال من شركة لويد للتأمين ، أمَّنَ على لهجتها الجنوبية التى تحببها إلى الناس . وقد كان العقد حقيقة لاريب فيها — بيد أن مدته كانت أربعاً وعشرين ساعة ليس إلا . ثم هناك قصة مدير الإعلان فى إحدى الشركات ، الذى أتيح له أن يرى ثلاثة ممثلين يمتحنون أمام عدسة المصور مع الممثلة أندريا ليدز ، لكى تختار منهم الرجل الذى يوافقها فى قطعة

من الفلم تكثر فيها القبلات . وإذا الصحف تنشر في اليوم التالي مقالا عن الممثلة التي قُبلت ٤٦٨ قبلة في أربع ساعات ، فضربت بذلك رقماً قياسياً في « حركة الشفاه »

ويوم عرض فلم «سجين زندة» في نيويورك عمد أحد معلني هوليوود إلى حيلة بارعة ، فقد علم أن في كندا بلدة اسمها « زندة » وأن عدد سكانها اثنا عشر وحسب ، فنقلهم بطائرة خاصة إلى نيويورك، ونشرت الصحف دون أن تعدو الحقيقة فيما نشرت، أن «جميع سكان مدينة زندة « جاءوا إلى نيويورك ليشهدوا عرضه الأول » .

حيل بسيطة ولكنها تستغلُّ في الإعلان أبرع استغلال ، فقد كانت سونيا هيني تمثل مع تيرون باور في فلم يدور على حب عظيم بينهما ، وإذا سونيا تلفي نفسها ذات صباح في الجناح الخاص بها في الدور السابع عشر من أحد الفنادق ، مقطوعة الصلة بسائر العالم، لأن عمال المصاعد قد أضربوا . فدعا جاك كوبر أحد رجال الإعلان طائفة من مخبري الصحف ليشاهدوا تيرون باور يصعد السلالم على قدميه إلى جناح سونيا في الدور السابع عشر وهو يحمل لها طبق الفطور ، فإذا الصحف تنشر وصفاً مفصلا رائعاً عن « إنقاذ سونيا هيني » .

والتوسل بأساليب الربط بين الحبّ والإعلان ، صار أمراً مألوفاً في هوليوود. فهذه كلوديت كولبير تفرُّ مع الدكتور جويل برسمان في الساعة الأولى والدقيقة الثلاثين بعد منتصف الليل، ولكنها تحرص — بإشارة ممن يتولى الترويج لها — على أن تخبر كاتبة أخبار المجتمع ونوادر القيل والقال في طائفة من الصحف بما تنوي أن تفعل. وقد اهتمت الصحف بأخبار ديانا دربن وشيرلي تمبل يوم تزوجتا ، فوصفت الحفلتين كأنهما مؤتمران عظيمان من مؤتمرات الصلح . وعنى المعلن عن فيكتور ماتيور « الوسيم الوجه » بتصويره في بحر سنة ثمانين مرة في مكان عام ، وفي صحبته كل مرة فتاة شقراء ، ونشر الصور في الصحف، فزاد عدد الرسائل التي وصلته من المعجبين به زيادة كبيرة . ولم يغفل المعلن عن جيمس ستيوارت أن يذيع في الصحف عن ٢٦٣ ميعاداً ضربها ستيوارت مع الغواني قبل أن ينتظم في سلك الجيش .

وفي هوليوود ٤٠٠ رجل من المتخصصين في الإعلان تتفاوت مرتباتهم من ٥٠ ريالا في الأسبوع للذين «تحت التدريب» ، إلى ١٠٠,٠٠٠ ريال لمديري شركات الإعلان. وترى في شركات السينما الكبيرة ، أن قسم الإعلان منظم كأنه دار صحيفة كبيرة . فهناك المخبرون والمحررون والمصورون

والرجال والسيدات الذين يتصلون بالمجلات والصحف وشركات الأنباء البرقية، والصحف التي تختص بشئون السنما والصحافة الأجنبية. وهناك كتاب توفروا على كتابة المقالات ، وآخرون يوزعون « الأخبار الخاصة » حتى تنشر حيث يريدونها أن تنشر. وهناك خبراء الأزياء ومديرو الرسم والتصوير.

ولما كانت الغواني الجميلات هنّ عماد الإعلان في هوليوود ، ترى رجال الإعلان يسهدون الليالي وهم يفكرون في حيل بارعة تحقق لهم هذا الغرض. وقد يختلف عرض فتنة النساء : من جماعة من النساء لبسن أضيق المشدّات ، وقد وقفن أمام مكان التمثيل ليعترضن على لبس المشدات في فلم « معاشق بل آمي » ، إلى غواني الملاهي في ملابس السباحة وقد وقفن في معهد « العلاقات بين الناس » حيث يتولى علماء النفس والاجتماع فحص مواهبهنّ.

وأنباء المكافآت والجوائز والقضايا والكوارث ورسائل التهديد والبحث الدائب عن فتاة لتمثيل دور بعينه ، كل ذلك حيل يعمدون إليها للظفر بإعلان بلا أجر ، لأنها تعد من الأخبار التي تهتم بها الصحف. فالبحث عن الممثلات اللواتي يصلحن لدور سكارلت أوهارا في فلم « ذهب مع الريح » ، أو برناديت في فلم « أنشودة برناديت » ، أو آمبر في فلم « آمبر إلى الأبد » ، أصبح مصدراً لأخبار تهتمّ بها الصحف في أرجاء الأرض. ويوم صوّر مشهد شبوب النار في مدينة أتلانتا في فلم « ذهب مع الريح » ، نشرت أخبار النار في طليعة أخبار الصحف ، ذلك لأن مدير الإعلان لم ينبىء أحداً من الصحفيين بما ينتظر أن يكون ، فلما بدأ تصوير المشهد كانت النار قد استعرت ، وبدا للناس أن حريقاً فظيعاً قد شبّ ، فهرع الصحفيون إلى المكان ، فوجدوا هناك كلّ ما يرومونه من نشرات أعدّت لهم ، وتلفونات تمكنهم من الاتصال بصحفهم.

ومن أبرع رجال الإعلان رسل بردويل ، وقد عُنيَ مرّة برسم سجادة شرقية ضخمة على شوارع مدينة كلفر إعلاناً عن افتتاح فلم « جنة الله ». وعمد مرة إلى دعوة كل ذكر وأنثى اسمهُ يونج ، ليحضروا افتتاح فلم جديد بطلته لوريتا يونج ، فحضر ألوف منهم. ويخيل إلى بردويل أحياناً أنه رجل من أهل الخير في هذه الدنيا ، وأنه مناضل عن نواحي الخير التي أهملها الناس. وقد قرأ منذ عهد غير بعيد أن جميع القطط قد كادت تنقرض من الفلبين في أثناء الحرب ، فخطر له أن ثمة خيراً يستطيع أن يصنعه ، فجاء بممثلة تدعى إيف آردن وجعلها تشرف على إعداد ملء سفينة كاملة من القطط حتى

ترسل إلى مانيلا عاصمة الفلبين. أما الحكومة فلم تزوجه الخير في هذا العمل، وأما بردويل والممثلة فقد ظفرا بما كان يرجوه بردويل من شهرة ذائعة .

وقد كان احتشاد الناس حول الكواكب وملاحقتهم لهم من أجل الظفر بتوقيعاتهم ، وسيلة من أفضل الوسائل للظفر بإعلان مجاناً ، ولكن أهل الإعلان قد بالغوا فيها فصارت اليوم متعبة لهم أيّ متعبة . فجماهير المعجبين الذين يحتشدون من حول الممثلات يطير صوابهم، فتراهم يمزقون ثيابهن الثمينة، وكثيراً ما تراهم يطرحون الممثلة على الأرض ويجردونها من معظم ما ترتدي . وقد ضاقت الممثلات ذرعا بهذا ، وصرن يخشين حقاً أن تؤذيهن الجماهير التي تحتشد من حولهن في المحطات والفنادق والمسارح، حتى لتراهن يتنكرن بلبس النظارات السود ، ويدخلن الفنادق أو يخرجن منها من غير أبوابها العامة، وليس ذلك منهن تظاهراً واجتلاباً للشهرة، ولكنه دفاعٌ عن النفس .

ويندر أن ترى كوكباً من كواكب السينما قد رضى عن أن يفضح بعض حيل الإعلان عنه مهما كانت الحيلة سخيفة ، فلذلك تجد هوليوود لا تزال تذكر بالخير وصول أولسن وجونسن إلى حفلة فلم : «الجحيم يتفجر» ، فقد خطر لأحد رجال الإعلان خاطرٌ يشق أن تصفه بأنه خاطر مبتكر ؛ فاتفق مع المهرجَيْن على أن يعمد كلٌّ منهما ساعة دخولهما إلى قذف صاحبه بقطع من الحلوى المائعة فتسجل صورهما على شريط ، ويخلد بذلك عملهما أبد الآبدين . فلما وصلا وأشار إليهما الرجل بالشروع في التقاذف ، التفتا كلاهما إليه، وقذفا وجهه بقطع الحلوى قذفاً مسدّداً تسديداً محكما .

إن قليلا من الثرثرة بين الحين والحين ، لأمر يستطيبه أحكم الحكماء .



من لواذع هوليود

قالت زوجة ممثل مشهور للممثلة لوسيل بول إنها اشترت هدايا رأس السنة الجديدة في أكتوبر ، فصاحت بها الممثلة : «ولكن كيف تستطيعين أن تعرفي في أكتوبر من تكون صديقاتك في أول يناير ؟ !»

طبيب الريف

دون ماركويس

أجال الدكتور ستيوارت بصره فى شارع القرية من خلال قتام العاصفة المزمجرة ، وجمع الشملة الملقاة على عطفيه ، وابتهل إلى الله أن يعفيه الليلة من دعوة لزيارة أحد مرضاه — ولاسيما سكان البطائح (المستنقعات) ، فالنهر الأخضر الذي يصب فى المسيسبي يجرى فى سهل فسيح ، وهو اليوم عارم متدفق يطغى على ضفتيه ويجرف صلصالها اللين ، والطرق فى السهل أدنى إلى أن تكون جداول زاخرة متدافعة الماء .

وأخذته رعدة البرد — لأنه مصاب بالأنفلونزا — ثم ألقى بقطعة أخرى من الفحم فى الموقد .

ثم انتفض ، كأنه يريد أن يطرد شبح الخوف أن يدعى إلى عيادة مريض وحاله الساعة حاله .

وقال يخاطب نفسه : « ليس عندى متسع من الوقت للمرض . فالناس فى حاجة إلىّ » .

لقد أجهد نفسه فى الشتاء والربيع الماضيين وهو يكافح عواصف الثلج فى السهوب ، وسيول البطائح فى الربيع ، حتى يصل إلى دار نائية فيها مريض موجع ، ثم يناضل طوال الليل لكى ينقذ حياة مريضه ، ولا يعود إلى بيته إلا مع الفجر ، فلا يكاد يكرع إبريقاً من القهوة الساخنة ، حتى يبدأ عمل يوم جديد دون أن يصيب غفوة . وقد تجمدت قدماه ويداه فى الشتاء الماضى ، ولكن الجمد لم يضرب قلبه الكبير ، وها هو ذا يستقبل مستهل شتاء آخر ولكنه مريض .

ما أكثر الذين يحتاجون إلى رعايته ! أسرة راى ، وأسرة تاكر ، وأسرة براسين ، وأسرة سميث — ففى جميع هذه الأسر مرضى يحتاجون إلى علاج ، وهذان الطبيبان الشابان ، هايستنجز وجونز ، لا يعرفان سوى أقل من القليل عن هؤلاء الناس . طبيبان محسنان ، ولا ريب ، يحاسبان ضميرهما عن كل ما يصنعان — ولكنهما لا يزالان فى ميعة الصبا ، لم يصارعا الموت فى بحر نصف قرن من الليالى الباردة المتوالية .

فبأى حق يبقى فى بيته لكى يعنى بنفسه ، على حين يرى أهل الريف جميعاً قد أصيبوا

---

* دون ماركويس مؤلف روائى ومسرحى وكاتب أقاصيص .

بالأنفلونزا والتهاب الرئة ؟ والمرضى هم أهله ، وصحبه ، فقد استقبل بيديه أكثر من جيل منهم، فرأوا نور الدنيا أول ماراأوه على يديه، وهوّن على بعض آبائهم وأجدادهم مشقات الرحيل عنها إلى الدار الآخرة . وقدصاروا ينظرون إليه كأنه الفصول المتغيرة فى إقبالها وإدبارها ، وكان بعضهم ينسى وجـوده كما ينسى الفصول ، فقد كان آخر رجل يؤدُّون له دينه عندهم ، فيقدمون عليه دين التاجر والبقال وأقساط المرابى .

وإذا رجل لطخه الوحـل على مركبة لطخها الوحل أيضاً ، قد وقف ببابه وطرقه طرقاً شديداً .

فقال الدكتور ستيوارت برماً : « لقد جاءت الدعوة » وفتح الباب وقال : « إنه جاسون تاكر ، فيما أظن »

فقـــال تاركر : « نعم كيف حالك يادكتور ؟ » ثم ساد السكون هنيهة نظر فيها كلٌّ من الرجلين إلى صاحبه على ضوء مصـباح الزيت الخابى الذى فى بهو الدار ، فقرأ الطبيب هول مصـيره فى آيات القلق المخطوطة على جبين صاحبه . وقال :

« أهى ميرا يا تاكر ؟ »

فقال تاكر : « نعم، لقد جاءها المخاض» .

وعرك تاكر قبعته المبللة بين أصـابعه المضطربة وقال: «وهى مصابة أيضاً بالأنفلونزا يادكتور . وأخشى ما أخشاه هو أن تنقلب إلى التهاب فى الرئة » ثم نظر نظرة سريعة إلى الطبيب وقال : « ولـكنك مريض يادكتور » .

فقال الدكتور : « لست فى مثـــل ماعهدته فىَّ من النشاط » .

فتنحنح تاكر وهمس : «لقد كسرت ساق الدكتور هايستنجز ، وأما الدكتور جونز فقـد خرج إلى أحد المرضى فى البطائح فلم يسعنى أن أتصل به » ، ثم سكت هنيهة وتنفس نفساً عميقاً وقال : «يؤسفنى أن أثقل عليك وأنت مريض » .

وقد رسخ فى ذهنى الدكتور ستيوارت أن هذه الدعوة ليست إثقالا وحسب وإنما هى مفضية به حتماً إلى الإصابة بالتهاب الرئة، ثم هناك ذلك الألم الفظيع فى جهة القلب ، فقد حاول أن يقنع نفسه بأنه شبيه بالذبحة الصدرية ، ولـكنه ليس منها فى شىء . وعلى كل حال ، وسواء أكانت ذبحة صدرية حقاً أم لم تكن ، فليس ثمة فرق بين الحالين فى حياة رجل بلغ الثمانين ، والحقيقة التى لامفر منها هى أن القلب كانـ فى الشتاء الماضى مجهداً متضخماً . تبًّا له ! إن وقت الطبيب لايتسع لتشخيص ما ألم به من مرض .

طاف هذا الخاطر بذهنه ، ولـكنه قال لتاكر : « سأذهب معك » .

فقال تاكر : « شكراً يادكتور ، فقد كنت أحس أنك فاعل ، كيف تنوى أن تذهب؟ »

فقال الدكتور : « سأركب عربتى » ثم كتب وصفة على ورقة وقال: «دعهم يصنعوا لك هـذا الدواء ، وعد إلى بيتك بأقرب ما تستطيع ، وأعطها الجرعة المرقومة على الزجاجة » .

وقال تاكر وهو منصرف : « احذر من أن تسير على جسر الخشب . اعبر النهر على الجسر الحديدى . المسافة أطول بمقدار ميل ولكن الجسر أضمن ، فالنهر الأخضر عَرِم متدفق الليلة » .

ولبس الدكتور ستيوارت معطفه ومعطف المطر فوقه ، وذهب ليشدّ جواده إلى العربة .

وجعل يحدّث نفسه وهو يفعل : «ميلان حتى حدود المقاطعة ، ثم أربعة أميال غرباً إلى الجسر الحديدى ... تبًّا لك ! أتريد أن ألهب جلدك بسوط مبلول ! »

كانت هذه الكلمات الأخيرة موجهة إلى الجواد ، وهو آخر جواد من طائفة صَحِبت الدكتور فخاضت معه الوحل والثلج والغبار الكثيف : « اسكن ، وإلا بعتك لمن يسىء إليك » فقد كان دأبه أن يهدّد جياده بأن يبيعها للعمال فى معصرة ، أو لمن يقطعها قطعاً تباع ، بيد أن جياده كانت تعلم أنه لا يحمل لها سوطاً برغم ما يصبُّه عليها من جام غضبه .

كانت ثياب الطبيب قد بُلّت حتى نفذ الماء إلى جلده قبل أن يبلغ الرقعة التى ينتهى فيها السهل الموحل ويبدأ المستنقع الغامر . فوقف ودسّ مقياس الحرارة تحت لسانه ، ثم أخرجه وفحصه على ضوء سراجه . نعم إن حرارته آخذة فى الارتفاع ، فمضى قُدُما فى طريقه ، وجعل يتمنى أن يصل إلى دار تاكر قبل أن ينزل الوليد ... أو ... قبل أن تفارق الأم ؟ الدنيا .

كانت مياه الجداول والسيول قد فاضت من الخنادق المحفورة على جانبى الطريق ، وجعلت تجرف سطح الطريق اللين فتخدّده ، فكان عسيراً على جواده أن يلتزم حادّته . وبعد ساعة أو أكثر قليلاً طرق أذنيه هدير متصل ثابت ، فهذا النهر الأخضر أمامه ، فخرج من المركبة ليلقى نظرة على الجسر الخشبى ، فقد يوفر عليه عبوره مسافة ميل من السير فى الوحل والأخاديد . فخطا فى الوحل المائع حتى بلغ ضفة النهر ، وهو يمسك سراجه بيده أمامه — وإذا هو يقف دون حدّ الخطر ولمّا يكد ، فليس هناك جسر من خشب ، فقد دمره التيار واحتمله فيما دمر واحتمل .

فانثنى حتى إذا بلغ الجسر الحديدى وقف ونزل من مركبته مرة ثانية ، فرأى المياه تغمر معبر الجسر ارتفاع قدم ، وهى تتدفق وتفور ، ولكن هيكل الجسر مصنوع من الحديد وهو ثابت متين ، فارتدّ بضع أذرع على الجسر ، وهو يطأ بقوةٍ على عوارضه ، وكانت المياه المتدفقة تصدمه إلى ما دون الركبتين .

فجعل يخاطب نفسه ساخراً : « إن ماينبغى لك أن تصنعه بالأنفلونزا يادكتور ، هو أن تلبث دافئاً فى سريرك ، وأن توقى قدميك البلل والبرد ، وأن تجتنب كل إجهاد وعنف من أى ضرب كان ! »

ولكن الدكتور عاد إلى جواده وهو يقول لنفسه : « آخذه بلجامه وأقوده » ، وماهو إلا أن فعل ، فالسراج بيمناه واللجام بيسراه ، والجواد والعربة يتعثران وراءه . ولم يلبث أن كف عن السير ، فقد نظر إلى أمام : أين الطرف الغربى لهذا الجسر ؟ فقد كاد ينتهى من العبور ، وليس يرى طرفاً ينتهى العبور عنده ، فليس أمامه سوى شىء واحد : الماء ! فظل هنيهة يفكر فى هذه الظاهرة العجيبة ــ ظاهرة جسر أرسى طرفه الشرقى إرساءً ، ولكن ليس للجسر طرف غربىّ ، ومع ذلك فلِمَ لم تتقوض أركان الهيكل جميعاً ؟ وإذا به يرى فى لمحة جواب السؤال : فبين القاعدة الغربية للجسر والأرض التى كانت بمنزلة الشاطىء للنهر ، احتفر الماء المتدفق مجرى جديداً وتدفق فيه فغمر القاعدة الغربية وماحولها ، وهذا شىء لاتستطيع العربة أن تعبره ، فعساه أن يتمكن من عبوره سيراً على قدميه ، ففصل الجواد عن العربة ، وامتطى صهوته ، فلا مفرّ لعبورهما من ذلك ، أما العربة فلتبق حيث هى .

قال لنفسه : « إنها عربة بالية قديمة على كلّ حال » .

وأخذ معه حقيبته الجلد الصغيرة ، ففيها بعض أدوات الطب وطائفة من زجاجات الأدوية . وبينا هو يمتطى الجواد ، أحسّ بألم حادّ يطعنه فى اليسار من صدره كاد يقطع نفسه فأغمض عينيه لحظة متشبثاً بعُرْف جواده .

ثم قال وكأنه يهمس لنفسه : « طبيب قديم بالٍ كالعربة ، ولكننى سأبلغ غايتى » . وقد قال هذه الكلمات الأخيرة ، وكأنه يتحدى بها الليل والعاصفة والمستنقع الغدّار ، أو هى روحه القاهرة التى ترسل هذا التحدى : سحقاً للذبحة الصدرية ! فليس عنده متسع من الوقت حتى يعنى بأمرها .

وخاض به الجواد الماء إلى الخندق العرم ، فأحس الطبيب الماء يرتفع من حوله إلى ركبتيه ... ثم إلى فخذيه ... لقد بلغ الماء السراج ... وإذا به ... أين الجواد ؟

إنه يكاد يختنق ... وها هو يصارع ماحوله مصارعة المحموم ... ثم ألفى الدكتور ستيوارت نفسه مستمسكاً متشبثاً بجذور شجرة من الصفصاف. فحاول جهده أن يصعد على الضفة المنحدرة الزلقة ، وقد رفعه الطوفان الدافق ثم حطه ... ولكنه ظل متشبثاً بالجذور ، ثم حاول محاولة أليمة أخرى فأحس أن ساقيه قد أطلقتا من عقالهما ، ولكن هذا الألم ـ فهو يحس أن فى صدره رماداً حامياً .

بيد أنه تمكن من أن يستخرج حبوب المورفين من حقيبته الصغيرة ، فأخذ حبة ، واستلقى على الوحل ، فمرت به ثوان أحس فيها بالراحة ، ولكن القدرة على التفكير لم تلبث حتى عاودته ، فإذا ذهنه صاف ، فهب كالمذعور يجاهد حتى يقف على قدميه ، فصعد الضفة متعثراً ، وصار على الطريق ، فرأى شيئاً أمامه يتحرك ، بل إنه حيوان فوقف يحدق وهو يحاول أن ينفذ بصره فى دجى الليل ، وإذا الشىء المتحرك يدنو منه ثم يقف . فهذا جواده ، لقد نجا بمعجزة من التيار الجارف ، فسرى عنه فهو غير مضطر بعد الساعة أن يمشى إلى دار تاكر مسافة نصف ميل .

وتراءت له أنوار الدار ، فحاول أن يمتطى الجواد ، ولكن المحاولة أجهدته فأحس بالألم يحزه فى صدره ، فألقى ذراعه اليمنى على عنق الجواد ، وشبك أصابعه فى عرفه ، ومشى مستنداً إليه ، حتى وصل ولم يكد .

« وصلت فى الوقت » ، قالها الطبيب وهو يمشى متثاقلاً فى الرواق المفضى إلى الباب ، فقد نفذ فى أذنيه صراخ المرأة وقد ضربها المخاض .

فتح الباب ودخل بدون استئذان . كانت ميرا فى أفضل حجرة للنوم قرب حجرة الاستقبال ، وكان باب حجرتها مفتوحاً ، فدخل ورأى تاكر جالساً فى الزاوية ، وأخذت عينه شاباً فاحم الشعر ، متعب العينين ، نابت شعر الذقن ، منحنياً فوقها ، وإذا بهذا الشاب يترنح مقبلاً على الدكتور ستيوارت ويقول :

« سلام عليك يادكتور ، كيف أتيت ! »

فقال الدكتور ستيوارت سائلاً :

« أكتبت لها الحياة ، ياهايستنجز ؟ »

فقال هايستنجز : « إذا لم يضعف قلبها »

فقال ستيوارت : « سحقاً للقلوب ! »

وقد استقبلا الطفل الوليد بأيديهما ، ولكن الدكتور ستيوارت لم يدرك حتى انتهت الولادة أن هذا الشاب هو حقاً الدكتور هايستنجز الذى قيل له إن ساقه مكسورة ، ولا يستطيع حراكا . فقال :

« وكيف أتيت ياهايستنجز ؟ »

« على صهوة جواد . فقد أقلقنى أن تعجز

أنت عن المجيء ، ولعلى مررت بك وأنت فى الطريق » .

فهمهم ستيوارت : « كنت مطروحاً فى الوحل ، ولعلى بقيت هناك فترة ما » .

وردّد هايستنجز قوله كالمعتذر : « خشيت أن تعجز عن المجيء » ولكنّ ألم ساقه كان فظيعاً ، وحاول أن يتكلم ، ثم كفّ ، فقد تغيرت معـــالم وجه الدكتور ستيوارت ، فأراحه هايستنجز قليلا على مقعد فى حجرة الاستقبال .

فتمتم ستيوارت وهو يعبث بكمه : « هو القلب ، ياهايستنجز » فأعانه الشاب على ثنى كمه وحقنه : « ويلاه ، هذا الاختناق ، والرماد المتقد ... »

وقال : « هايستنجز ، احفظ علىّ حياتى هنيهة ، حتى تنحسر غمّة هذا الوباء . . . احفظ علىّ حياتى قليلا » .

ومالبث العقار أن فعل فعله ، فسرى الدفء فى الجسم فاسترخت العضلات ، ولكن أين القـوة ؟ وقد بدا عليه كأنه مترنح ، عاثر ، طافٍ ، محمول على عُباب تيار زاخر .

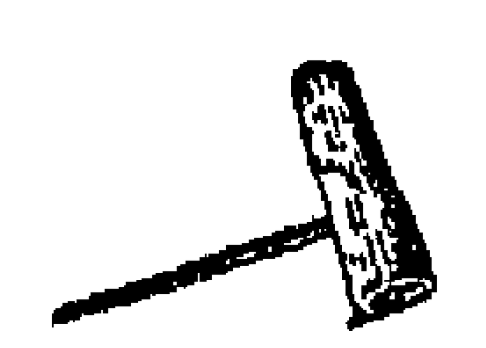
وصفا ذهنه لحظة فقال كأنه لم يرَ الشاب سوى الآن : « هايستنجز ! لقد جئتَ برغم ساقك المكسورة » . ثم قعد وجعل يتكلم كأنه قائد يهنىء أحد ضباطه ببسالته ، وكان فى نبرات كلامه ، زهو وسلطان وحنان : « والذى نفسى بيـده ، إنك لطبيبٌ يابنى ! »

ثم ندّت منه آهة طويلة عميقة ، وإذا جسده يسترخى ، فقد أذن للتيار أن يحتمله ، لقد صار عنـده متسع من الوقت لذلك ، فإنه يترك أهله وصحبه بين يدى رجل قدير كريم الأصل .

وترددت فى حجرة الأم صرخة الوليد .

فقال الطبيب العجوز ستيوارت : « صرخة طفل آخر من أطفال البطائح » .

ثم ابتسم ، فحمـله التيار الجارف وهو يبتسم — إلى الرفيق الأعلى .



أعتقد أن النشاط الذى تنفقه المرأة فى الزيارات والحفلات كلّ سنة ، يكفى لرفع قصر بكنجهام تسع بوصات وربع بوصة عن سطح الأرض ، وأن يبقيه معلقاً فى الهواء ثلاثاً وأربعين ثانية .

[دوق مانشستر]

رحلة من أعظم الرحلات البحرية تحريكا للنفس .

رحلة السفينة " إرما "

فولدمار فيدام
كارل ب وول

فى ليلة ١٥ من ديسمبر ١٩٤٥ أخذت سفينة صغيرة خَرِعة طولها ٣٧ قدماً تتلمّس طريقها فاجتازت عاصفة ثلجية شديدة قرب رأس هنرى بولاية فرجينيا الأمريكية ، وألقت مراسيها فى مرفأ « ليتل كريك » . وكانت تقل ١٦ من أهل أستونيا ، ما بين رجال ونساء وأطفال ، وكانت هذه السفينة الصغيرة قد غادرت مياه السويد قبل ١٢٨ يوماً وقطعت أكثر من ٨٠٠٠ ميل . وقد حدثت رحلات كهذه فيما بعد — انتهت إحداها فى فلوريدا منذ عدة شهور — ولكن هذه كانت الأولى ، وكانت أشد الجميع تحريكا للنفس .

وقصة هذه الرحلة الباسلة ، ولماذا كانت ، مبنية على مذكرات دونها فولديمار فيدام المؤرخ الأستونى ، وأحد ركاب السفينة .

استكهلم : ٥ يوليـــو ١٩٤٥

أقبلت مايا أندرى على البيت تحمل خطاباً تلقته من السلطات السويدية اليوم ، وكانت يدها ترتعش وهى تطلعنا عليه .

وكانت هذه الرســـالة الرسمية تقول : « إن الحكومة ترغب فى أن تعودى إلى وطنك فى أستونيا . . . » .

واللغة رقيقة ، ولكن ما تنطوى عليه مفزع ، فإن معناه أن موسكو تضغط لتردّنا إلى بلادنا ، وهى الآن تحت حكم السوفيت .

والرسالة إلى مايا إحدى رسائل كثيرات مماثلة لها ، وقد أرسلت بالبريد — بحسب الحروف الأبجدية — إلى اللاجئين السياسيين من أستونيا ، الذين فروا واجتازوا بحر البلطيق فى السنوات الخمس الماضية .

وفى سنة ١٩٤٠ استولت جمهورية الاتحاد السوفيتى على جمهوريتنا أستونيا ، ففر مئات إلى فنلندة والسويد . وفى عام ١٩٤١ طرد الألمانيون الروسيين ، ففرّ آلاف . وفى عام ١٩٤٤ عاد الروس ، ففرّ عشرات من الآلاف . واليوم يوجد هنا فى السويد ثلاثون ألفاً من أهاليها الذين يبلغون مليوناً ،

وهناك ستون ألفاً هائمون على وجوههم فى أوربة ، وستون ألفاً أحياء أو موتى « فى مكانٍ ما بروسيا » .

ويطلب السوفيت الآن أن نعود إلى وطننا . وفى إحدى الليالى تصفنا محطة الإذاعة السوفيتية البلطيقية بأننا « فاشيون » وأننا «مجرمو حرب» ، وبعد بضع ليال نوصف بأننا « وطنيون طيبون ما غادروا بلادهم إلا بسبب الظلم الألمانى ، وسيعودون قريباً إلى وطنهم» — إذا كانت قبضة اليد لا تجدى فجرّب المصافحة !

وقد قام بوليس السويد ، بناء على طلب السوفيت ، بإحصاء رسمى للأستونيين الموجودين هنا ، ومنهم ٩٩٫٥ فى المئة ، لا يريدون العودة . لماذا ؟ إنه الخوف — الخوف من البوليس السرى الروسى .

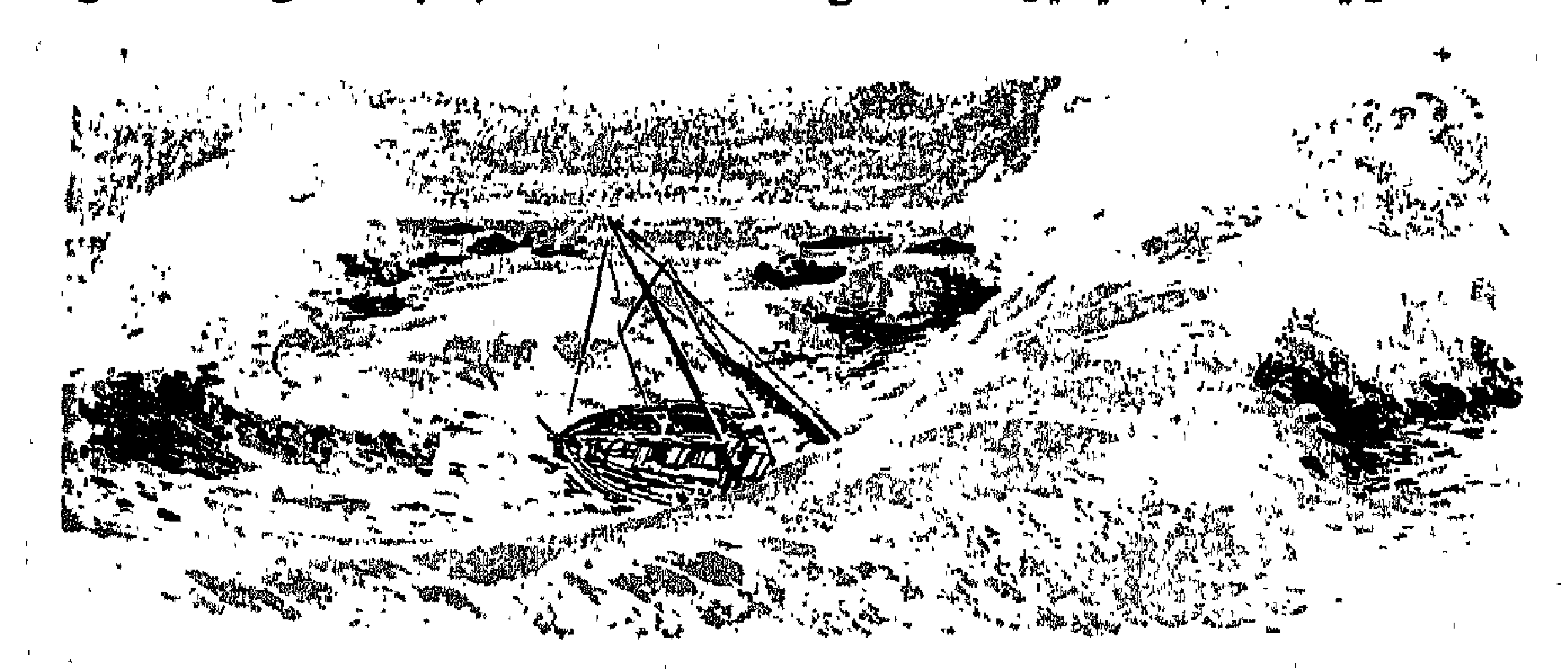
وقد شاهدت تعبئة البوليس السرى الروسى فى أستونيا فى شهرى يوليو وأغسطس من عام ١٩٤١ . وقد أرسل ٣٥٫٠٠٠ من الرجال الذين تتراوح أسنانهم بين ١٩ سنة و ٤٥ سنة إلى معسكرات السخرة فى شمال روسيا وإلى ما وراء جبال الأورال .

وليست الرسالة التى تلقتها مايا أندرى الليلة بالدليل الوحيد على أن موسكو تفكر فينا ، فإن هناك إعلانات مأجورة فى صحف استكهلم تطلب من كل الأستونيين أن يسجلوا أسماءهم فى المفوضية السوفيتية ليتسنى أن « نعاد إلى وطننا » .

وقال هارى بالبرج : « إننا لا نستطيع أن نظل قاعدين هنا هكذا ، فسنعاد عاجلا أو آجلا . وعلينا أن نصنع شيئاً . فلنأخذ سفينة نبحر بها إلى أمريكا » .

واعترض أرفيد كون قائلا : « لن يسمحوا لنا بالدخول ، فليس على جوازاتنا تأشير بالدخول » .

فقال هارى بلهجة الواثق : « سنسوّى



هـــذا الأمر حين نصل إلى هناك » .

ومن الجلىّ أنها فكرة حمقاء ، ولكنى مؤيد لها .

استكهلم فى ٨ يوليه ١٩٤٥

وجد هارى سفينة نستطيع أن نشتريها ، وهو يعتقد أنها تستطيع أن تقلنا إلى أمريكا.

واسمها إرما ، ويسمى السويديون هذا الضرب من السفن « كوستر » ، أى سفينة مبنية للرحلات الساحليـــة . ويزعم صاحبها أن عمرها ٥٥ سنة فقط ، ولكن من الصعب تبين الحقيقة . على أن هارى يقول إن السفينة مثل الزوجة الصالحة ، فبعد أن تتجاوز سناً معينة ، لا يعود لمنظرها قيمة ، بل المعوّل على صلاحها .

وتبدو لى السفينة إرما أصغر جداً مما يجب ، فطولها لا يزيد على ٣٧ قدما ، ولكن من حسن الحظ أنها عريضة فهى لا تنقلب إذا ساء الجوّ ، وهذا مما يسرنى ، فلولا ذلك لكان لا بدّ لها من قاعدة ثقيلة تمنعها من الانقلاب . ويقول صاحبها إن شراعها يرقع الآن فى بيته ، ولكنه من قماش متين .

وقد طعن هارى بمديته ألواح السفينة تحت خط الماء فلم يجد موضعاً واحداً ضعيفاً متآكلا ، ولكنه سأل صاحبها هل نستطيع أن نجرها إلى الشاطىء لنلقى على جوفها نظرة أدق ، فغضب الرجل وقال : إذا كنتم لا تريدون أن تأخذوها كما هى ، فاذهبوا إلى حيث ألقت . ويعتقد هارى أن الرجل شريف صادق ، ويقول إنه لا يسعك إلا أن تشعر مثل هذا الشعور نحو سفينة ظلت فى حوزتك زمناً طويلا ، وقــد صار هارى مشغوفاً بالسفينة إرما .

قنـــاة جوتا بالســويد
١٨ من أغسطس ١٩٤٥

كانت هذه الأسابيع الأخيرة حافلة بالعمل الذى يقصم الظهر ، فقد كنا نعد السفينة للإبحار ، وقد خرجنا من استكهلم منــذ تسعة أيام ، ونحن الآن ماضون بمثل بطء القواقع إلى عرض البحار . وقد آثرنا طريق القناة لأن الروسيين فى جزيرة بورنهلم فى البلطيق بين السويد والدنمرك . وثم إشاعات باختفاءات عجيبة فى هــذه المياه — ومن الصعب أن يتبين المرء أيرجع الاختفاء إلى الجو أو إلى الدوريات الروسية .

وكانت السفينة إرما فى الأصل سـفينة نزهة مبنية بحيث تتسع لأربعة أو خمسة ، وجماعتنا ١٦ ، وكلهم أصدقاء منذ أيام سابقة فى أستونيا كانت أسعد من أيامنا هذه .

وفى الغرفة الرئيسية التى كانت مجعولة لاثنين فقط ، وضعنا ألواحا محاذية للسريرين وتنام هنا أسرة بالبرج وهى مكونة من ستة : هم هارى وهو فى الثالثة والثلاثين

مثلى ، وزوجته إيلين فى الرابعة والعشرين ، وابنتهما الجميلة جداً ذات الشعر الذهبى،وهى فى الثالثة من عمرها ، وأم هارى فى الستين، وبنت عمها المسز جوليان ألتنبروم فى الثامنة والخمسين ، وابنتها مايا أندريه .

وفى الغرفة الثانية الصغيرة التى كانت أيضاً مجعولة لاثنين تنام أسرة كون : أرفيد وعمره ٣٨ ، وهو رجل يبتسم ويغنى وهو يعمل ، وكان قبل الحرب رباناً لإرشاد السفن فى أحد موانىء أستونيا ، وزوجته الجذابة الغيور وهى فوق الثلاثين بقليل ، ولهما ثلاث بنات : إيمى فى العاشرة ، وإنجا فى السابعة ، وأوللا فى الثالثة .

كل غرفة حوالى تسع أقدام فى الطول وسبع فى العرض ويبلغ ارتفاع سقفها خمس أقدام . ولما كانت كل منهما لا تتسع لنا جميعاً فى وقت واحد ، فإن كل جماعة تعد طعامها على حدة . وقد جهزت كل غرفة بموقد صغير يشعل بالكحول .

وفى السفينة شىء واحد يعد حديثاً — مبولة صغيرة فى غرفة كون مزودة بمضخة يدوية ، فيندر بطبيعة الحال أن تخلو غرفة آل كون من الزوار .

وفيما نسميه مازحين «غرفة الطوارىء» ، نقيم نحن العزاب الخمسة : أنا ، وهينو لوتس فى الخامسة والعشرين ، وكان يدرس الصيدلة قبل الحرب ، وبول راينهولم فى الثامنة والعشرين وكان طياراً فى السلاح الجوى النرويجى وقاتل الألمانيين ، وأخوه لمبت فى الرابعة والعشرين وهو طالب انقطع عن الدرس من جراء الحرب ، « وورومى » (الذى يرغب فى كتمان اسمه لأن له أقارب فى أستونيا) وهو طالب فر بعد الاحتلال الألمانى .

لما دخل الروسيون أستونيا فى ١٩٤٠ كنت أدرس للحصول على درجة أستاذ فى التاريخ والفلسفة بجامعة تارتو ، فعينى الروسيون سكرتيراً فى إحدى وزارات الشعب ، ولكن غيرتى لم تكن كافية ، فنقلت كاتباً فى « جراج » وهو ككل شىء آخر تحت « إدارة » السوفيت . فحرصت على هذه الوظيفة ليتسنى لى أن آكل أحياناً حتى جاء الألمان ، فلما هددونى بإدخالى فى الجيش «المتطوع» فررت وقررت أن لا أعود أبداً إلى أستونيا إلا إذا صارت لها حكومتها .

وفى غرفة الطوارىء توجد أيضاً الآلة — وهى آلة إضافية قديمة ذات أسطوانة واحدة أقمناها بعد أن ابتعنا السفينة . وعلى كل من جانبى الآلة ينام اثنان منا معا على لوح مغطى ببطانية ، وطول اللوح خمس أقدام وعرضه قدمان ، فالرقاد عليه يتطلب حذقاً . ومن حسن الحظ أن واحداً منا نحن الخمسة

يجب أن يقوم بالمراقبة مع هارى أو أرفيد وهما الوحيدان اللذان ركبا البحر أو يعرفان أبسط الأشياء عن تسيير سفينة . على أن كليهما يقول إنه ملاح بارع و « أستاذ فى الملاحة » . وإنى لأرجو أن لا يكون هذا مجرد تمدّح بالباطل . ويقول هارى إن الطريق الذى يجب أن نسلكه فى هذا الوقت من العام يسمى طريق «الرياح التجارية » ، وأن السفينة إرما ينبغى أن تقطع أكثر من سبعة آلاف ميل .

ويظهر أن مؤونتنا تقلقه قليلا، ولما كان من غير المعهود فى هارى أن يقلق لشىء ما، فإن هذا يقلقنا جداً . وقد تركنا شراء السفينة وليس معنا إلا القليل من المال ، وعندنا تسع علب كبيرة من اللبن المركز للأطفال ، وست غرارات من البطاطس ، وثلاث غرارات كبيرة من الأرز ، وشىء من الخبز السويدى الجافّ ، وقدر من طحين الشوفان ، وقليل من علب اللحم المحفوظ والسردين . وقد بنينا خزانات للماء على جوانب السفينة ، وبطّنّاها بالإسمنت حتى لا يفسد الماء بسرعة . ويقول هارى إنه مع التدقيق الشديد فى توزيع الجراية ينبغى أن يكون هناك ما يكفينا جميعاً ستين يوماً .

كراجيرو — النرويج .
٢٦ أغسطس .

قبل أربعة أيام دخلنا فى عاصفة شديدة فى مياه سكاجيراك الزرقاء، فانخرقت السفينة تحت خط الماء ، فاضطررنا أن نواصل نزح الماء بالمضخة باستمرار حتى لا تغرق فى البحر اللجىّ ، وقبضة المضخة عبارة عن حلقة من الحديد على سطح السفينة من الجانب الأيمن، على مقربة من سقف غرفة الطوارىء . فأنت تقف لحظة معتمداً على الغرفة حتى تعتدل السفينة ، ثم تلقى بنفسك على الحلقة ، فإذا أخطأتها فإنه لا يكون بينك وبين البحر إلا قدرتك على الاحتفاظ باتزانك . وترفع الكباس الحديدى وطوله ثلاث أقدام ، ثم تخفضه ثم ترفعه ثانية ، فينزح ملء كوبين من الماء . وكل مئة حركة للكباس تنزح ١٢½ جالون ، وقد كنت أحرك الكباس خمسمئة مرة فى كل نوبة . وكذلك كان يفعل كل رجل على السفينة . ومع ذلك بقى الماء على عمق بوصات فى أرض الغرف .

فقررنا أن نتجه إلى ميناء نرويجى ، فلما بدت لنا منارة كراجيرو قلت لهارى : « إن من المؤلم أن نقطع رحلتنا وما كدنا نقوم بها » .

وأحسب أن ضحكة هارى كان يمكن أن تسمع على شاطىء النرويج . وقال: « نقطع ؟ إنما نريد أن نسد الخرق » .

وقد رفعنا السفينة على حاملة للزوارق ،

فرأينا قعرها لأول مرة ، فلم نرض عنه ، فقدكان إلى يمين المكان الذى ظهر فيه الخرق عدة مواضع كالإسفنج . وقال هارى : إن هذا ليس عيب السفينة ، وإنما أصيبت وهى تجر وترفع ، وكنا نرى فى كل أنحاء قعرها قطعاً بارزة كأنها الأسمال التى تحشى بها اللعب.

وقال هارى إن من الممكن ترميمها فى أوجز وقت ، ولكنك كنت تستطيع أن ترى أنه ساخط على صاحب السفينة الأخير ، لا لأنه غشنا عامداً بل لأنه أهملها .

وقد استنفد الترميم معظم المال القليل الذى كنا ندخره للطوارىء ، ولكننا تمكنا من الحصول على بضعة ألواح من النحاس وعلى بعض الدهان الجيد مما أغفله الألمان لسبب ما ، ولم نحصل على ذلك إلا بما معنا من النقد السويدى ، فإن النرويجيين أبوا أن يأخذوا سواه .

وبينما كان الرجال يعملون، خرج النساء والأطفال إلى عدة قرى ساحلية لشراء لبن محفوظ للأطفال ، فلم يجدن فى ثلاثة أيام سوى علبتين .

وقد أتممنا عملنا البارحة ، وأعدنا السفينة إلى الماء . ثم رأينا قوماً يرقصون على رصيف قريب تضيئه مصابيح زاهية ، فذهبنا إليهم لنشاركهم فى لهوهم ، فوجدنا الفتيات النرويجيات يكثرن من التهامس فيما بينهن ، فقد حرن فى أمرنا فهن لا يدرين أنحن من السويد أم فنلندة أم أستونيا أم لتوانيا أم ألمانيا أم روسيا ، فرأينا أنه آمن لنا أن لا نتكلم إلا اللغة السويدية ، إذ كنا قد غادرنا السويد بترخيص رسمى « لرحلة فى المياه الساحلية » ، وقد ترى السلطات أننا أبعدنا فى الرحلة .

بحر الشمال .

٣٠ أغسطس

تعرضنا يومين لرياح شمالية غربية قوية ، وكان الموج العالى يتكسر على السفينة كل خمس دقائق كأنما كان هناك توقيت بجهاز خاص ، فيقطر الماء من سقوف الغرف ، ويبتل كل إنسان وكل شىء .

ومن سوء الحظ أن دوار البحر قد زال ، وهذا من سوء الحظ لأننا أصبحنا نشعر بالجوع طول الوقت . وإعداد الطعام السخن عناء . وقد حاولنا اليوم أن نعد حساء على احد الموقدين ،فانقلب لما وضعنا عليه الماعون ، فحاولنا ذلك مرة أخرى ، وأمسك رجلان بالموقد وثالث بالماعون ، واضطرب الرجل الذى يمسك الماعون ، فأريق الحساء مرة أخرى . وأخيراً استعنا برجل رابع ليسند الذى بين يديه الماعون .

وامتلأت قلوبنا الليلة عند الغسق رعباً ، ذلك أن أرفيد وثب فجأة من جانب السفينة

إلى عجلة القيادة وأدارها بعنف ، فنجونا من لغم عائم ولما نكد ، حتى لقد كنت أستطيع أن ألمسه . ولست أدرى ما « جنسية » اللغم ، فهو بعض ماخرج عن موضعه .

لوخ نس — أسكتلندة .
٧ سبتمبر

بفضل الآلة الإضافية التى نبدأ بها كل صباح لتسيير المحركات ، بعد تدفئتها نصف ساعة بجهاز اللحام — أخذنا نجتاز على مهل سلسلة أقنية كالدونيا التى تصل البحر الشمالى بالمحيط الأطلسى. وقد بدا على موظفى الهجرة فى مرفأ فريزر بورج (وهل هم سوى آدميين ؟) أنهم حاروا حين رأوا جوازاتنا السويدية ، وأخيرا ختمها أحدهم وكأنما يقول « ماذا يهم ؟ »

وفى هذا المساء ، حين وصلنا إلى الطرف الجنوبى الغربى للوخ نس ، لم نستطع أن نهتدى إلى مدخل القناة التالية . وكنا فى سكون الليل نسمع أصوات الأجراس ، فمضينا إلى ناحية الصوت فى العتمة ، فإذا بها كنيسة ، فأعطانا القسس خضرا ، ولبناً طازجاً ، وحلوى وسجاير ، وكنا قد أصبحنا عاجزين عن شراء مؤن أخرى ، لأننا أنفقنا آخر ما معنا على شراء زيت الديزل ، الذى يقول هارى إنه الآن أهم من الطعام .

خليج كنجزتاون — إرلندة .
٢٤ سبتمبر .

كادت السفينة إرما البارحة تلقى حتفها وهى راسية ، فقد هبت فجأة عاصفة عاتية وفصلتها من مرساها ودفعتها نحو الشعاب الصخرية التى تحيط بالميناء . ولم يكن ثم سوى أمر واحد يستطاع عمله ، وهو إدارة المحرك الإضافى ومواجهة الريح .

وعكف بول وهاينو ولمبت على العمل بهمة لإدارة هذا المحرك القديم ذى الأسطوانة أو الرئة الواحدة . وكنت تستطيع أن ترى العرق يتصبب من وجوههم على الضوء الأزرق المنبعث من جهاز اللحام . وكنا نرى أمامنا فى الظلام زبد الأمواج الثائرة على الصخور ، من خلال الماء الذى تقذفنا به العاصفة ، فيقع كالمطر على السطح . وكانت السفينة قد سيقت إلى قرب الصخور ، ثم بدأ المحرك يدور ويعمل .

وكان هارى لايكاد يستطيع ، حتى بمساعدة المحرك الإضافى ، أن يدير مقدمة السفينة ليواجه بها العاصفة ، ولكنا شرعنا أخيراً نتأى شبرا فشبرا عن الصخور ، على أنا ظللنا طول الليل وأحدنا ممسك بمقبض المضخة يرفعه ويخفضه على الأقل خمسمئة مرة .

وسكنت الرياح مع الفجر فجأة كما ثارت ، فعدنا أدراجنا إلى الخليج . وارتدى أرفيد وبول ثياب السباحة ، وغطسا ليتحسسا جانب السفينة ، وعادا يقولان إن الرقع

النحاسية في مواضعها وأنها سليمة على ما يظهر.

وكنا قد قدرنا الماء الذى يدخل فى جوف السفينة بالساعة . وفى هذا الصباح ، فى الماء الساكن بعض السكون ، وجدنا أن الماء ينفذ بمقـدار ثلاثة جالونات فى الساعة . ويقول هارى إن هذا مما يمكن السيطرة عليه.

فونشال — جزيرة ماديرا
١٠ أكتوبر

فى بكرة هذا الصباح ، وبعد ١٧ يوماً بين الماء والسماء ، انتهى هارى وأرفيد بالسفينة إلى الموقع الملائم الذى قدّراه . وكان لا يبدو شىء من الأرض ، ثم بدأت جبال ماديرا الخضراء الجميلة تظهر فى الأفق على مهل .

وهارى وأرفيد يتعاونان على القيادة ، وهما الوحيدان اللذان تسمح لهما السلطات البرتغالية بالنزول إلى البر، لأن هذه السلطات تظن أننا شيوعيون ! وتقول إن أستونيا تحت السيطرة الشـيوعية ، ونحن نحمل جوازات من أستونيا . إذن نحن شيوعيون!

وأبرق هارى إلى أبيه فى أمريكا يطلب مالا ، فإن بنا حاجة ملحة إلى زيت الوقود وإلى المؤن ، وقد بدأ هارى يرى أن الوقت قد يكون تأخر جداً لقيام سـفينة صغيرة برحلة نعبر بها المحيط .

فى عرض البحر .
٢٠ أكتوبر

غادرنا ميناء ماديرا اليوم فى جو ساكن أتم سـكون ، واستنفدنا إلى الآن عشرة جالونات مما عندنا من زيت الديزل النفيس ، فلم يبق منه سوى خمسـة جالونات يقول هارى إنه لابد من ادّخارها للمرور بالموانىء الأمريكية .

وقد وصل المال من والد هارى بعد تسعة أيام من الانتظار ، فتمكنا من ابتياع مقادير من البطاطس والأرز والخبز والسمك المجفف وبضع علب من اللبن ، ولكنا لم نجد قطرة واحدة من زيت الديزل فى فونشال .

ونحن الآن ننتظر أن تهب ريح تدفعنا فى اتجاه الرياح التجارية ، ويقول هارى إن هـذه الرياح يعتمد عليها ، غير أنه يقول أيضاً إن طول فترة السكون خليق أن يكون كارثة لقلة ما عندنا من الماء والطعام ، وإنه ليزعجنا حين يخلط تفاؤله الطبيعى بالحقائق.

وقد حرص هارى وأرفيد فى ماديرا على أن يبينا للنساء من جماعتنا حقيقة الأخطار التى سنستهدف لها . وقد قال هارى: «لقد ضاع منا وقت ثمين ، ولا بد لنا من التعرض لعواصف شديدة قبل أن نصل إلى أمريكا» .

غير أنا قررنا بالإجماع أن نمضى قدما وقد قالت المسز بالبرج : « إنه خـير لنا أن نغرق من أن نعود » .

ويقول هارى إنه لا مرسى لنا بعد ذلك

إلا فى أمريكا على مسافة خمسة آلاف ميل أو نحوها من هنا ، وإن إرما ستمضى محاولة أن تنتفع بالرياح . ويبدو أنه متردد بين الذهاب إلى نيويورك أوفيلا دلفيا .

فى عرض البحر .
٢٠ نوفبر

كانت أيام الشهر الماضى أيام صحو ومتاع كأننا فى الفردوس . وكانت إرما كالبطة السعيدة ، تمخر ماضية فى طريقها تداعبها الريح المعتدلة والبحر الأزرق . وكانت تبدو أحياناً كأنها فناء لبعض الدور فى يوم غسل الثياب وقد نشرت على كل شبر فيها السراويلات والقمصان والبطاطين وثياب النساء ، حتى الأطفال تخفق ملابسهم الصغيرة فى الريح . وكنا ننطرح على سقوف الغرف ، والشمس الحامية على وجوهنا ، وننظر إلى السارية وهى تتمايل تحت السماء الصافية . وكانت الشمس كأنما تخرج من عظامنا مالقينا من شدائد فى السنوات الست الماضية .

ونحن نلغط كثيراً بما عسى أن يكون فى المستقبل . ويقول أرفيد الذى كان بحاراً فى أمريكا ، إنها المكان الوحيد الباقى فى العالم الذى يود أن يكوّن فيه أسرته . ويقول هارى : « إذا أبت علينا الولايات المتحدة أن ندخل بدون تأشير على جوازاتنا ، فسنمضى إلى أمريكا الجنوبية » بل إنه يتحدث عن أستراليا باعتبارها بلاداً أخرى للحرية والأمل .

وتعقد مايا كل صباح حلقة درس فى اللغة الإنجليزية للأطفال . والكتاب الذى تقرئهم إياه هو نسخة اشترتها من أسكتلندة من « الأميرة والأقزام السبعة » . وكان الأطفال يعرفون القصة باللغة السويدية ، وهم الآن يتعلمونها باللغة الإنجليزية ، وما أسرع ما يحفظون الألفاظ . فحتى يوتا وأوللا اللتان لم تتجاوزا الثالثة ، تستطيعان أن تؤلفا بالإنجليزية جملا كهذه « أنا أستونية » « أنا ذاهبة إلى الحمام » .

وقد اكتسبت وجوههم سمرة شديدة وزاد وزنهم . وهم يتناولون ثلاث وجبات فى اليوم : طحين الشوفان فى الفطور ، والأرز أو البطاطس والسمك المجفف أو اللحم المحفوظ فى الغداء ، وست ملاعق من اللبن المركز فى كوبة ماء ، وطحين الشوفان ، وكسرة من الخبز الجاف فى العشاء .

وظل نزح الماء متواصلاً ، ولكنه يبدو الآن كأنه رياضة ممتعة ، وكل منا يدير المضخة مئة مرة ساعة فى اليوم . ويقول هارى إنه لما كان طعامنا هو الأرز والبطاطس فإن إدارة المضخة تحول دون البدانة .

وفى العصر ينظر هارى وأرفيد إلى الشمس بجهاز قياس الزاوية ليعرفا مكاننا . فليس

عندنا خرائط للملاحة، وكل ماعندنا خريطة كبيرة للمحيط الأطلسي. وفي كل يوم يرسم هاري خطا متعرجاً يبين سيرنا، فإذا حجبت السحب الشمس صارت الملاحــة بالحساب والتقدير. ويقــدر هاري سرعتنا بالنظر إلى الماء، ويقول إن السفينة متئدة متزنة، وإنها في هذا الجو البديع ستقطع أربع عقد لا أكثر ولا أقل.

في عرض البحر
٢٣ نوفمبر

في الثماني والأربعين ساعة الأخيرة رافقنا حوتان كالحارسين ــ واحد عن يميننا والآخر عن يسارنا ــ وعلى نحــو ٣٠ قدماً منا. فإذا نفخ أحدهما وكان في الناحية التي تجيء منها الريح، أرسل علينا رذاذاً خفيفاً، وقد سماها الأطفال باسمين، فالذي إلى اليســار اسمه العبوس، والذي إلى اليمين اسمه العاطس.

ويقول أرفيد إن الحيتـــان مشهورة بالوداعة. وأنا أرجو أن يكون ذلك صحيحاً فإن كلا منهما أطول من السـفينة بمقدار ٢٥ قدماً، ومن السهل أن يحطمنا.

في عرض البحر
٢٩ نوفمبر

يقول هاري وأرفيد إننا على مسافة ألف ميل تقريباً من نيويورك، ومئتي ميل من جزر بهاما شرقاً، وقد أمر هاري بخفض جراية البالغين، فصارت فنجاناً من الأرز ونصف فنجان من المـاء في اليوم. واحتفظ بقليل من البطاطس وعلب اللبن للأطفال.

وقد خرجنا من طريق الرياح التجارية، وأخذ مقياس الحرارة يهبط باطراد.

في عرض البحر
٣٠ نوفمبر

هبت عاصفة راعدة شـديدة حولنا، وصارت الرياح هوجاء، وكنا نرجو أن نصل إلى «تيار الخليج» قبل قيام العاصفة. وقد ارتفعت الأمواج إلى خمس عشرة قدماً، ونحن الآن مدفوعون مباشرة إلى إنجلترا.

وقد بذلنا جهد المستيئس لوقف هذا الارتداد، وقبيل المغرب ألقى هاري مرساة العاصفة التي تشبه القمع، لأنه يخشى أن يكون الضغط فوق ما تحتمل الألواح التي كادت تبـلى. وما كاد يفعل حتى غمرت الغرف موجة عظيمة لأن مؤخرة السفينة ليس لها حاجز كاف.

فجرب هاري وأرفيد نظرية أخرى. فربطا سلسلة ثقيـلة طولها عشر قامات بالمؤخرة، وربطا بها سلسلة المرساة. فلمـا غطست المرســاة، ارتفع شراع المقدمة واعتدلت السفينة، بحيث امتلأ الشراع بالهواء وصارت السلسلة بثقلها بين المؤخرة ومرساة العاصفة ترد عن السفينة شدة

الصدمات ،والشراع يكفل لنا أن نظل أمام الأمواج الطامية .

ولا بد أن يقف هارى أو أرفيد عند عجلة القيادة باستمرار ، لأن حركة واحدة غير سديدة خليقة أن تجعل الرياح خلفنا ، فتكون هى القاضية . ولا نزال مسوقين إلى إنجلترا بسرعة عقدتين فى الساعة .

فى عرض البحر

٤ ديسمبر

اجتزنا العاصفة على نحو ما ، ونحن نعود الآن إلى الغرب ببطء فى جو يكاد يكون راكداً ، ولسنا ندرى أين نحن ؟ ولما تناول هارى صباح اليوم جهاز قياس الزاوية ألفى مرآته مكسورة . وقد أخذ بول مرآة إيلين وهو يحاول تسويتها لتركيبها فى الجهاز.

وقد عانت السفينة جهداً شديداً . وفى الليلة البارحة سدت المضخة قطعة من البطاطس كانت عائمة فى جوف السفينة ، فقضينا ساعتين فى إخراجها ، وكانت الألواح قد غمرها الماء . ويقول هارى إنه يخشى أن تكون إحدى الرقع النحاسية قد خرجت من موضعها . وقد أكلنا قطعة البطاطس .

ولما كانت كلاب البحر تحوم حول قعر السفينة فإنه ما من أحد يجرؤ أن يغطس لينظر مبلغ ما أصابها من التلف . وأراد بول أن يصيد كلباً برمح صنعه فى منطقة الرياح التجارية ، غير أن هارى يقول إن الكلب أشد خطراً فى السفينة منه فى الماء . على أن بول تمكن من اصطياد سمكة سوداء عريضة ، وقد أكلناها الليلة . وهذه أول مرة منذ ستة أيام أكلنا فيها شيئاً غير الأرز . ومن الغريب أن السمكة كان لها طعم الأرز .

فى عرض البحر

٨ ديسمبر .

كلنا يشكو من شدة البرد . ويقول هاينو إن ثيابنا صالحة للتمشى فى بستان لا للشتاء فى المحيط الأطلسى. فأنا مثلا أرتدى غلالات صيفية وقميصاً وبذلة قديمة ، وقد لففت على وسطى بطانية ، ولففت على رجلى مجلات قديمة ، وفوق هذا كله لبست معطفاً أسود له طيات من المخمل،وهو أثر من آثار حياتى الماضية يحزننى أن أرى الماء الملح يتلفه .

وكلنا ثيابه من هذا القبيل ، وقد صرنا جميعاً كالإسفنج مما رشتنا به الأمواج فى اليومين السابقين . وإذا رقدنا يخرج الماء منا كالجدول .

ويدلّك النساء الأطفال فى الغرف،وليس ثم قطعة واحدة من قماش جاف لتدليكهم بها ، ووجوههم متهضّمة مائلة إلى الزرقة ، وحتى حين ينامون يبدون كأنهم ينتفضون، ولكنهم لا يبكون فى الليل إلا إذا هاج البحر ورمانا بموجه .

نجح يول أخيراً في إصلاح جهاز قياس الزاوية ، وأتيح لنا أن ننظر به إلى شمس الشتاء وقد طلعت لحظة وجيزة فوجدنا أننا على مسافة ٣٥٠ ميلا من نورفوك شرقاً .

اليوم عيد ميلاد لبت الخامس والعشرين. فبعد أن انتهت نوبته عصر اليوم ، تقدمت إليه مايا وإيلين فوق السطح المضطرب الزلق بعلبة صغيرة من السردين استطاعتا بمثل جهد الأبطال أن يدخراها لهذه المناسبة، وكانت مايا أيضاً قد نظمت قصيدة أنشدته إياها .

وأصغى لبت صابراً، ثم فتح العلبة ومضت لحظة خيل إلينا فيها أنه قد يأكل كل ما فيها ، ولم يكن فيها سوى ١٢ سردينة ، ولكنه كبح نفسه وأدار علينا العلبة .

في عرض البحر .

١٠ ديسمبر .

تحولت الريح بأعجوبة ، وهي الآن غربية جنوبية دافئة قوية ، وهي تدفعنا أمامها . وقد ظللنا طول النهار نغني بشدة . ورفع أرفيد وهو أمام العجلة صوته بأغنية جديدة:

« أتناول من البحر جرعة ملحة ، ثم أقبل عروسي فيضطرم خداها » .

ويزعم أن هذه أغنية أستونيه قديمة للسماكين، وفي المقطع الثاني منها رفع هاينو صوته معه بالغناء ، وفي الثالث اشتركنا جميعاً فيه .

ويقول هاري إننا سندخل ميناء نيويورك بعد غد. وقد قضينا أياما وكل طعامنا فنجان من الأرز . وقد تفكك جدار الأسمنت في خزانات الماء ، وما من شك في أن نصف الفنجان اليومي من الماء سوف يتحجّر في معداتنا . ولكن طعمه الليلة حسن .

منتصف الليل — ١٢ ديسمبر

نحن في نقطة لا تبعد إلا خمسين ميلا من أتلنتك سيتي ، وكل ما نحتاج إليه هو ثماني ساعات أو عشر أخرى من الرياح الموافقة . ولكننا لم نفز بها ، بل هبت عاصفة أخرى علينا ، وكانت في هذه المرة مقبلة من الشمال مباشرة بأقصى شدة .

فارتددنا إلى الجنوب في الليل ، ونحن لا نملك حيلة . وكانت الأمواج العالية تزأر فوق سطح السفينة ، وتغمر مكان القيادة . أما في الغرف فكان كل شيء عائماً — الحقائب والأحذية والفراش — وأحس الأطفال بالخطر فبكوا بكاء أليماً .

وكنا على التناوب طول الليل نعكف على المضخة نرفعها ونخفضها بعناد . وكان دُفّاع الماء يكاد يخنقنا أحياناً ، وكنا نعمل على المضخة بسرعة ١٥٠٠ حركة في كل نوبة مدتها أربع ساعات .

وحدث مرة أن أقبلت موجة كالجبل ولها صوت الرعد ، فقذفت أرفيد وكان على

عجلة القيادة ، وأمالت سفينتنا الصغيرة على جنبها ودارت بها مقدار ١٨٠ درجة .

وكنا بين نوبات الحراسة نقرفص على فراشنا ولكن النوم كان مستحيلا ، فقد كنا نسمع زئير الأمواج المندفعة ، وكلما تكسرت واحدة ارتجفت السفينة وأنّت ، ثم كان ذلك السكون الهامس العجيب وهى تحاول أن تفلت من قبضة الماء .

١٣ ديسمبر .

سكنت العاصفة ، ونحن الآن نحاول مرة أخرى أن نرتد غرباً ، وقد تكون الثلج على الشراع ، فصار العمل على المضخة لا يفيدنا الدفء .

وقد حطمت العواصف المواقد ، ولكن النساء اهتدين إلى اختراع جديد ، فهن يرقن بعض الكحول على الأرض ويشعلنه فيجتمع الأطفال حول اللهب . وكل شيء مغمور بالماء فلا خوف من حريق .

والريح نسيم فالتقدم يسير . وقد أدرك الإعياء كل امرئ منا ، والأطفال ينامون معظم الوقت ، ونحن ندرك الآن أننا نتضور . القليل الباقى من الماء للشرب يجب أن يمتص بمنديل ويدخر للأطفال ، وعندنا قليل من الأرز ، ولكن ألسنتنا جافة فلسنا نستطيع مضغها ، وهارى نفسه يوافق الآن على أن أملنا الوحيد فى النجاة منوط بأن تلمحنا سفينة عابرة .

١٤ ديسمبر .

كان هارى على عجلة القيادة وأنا على المضخة ، حين أقبلت إيلين على السطح ، فوقفت برهة تنظر إلى البحر ولا تنبس بحرف ثم أشارت وصرخت .

فأرسلنا لحاظنا من خلال الثلج المتساقط فرأينا سفينة ! وكانت مقبلة علينا من مسافة ربع ميل .

فصاح هارى : « كل شيء على ما يرام الآن يا إيلين . لقد أبصرتنا السفينة ، وهى تخفف من سرعتها » .

وأسلم هارى العجلة إلى أرفيد ونزل ، ثم صعد بعد قليل بكيس الجلد الذى فيه أوراق السفينة إرما وجوازاتنا . ولاحظت أنه مشط شعره ، وارتدى خير سترة عنده .

وبعد لحظة كانت السفينة بجانبنا ، ثم أنزلت السلم فصعد إليها هارى ، وبعد عشر دقائق شرع البحارة ينزلون إلينا طوفاناً من المؤن — ماء ، وخبز ، ولحم ، وعلب بن ، وكاكاو ، ولبن ، ولفافات من الثياب والبطاطين ، وسجاير وزيت ديزل لآلاتنا .

ثم هبط هارى على السلم ، فألقينا الحبال ولوّح لنا البحارة ، فلما مضت عنا السفينة قرأنا اسمها على مؤخرتها : جون ب . جراى ، لقد كانت من سفن النقل الإضافية التابعة لأسطول الولايات المتحدة .

وصاح هارى : « كل امرىء يستطيع أن يأكل الآن » .

وقد أعطاه ربان السفينة حمل ذراع من خرائط الشواطىء. وقد بسطها مغتبطاً فوق سطح غرفة الطوارىء، وربت على ظهر أرفيد. وقال : « كان موقعنا مضبوطاً بدقة » . فاعتدل هاينو لحظة وكان يعمل على المضخة .

وقال : « لقد كنت أتوقع أن ينقلونا إلى سفينتهم » .

وكنت أنا أفكر فى هذا أيضاً .

فألقى هارى إلى هاينو نظرة فيها ابتسام وحيرة ، فأدركت حينئذ أن فكرة ترك السفينة إرما لم تخطر له قط .

ومن العجيب أنى بدأت أدرك ، ونحن نسير فى الليل تحت ضوء القمر البارد فى اتجاه أمريكا ، أنى أنا أيضاً أحب السفينة إرما . فقد أقلتنا ١٢٨ يوماً مسافة ٨٠٠٠ ميل فى البحر. وكانت بدينة وعتيقة ولكنى أحببتها. ولم يكن ثم فى حبى لها سوى تحفظ واحد ، ذلك أنه يجب أن تكون لها مضخة آلية لنزح الماء.

١٥ ديسمبر .

رأيناه أول مرة فى غبش البكور . وكان هارى وأرفيد عند عجلة القيادة ، وهاينو على المضخة ، وكنت قد صعدت لأن البرد شديد والنوم فيه عسير .

وكان فى البداية وهجاً لا يكاد يرى على الأفق الغربى ، فلو أنه كان فى الشرق لما كان إلا الفجر ، ولكنه كان بادياً فى الغرب ، فأدركنا أننا نرى نور أمريكا تعكسه السماء الغربية .

ولبثنا برهة صامتين، ولكنى كنت واثقاً أننا جميعاً نفكر فى شىء واحد : لقد خلفنا كل شىء وراءنا — العواصف ، والجوع ، وأخطار البحر ، وفوق كل ذلك ، الخوف واليأس فى البلاد التى كانت وطناً لنا . ولعلنا، نحن ركاب إرما ، كنا أسعد الملايين المشردين من أهل أوربة . وفى هذه البلاد الجديدة سنبدأ حياة أخرى .

وبينما كانت إرما تعلو وتهبط فوق البحر المائج ، لمع فى السماء ضوء منارة بعيدة ، فقال هارى بصوت متهدج لأول مرة: « أظن هذا رأس هنرى » .

وهنا صاح أرفيد بهاينو: « لا بأس يا هاينو فى وسعك الآن أن تدعها تغرق ! »





سطو وتجسس

مختصر كتاب

ويليس جورج

قصة عجيبة عن « لص » ، يفتح الأقفال ، والخزائن ، ويصور الوثائق المختومة بالشمع ، ويعيش خارجاً على القانون فى سبيل خدمة بلاده فى زمن الحرب .

سطو وتجسس

بعد الهجوم على برل هاربر بقليل، كنت ذات ليلة فى عملى بمكتب المخابرات السرية التابع لوزارة البحرية فى نيويورك. وفى الساعة الحادية عشرة مساء مزقت سكون المكتب دقات آلة التقاط الرسائل وهى تسجل رسالة من وشنطن دفعت بى إلى ممارسة عمل قد يصدق عليه وصف « السطو الرسمى » .

ذكرت الرسالة أن موظفى إحدى السفارات فى وشنطن قد حرقوا — فيما يقال — كل محفوظاتها فى الليلة السابقة ، وسألتنا أفى مقدورنا أن نتثبت من أن قنصليتها فى نيويورك قد حذت حذوها .

فاستأذنت رئيسى أن أحاول التسلل إلى القنصلية لأحقق الأمر ، وكان رئيسى على خلاف كثيرمن الموظفين، رجلا لا يحجم عن المخاطرة بمنصبه من أجل القيام بعمل تدعو الضرورة إليه . فقال لى :

« امض فى سبيلك ، ولكن لا تنس أن لدور القنصليات حرمتها إذ تعد قطعة من أرض أوطانها ، فلو اكتشف أمرك لوقعت وزارة البحرية فى حرج شديد » .

وكنت أدرك ذلك حق الإدراك، فدبرت خطة مأمونة العواقب ، فبدأت بمقابلة مدير البناء الذى فيه القنصلية ، وأطلعته على وثيقة إثبات شخصيتى، فتبين لى أنه من قدماء رجال البحرية، فتطوع من فوره لمساعدتى وقال لى:

« ليس هناك مَنْ يتولى حراسة البناء ليلا سوى عامل المصعد المخصص للقنصلية » .

وتنكرت فى زى العمال الموكلين بنظافة الدار، وركبت مصعداً آخر إلى الطابق الثانى فوق القنصلية ، ثم نزلت إليها عن طريق السلم ، وفتحت بابها بالمفتاح الذى يحتفظ به مدير البناء . فلما دخلتها هبت علىّ رائحة احتراق أوراق ، ودلت سلال المهملات على أن يداً قد أعدمت كل الأوراق ، ولكنى وجدت بضع خزائن حديدية ، وخزائن أخرى مدفونة فى الجدار ، وكذلك وجدت صناديق لحفظ اللفات ، فأيقنت أنه لا تزال هناك أوراق هامة غير التى أحرقت .

وصح عزمى على الرجوع إلى تلك القنصلية ، سواء أذن لى أو لم يؤذن — ومعى كل ما يحتاج إليه فتح الخزائن والصناديق من رجال وأدوات . ولم أجد ممانعة من رئيسى ، وإن كان قد أذن لى هذه المرة بدون إذن من وشنطن . ولم يغب عنه،

كما لم يغب عنى ، أن التنقيب فى سلال المهملات شىء ، وفتح الخزائن شىء آخر ، وقال لى : « لى شرط واحد ، هو أن تقوم بعملك بحيث لا يرتاب إنسان فى أنك فتحت هذه الخزائن » .

وهذا شرط ينوء به رجل مثلى لم يألف هذا العمل ، ولكنى بدأت فى اليوم التالى فى جمع زمرة أرجو أن تحسن مثل هذا العمل . فاخترت حداداً، وخبيراً فى الخزائن، وعالماً باللغات ليدلنا على المستندات الجديرة بالاستنساخ ، واخترت أيضاً مصوراً قديراً ليصورها على شريط مصغر ، وأعارنا مكتب المخابرات البريطانية رجلا ناتىء العظام وجهه كوجه الفأر، وهو رجل عزب بلغ الخمسين من العمر ، وكل عدته حقيبة فيها بعض القلايات والغلايات والمواقد الصغيرة التى تعينه على فض أية ربطة مختومة ، بحيث يعجز المدقق عن أن يدرك أنها فضت ، ولو فحصها بالأشعة فوق البنفسجية . وأخذت معى أيضاً عدداً من الحراس لمراقبة البناء وتنبيهنا إذا رأوا أحداً من موظفى القنصلية .

وتم مسلك هذه الزمرة التى جمعتها على عجل فتولت أول سطو لها ، على أنها قليلة الدراية بمهمتها ، إذ أخذنا نجول فى القنصلية على غير هدى ، فيتصادم بعضنا ببعض ، ثم نتقاطر متزاحمين من حجرة إلى حجرة لنرى الأقفال كيف تفتح . ولما فتحت أول خزانة مددنا جميعاً رؤوسنا فى وقت واحد لنرى ما بداخلها ، ولم نكن حراصاً على إخفاء آثارنا ، ومع ذلك لم يكتشف أمر زيارتنا، وظللنا نوالى التنقيب فى القنصلية ليلة بعد أخرى .

وحدث ذات مرة أن وقعت آلة التصوير على الأرض وسمع لها دوى ، فلم نر شيئاً يريبنا ، إلا أن عامل المصعد قد روى بلا ريب خبر هذا الدوى ، إذ ساورنى شعور غامض فى الليلة التالية بأن الحالة قد تبدلت، فقررت أن أتبين الأمر قبل أن أرسل زمرة العمال للتنقيب . فتنكرت من جديد فى زى عمال النظافة ، وصحبت رئيسهم ودخلت القنصلية ، فإذا أنوارها تضاء فجأة ، وطلع علينا القنصل ومعه حارس مسلح يسدد إلينا بندقيته ، فأنقذنا زينا ، واعتذر لنا القنصل قائلا إنه حسبنا من اللصوص .

أخذت بعد ذلك أرصد القنصلية من دار مجاورة ، فتبينت أن الحارس يصل فى الساعة الخامسة من مساء كل يوم ويقضى بها الليل كله ، فمنعنا وجوده من العودة إليها، ولكنى قررت أن أتخلص منه . وتسللت ذات ليلة إلى الطابق الذى فوق القنصلية ، وقذفت كرسياً على الأرض فأحدث ضجة عظيمة بالقرب من بئر المصعد ، ثم نزلت مسرعاً

إلى الطابق الأرضىّ ومعى الكرسى. وبعد نصف ساعة وصل القنصل فى سيارة ، وكان الحارس قد دعاه ، وأخذنا نرقبه من الدار المجاورة وهو يتفحص فى هياج أرجاء القنصلية . وكررت الحيلة نفسها ليالىَ متتالية ، فيحدث كل مرة ما حدث فى الليلة الأولى . وغضب القنصل آخر مرة غضباً شديداً ، إذ ضاقت نفسه بهذه الأوهام التى تزعجه عن مضجعه فى جوف الليل . وفى الليلة التالية ، لم يعد الحارس إلى القنصلية، فقد طرده القنصل ولا ريب .

وعدنا إلى عملنا وقد زاد احتراسنا ، فنحن نعلم أن القنصل قد أخذته الريبة ، وهكذا بدأنا نتعلم بالتجارب القاسية . ولم ننته من مهمتنا إلا بعد عشرة أسابيع ، ولكننا ظفرنا بعد انقضائها بصور كافة المستندات الهامة التى كانت فى القنصلية ، وصار عندنا قاموسها الرمزى، وكشف بأسماء أعوان المحور المقيمين فى الولايات المتحدة ، وبيانات وفيرة تثبت أن النازيين يستخدمون القنصلية للتجسس على نطاق واسع .

وفى السنتين التاليتين تمّ على يدى ١٥٠ سطواً مماثلا دون أن ينكشف أمرنا . وهذا من حسن حظنا ، فإن الحكومة لن تحمينا إذا قبض علينا ونحن ننتهك القوانين . وقد أنذرنا رئيسنا قائلا :

« حذار حذارِ من إحراج الحكومة مهما كان الأمر » .

وبالرغم من اعترافى بأن السطو قد أصبح لى عملا ، فإننى أرجو القارىء أن يؤمن بأنى لست ممن تهوى نفوسهم الإجرام ، وليعلم أنى كنت قبل أزمة ١٩٢٩ سمساراً فى سوق الأوراق المالية بنيويورك ، ثم قضيت بضع سنين فى خدمة وزارة المالية ، وكان يعهد إلىّ بتتبع أخبار مهربى الخمر من كوبا، وذلك بعد إلغاء قانون تحريم بيع الخمور ، ثم عهد إلىّ بعد ذلك بتتبع أخبار مهربى المخدرات .

لذلك كنت قد أصبت خبرة عظيمة فى أمثال هـــذه التحقيقات حينما التحقت فى سنة ١٩٤١ بمكتب المخابرات السرية التابع لوزارة البحرية ، ولكن خاب أملى ، فقد عهدوا إلىّ بعمل كتابى .

فلما أعلنت الحرب زاد اهتمام الناس جميعاً ، وموظفى الحكومة أيضاً — بخطر التجسس ، وحرص كثير من الناس على تزويدنا بأنباء الجواسيس، فكان دق التلفون فى مكتبنا لا ينقطع . وقيل لنا ذات ليلة إن أنوارا كشافة تنبعث من حجرة فى سطح بناء كبير فلعله جاسوس يرسل إشارات رمزية . فحطمنا باب الحجرة، فإذا بالجاسوس

الذى نريد القبض عليه سمك في حوض وضع بجانب النافذة وسلط عليه نور كهربائى يومض وينطفىء لتدفئة الأسماك التى جىء بها من المناطق الاستوائية .

ونقل إلينا التلفون أخباراً عن أشخاص يرسلون إشارات لاسلكية على موجة قصيرة، وعن غواصات ألمانية يقال إنها شوهدت فى نهر هدسن ، وكل هذه الأنباء من نسج الخيال ، ولكن كان علينا أن نحقق كل هذه الوقائع واحدة واحدة .

وما كنت أرى مثل هذا العمل سوى لهو أطفال ، وأخذت أفكر فى المستندات السرية التى تضمها مئات من الصناديق والخزائن فى الشركات التى تعمل فى الولايات المتحدة تحت سيطرة الألمان . فهذه هى البيانات الهامة التى ينبغى للمكتب أن يظفر بها، بدلا من أن يشغل رجاله بتتبع الأنباء التى يوافيه بها أشخاص حمقى ضعاف الأحلام . وبدأت أفكر فى وضع خطة للسطو — أوقل للسرقة ، ووافق رؤساؤنا عليها حينما رأوا نجاحنا فى السطو على القنصلية المشتبه فيها .

ولكن هذا النجاح الأول الذى أصبناه كاد يودى بخطتنا ، إذ كنا لا نجهل أن الخبرة بهذه الأعمال لا تزال تنقصنا ، ومع ذلك أراد رؤساؤنا أن ننفذ خطتنا على نطاق واسع ، فطلبوا إلينا — كأنما هو أمر يتم بين عشية وضحاها — أن ندرب خمسين رجلا على الاحتيال لفتح الأقفال ، ومثل هذا العدد أيضاً لفتح الخزائن . فصار المكتب كخلايا النحل من كثرة العمل ، وصارت كل حادثة تحتاج إلى جماعة من الرجال المتخصصين يعملون يداً واحدة .

وكان إخفاء أسرارنا عن بنى جلدتنا أشق من إخفائه عن الذين يرتابون فينا . وتقاطر كثير من الضباط لزيارة معمل الأبحاث الذى أقمناه فى مكتبنا ، وأخذ عمالنا يبينون لهم وهم مشدوهون كيف تفتح الصناديق بسلك صغير أو بسن منشار ، وكيف تفك الأقفال وتفض الخطابات ، وسائر الحيل التى نلجأ إليها عند السطو ، ويستشهدون بحوادث لا تزال رهن التحقيق . ومثل هذه المعلومات الشائقة سوف تصبح من بعد خير حديث يتجاذبه الناس على موائد الطعام . وعمد بعض الضباط وغيرهم ممن لا تربطهم بالمكتب أقل صلة ، إلى المفاخرة بهذه الأعمال استثارة لأعجاب رفيقاتهم من الفتيات . ولقد حضرت حفلة ذات يوم فإذا بفتاة يافعة تحدثنى بتفصيل إحدى وقائع سطونا ، وقد عرفتها من كاتب صديق لها يتباهى بأنه ممن يعهد إليه بهذه الأعمال الجريئة .

ولكننا برغم هذه الصعاب أخذنا ندخل التحسين على وسائلنا وأدواتنا ، حتى أصبحنا

قادرين على أن نقوم فى ليلة واحـدة بمثل مهمتنا الأولى التى استغرقت عشرة أسابيع، بيد أننا كنا فى بعض الأحيان نمكث شهراً كاملا نضع خطة سطو واحد ونستعد له ، فالسطو ولا جرم يتطلب حذراً شديداً .

وأصبحنا نبـدأ كل تحقيق مهم بفرز الأوراق المهملة التى يأتينا بها عمال النظافة من المكاتب المشتبه فيها ، فلربما دلتنا قصاصة ورق أو بقية رسالة محترقة على أن الأمر يتطلب تحقيقاً شاملا . وقد كان هناك رجل نرتابُ فيه ، وكانت عادته أن يمزّق رسائله ويحرقها . ومرّ شهر فإذا كاتبة الاختزال التى يستخدمها تلقى بدفترها فى سلة المهملات، فوقفنا منها على نص رسالة مهمة كان قد كتبها منذ ستة أسابيع مضت .

وقد تولى الزميل البريطانى تدريبنا على إجادة فضّ الرسائل، وتعلمنا كذلك أن نأخذ معنا ستائر لنغطى بها النوافذ حتى يتسنى لنا العمل والأنوار مضيئة ، وأن نشرع فى العمل بهدوء وسكون إلى أن نتحقق من أن المكان خالٍ من آلة مخبأة لالتقاط الأصوات وتسجيلها، وأن نأخذ معنا مسحوقا من الرماد والطلق (التلك) لنـذرّه على المستندات وسطوح المكاتب والخزائن التى نفتشها ، وأن ننتبه للأشراك المنصوبة لنا ، وأن نرسم على الورق مواضـع ما يكون فى الخزانة قبل أن نلمسها ، حتى نعيدها كما كانت أولا. وزوّدنا إحدى سياراتنا بجهاز لاسلكى يرسل الإشارات ويتلقاها ، وصنعنا جهازاً صغيراً آخر لنضعه فى حقيبة ونأخذها معنا . ولكننا لم نوفق كثيراً فى تدريب غير المختصين من رجالنا على الاحتيـال لفتح الصناديق والخزائن ، إذ هو فنٌّ يحتاج إلى دراية تامة بالأقفال وأسرارها ، وإلى التمرن على فتحها سنة كاملة .

وكان أكبر نجاح أصبناه هو سطونا على المسكن الذى رتبه ستيفن زيجلى بمكر شديد فى الطابق الثانى عشر من أحد أبنية شيكاغو . وهـذا الرجل يتظاهر بأنه يتولى أعمـال المصارف والتأمينات ، وله فى هذه الأعمال شهرة دولية ، ولـكن السلطات الأمريكية ارتابت فى أنه يقوم أيضاً بعمل أهم ، وهو إدارة جمعية تجسس ألمـانية . وأقام زيجلى مركز أعماله فى بلد أوربى محايد ، ولكن أغلب صلاته كانت بألمانيا .

ولما فتح زيجلى مكتبه فى شيكاغو أصرّ على إدخال تعديلات كبيرة فى المسكن، وأعاد نظامه بحيث يجتـاز الزائر قبل الوصول إلى مكتبه أربع حجرات تحت رقابة من فيهـا من الموظفين ، ثم سارع بالشكوى إلى مدير البناء بأن عاملات النظافة قد أتلفن بإهمالهن

مستنداً مهمًّا ، وأصر على أن يأتى هو بمن يتولى له هذا العمل مكانهن .

ولبثنا ثلاثة أشهر نفحص الأوراق التى تجمع من سلال المهملات فى مكتبه ، فتبين لنا أنه ممن تغلبهم عادة التلهى برسم صور أو دوائر على الورق على غير وعى أثناء انشغالهم بالحديث مع الناس وجهاً لوجه أو بالتلفون . فكانت صوره دائماً مدافع وسفناً حربية أو طائرات وقنابل ، وقد يرسم أحياناً شيئاً يشبه جهاز الرادار شبهاً كبيراً ، فقررنا السطو على مكتبه.

ولما كنت أنا المسئول عن السطو ، فقد حملت معى مسدساً ، وكذلك فعل ثلاثة من الحراس ، أما بقية الرجال فلم يحملوا إلا مسدسات صغيرة تطلق بدل الرصاص غازاً ، وجعلت أول همى أن أفوز بمعونة مدير البناء ، فمد لى يد المساعدة ، وكذلك فعل المالك بعد أن اتصلنا به ، ولكنه اشترط علينا أن نختلق للنفوذ إلى المكتب عذراً معقولا ، فاقترحت أن نتظاهر بأننا عمال مكلفون ببحث مقدار تمايل البناء ، وقلت له : « تحدث فى كل الأبنية صدوع من جراء تمايلها ، وذلك فى المواضع التى يقع عليها أكبر ضغط . وإن احتمال وقوع غارات جوية يسوّغ لك أن تطلب فحص هذه المواضع . وهذه حيلة تمكننا أيضاً من وقف المصاعد أثناء قيامنا بالتنقيب ، بحجة أن الاهتزازات الناجمة من حركة المصعد تؤثر على الأجهزة الدقيقة التى تتولى الفحص بها . وهذا يجعلنا بمأمن من المباغتة » .

فأجابنى : « لا بأس ، يا حضرات المهندسين ! »

وفحصنا أمر المستخدمين الخمسة الذين يشرفون على البناء بالليل ، فتبين لنا أن أحدهم لا يؤمن جانبه ، وسعينا إلى نقله لخدمة النهار . واختارت سيارة الراديو مكاناً لها بجوار البناء ، وشرع اثنان من رجالنا وهما فى زى النقاشين ، يطلون جدران الممشى المؤدى إلى باب مسكن زيجلى ، وعلمنا منهما بعد يومين أنهما أصبحا يعرفان كل موظفيه.

وقمت أنا والحداد بتفقد مسكن زيجلى ، ولم نجهل أنه لو كان من الجواسيس حقاً لما غفل عن نصب فخاخ لمن يقتحم مسكنه ، فلذلك شرع خبير الأقفال يعالج الباب الخارجى بكل هدوء وفتحه بعد ١٥ دقيقة ، وظل واقفاً خارج الباب ليصنع له مفتاحاً آخر .

وكان مالك البناء قد قدّم إلىّ رسم المسكن ، فأضفت عليه كل التعديلات التى أدخلها زيجلى ، وبينت مواقع المقاعد والمكاتب والصناديق وبقية الأثاث ، وقمت بهذا العمل فى سكون تام . ثم أخذت أبحث عن الأشراك ، فوجدت على حافة النافذة وراء مكتب زيجلى ، حقيبة يمتد منها سلك مستور إلى وصلة الكهرباء بأسفل الجدار ،

فرفعت السلك من الوصلة وفتحت الحقيبة ، فإذا بها تضم جهازاً دقيقاً لتسجيل الأصوات يتحرك من تلقاء نفسه إذا نطق إنسان فى الحجرة بكلمة واحدة ، ويسجل بواسطة مكبرات الصوت ، من غير ضوضاء ، كل ما يحدث فيها من أصوات .

ووجدت أحد مكبرات الصوت على رف وراء مكتب زيجلى ، وآخر مخبوءا تحت منضدة وسط الحجرة . ووجدنا فى أحد الصناديق خزانة حديدية من طراز متين ، فسجلنا أرقام قفلها الخارجى . ولم نغادر المسكن إلا بعد أن تحققنا من أن كل شىء قد أعيد إلى مكانه الأول ، فقد أعدنا طلاء أرض المسكن بعد أن داستها أحذيتنا وتركت آثارها عليها، ونثرنا مسحوق الرماد والطلق على الحقيبة بدلا من طبقة الغبار التى كانت تعلوها . ثم خرجت من المسكن ودرست كل الطرق التى يتسنى لنا الفرار منها إذا فاجأنا مباغت ، واخترت بقرب مسكن زيجلى دورة للمياه لنقوم فيها بالتصوير الشمسى .

وبعد ثلاثة أيام من هذا التفقد ، ذهب أحد عشر رجلا من عمالنا فى الساعة الواحدة صباحاً إلى ذلك البناء فى عدة سيارات تتبعها سيارة نقل كبيرة قد كتب على جدارها « شركة نورث وست الهندسية » وتحت هذا الاسم عنوان الشركة ورقم تلفونها ، وكنا قد استأجرنا فعلا مكتباً صغيراً فى العنوان المذكور، وكتبنا اسم الشركة على باب المكتب، وأدرجنا رقم التلفون فى دليل شيكاغو .

وأخرجنا من سيارة النقل عدة صناديق وحقائب كتبنا عليها اسم الشركة أيضاً، وفيها أجهزة للفحص وأجهزة لقياس تمايل البناء. وبقى رجلان مختبئين فى السيارة : أحدهما عامل اللاسلكى، والآخر حارس يعرف كل موظفى زيجلى، وأخذا يرقبان باب البناء من شق صغير فى غطاء السيارة .

وتقدمت إلى مدير البناء وأنا أتظاهر بأنى لا أعرفه ، وأطلعته على العقد الذى تعهدنا فيه بقياس درجة تمايل البناء وعليه توقيع المالك ، وطلبت إليه أن يوقف حركة المصاعد ، ثم استولينا - نحن المهندسين ! - على مصعدين وتفرقنا فى أرجاء البناء ، ثم تجمعنا عند مسكن زيجلى . وتركنا فى المصعد قبعاتنا ومعاطفنا وأحذيتنا ، وقلنا لعامل المصعد إننا فعلنا ذلك لأن وقع الأحذية على الأرض يحدث اهتزازات تضر بأجهزتنا.

وتقدم واحد منا ومعه المفتاح الذى صنعه خبير الأقفال ليفتح الباب ويستوثق من أننا لن نقع فى كمين ، وطلبنا إليه إذا وجد نفسه فى مأزق أن يتظاهر بأنه من اللصوص ويولى الفرار بأقصى جهده .

ولكنه وجد الطريق مأموناً فدخل من

فوره الحجرة ، وفك جهاز تسجيل الأصوات، وأسدل الستائر السود على النوافذ وأضاء الأنوار . فلما رأينا هذه الإشارة دخلنا جميعاً، وبدأ كل رجل منا يؤدي المهمة الموكولة إليه ، فرتب عامل اللاسلكي اتصاله بسيارة النقل الواقفة في الطريق ، وأعد المصور أدواته في دورة المياه ، وفتح خبير الأقفال باب مسكن مجاور حتى نهرب إليه وقت الضرورة .

وبعد ١٥ دقيقة من دخولنا وصلتنا رسالة لاسلكية من السيارة تنبئنا بأن أحد موظفي زيجلي قد دخل البناء ، فسارع رجالنا إلى جمع أدواتهم ولجأوا إلى المسكن المجاور ، وهناك أعدنا الاتصال بالسيارة . وقد تم جلاؤنا عن مسكن زيجلي في بحر عشر دقائق دون أن نترك أثراً ما يدل على زيارتنا .

وعمد الحارسان اللذان خلفناهما عند المدخل إلى تنفيذ خطة موضوعة لتعويق الباغتين ، فأصر أحدهما على أن يثبت القادم شخصيته لمدير البناء ، وأضاع خمس دقائق وهو يبحث بالتلفون عن هذا المدير في مكاتب ليس بها أحد في تلك الساعة، وأخذ الحارس الثاني يشرح له دقائق الأجهزة التي نستعملها لقياس تمايل المباني . وقال له : «فأنت ترى أنك ستعطل عملا مهماً ، أفلا تستطيع أن تؤجل شغلك إلى غد ؟ » فأجابه الموظف : « الحق أنني لم آت لعمل ، بل إن رفيقتي تشاربني في حانة قريبة ، وقد نفدت نقودي فأريد الآن أن أصعد لآخذ زجاجة من الويسكي خبأتها في مكتبي ، ولن أبقى فيه أكثر من دقيقة واحدة » .

فأخذه عامل المصعد إلى الطابق الثاني عشر وظل ينتظره حتى فتح الباب وأخذ الزجاجة وَرَحل يتبعه أحد رجالنا إلى أن رآه يعود إلى رفيقته ، ولما وصلتنا إشارة لاسلكية بالأمان عدنا إلى عملنا .

وفتح خبيرنا خزانة زيجلي المتينة في أقل من عشرين دقيقة، بعد أن عالج أرقام مفتاحها، وهذا عمل دقيق يحتاج إلى تدريب طويل وخبرة عظيمة ، ولا ينجح فيه إلا من آتاه الله خفة اليد وحدة السمع ومعرفة تامة بأقفال هذه الخزائن .

ووقع نظرنا ساعة فتحت الخزانة على ربطة مختومة كتب عليها بحبر أرجواني « وردت في الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة مساء » ، ويلي ذلك تاريخ الأمس . فالظاهر أن الربطة وصلت قبل موعد انصراف الموظفين بقليل ، فوضعها زيجلي — لعامه بمحتوياتها — كما هي في الخزانة . وأعددت رسماً دقيقاً يبين وضع هذه الربطة في الخزانة، حتى يتسنى لنا إعادتها كما كانت، ثم أخرجناها وسلمناها إلى خبير فض الأختام .

لفّها الخبير فى ورق شفاف جعل فيه خروقاً بقدر أختامها، ثم أعد معجوناً كالذى يستعمله أطباء الأسنان وطبع عليه أختام الربطة البادية من خروق الورق، ثم جاء بقلم من الحديد أحماه أولا فى النار ودار به حول الخروق، وكان غلاف الربطة قد أحكم تثبيته بالصمغ قبل أن توضع عليها الأختام، فعمد الخبير إلى بلّ الغلاف بسائل يستعمله هواة جمع الطوابع لنزعها من ظروف الرسائل. فلما تشرب الغلاف هذا السائل وذاب الصمغ من الداخل، تناول الخبير حافة الغلاف وأخذ يرفعها على مهل.

ووجدنا فى الربطة قاموساً رمزياً، فسجل المصور كل صفحة فيه ثم ناوله إلى الخبير ليعيد ترتيب الربطة، فأخذ يليّن باطن الأختام المنزوعة بقلم الحديد المحمى، وهيأ لها طبقة من المعجون فوق مكانها فى الربطة، ثم وضعها وضغط عليها فثبتت بحيث أصبح منظرها لا يختلف عما كانت عليه من قبل، فلا تلاحظ العين أن يداً قد عبثت بها.

أما نحن فقد اكتشفنا فى الخزانة أثناء ذلك خدعة تنصب لنا شركا، إذ رأينا فيها خيطاً متعرجاً قد ألقى فوق صندوق من الصفيح يغطيه التراب. فلبثنا عشرين دقيقة نرسم تعاريج هذا الخيط ونقيسها ونتدبر كل ما يراد من وضع هذا الخيط على تلك الصورة. ثم أخرجنا محتويات الخزانة وفحصنا ما بها من ملفات، وهكذا فعلنا أيضاً بالأوراق والمستندات التى أخرجناها من الصناديق وسلمناها إلى العالم اللغوى، وهو يجيد أربع لغات، وقد لجأ إليها كلها لقراءة تلك الأوراق وفرز المهم منها، فصورناها جميعاً. وانهمك المصور فى مباشرة مهمته، فالتقط فى أقل من أربع ساعات ألفى صورة من الرسائل وصفحات القاموس الرمزى والتقارير وأوراق أخرى.

وانتهت مهمتنا، فاجتمعنا عند مدخل البناء وأردنا أن نستر موقف المدير، فتظاهرنا أننا نجدّ فى جمع الأجهزة التى جئنا بها لقياس تمايل البناء، وفى كتابة حساب معقد من الأرقام. ولم نكد نمضى فى هذا العمل حتى أقبل زيجلى مسرعاً، والظاهر أن الموظف الذى قدم علينا من قبل كان قد استفاق من سكرته التى طالت ساعتين، وأبلغه بالتلفون أنه شاهد جمعاً من الرجال يجولون فى البناء ومعهم آلات عجيبة. ومرّ زيجلى بالحارس مسرعاً، وقد بدت عليه دلائل الغضب والاهتمام للنبأ الخطير، وطلب أن يصعد فوراً إلى مكتبه فتجاهلناه لوثوقنا من أنه لن يجد أثراً مايدل على زيارتنا.

ونزل زيجلى بعد عشرين دقيقة مبتهج النفس وهو يبتسم، فلا شك أنه ألفى كل

نخاخه كما هى ولم يجـد ما يريبه ، ثم أخذ يفحص بعناية شديدة أجهزة مقياس تمايل البناء ، وكنا بسطناها عند المدخل وبدا عليه السرور حين قال له أحد « المهندسين » إن البناء سليم ، ثم غادرنا وهو يصفر مسروراً.

ولعل هذه كانت آخر مرة يصفر فيها مسروراً ، إذ ذهب رجال الحكومة بعد يومين بهدوء إلى مكتبه واقتادوه إلى السجن بهدوء أيضاً.

ووقعت فى أيدينا وثائق تثبت ببراهين قاطعة أن زيجلى يدير جمعية ألمانية للتجسس تضم نفراً كبيراً من الأعوان فى عدة مدن أمريكية . وقد وجـدنا فى خزانته كشفاً بأسماء هؤلاء الأعوان ومكان إقامتهم ، وتعليمات عن استعمال شرائط التصوير المصغرة والحبر الخفى ووسائل التنكر وغير ذلك . وقد تم القبض على جميع أعوان زيجلى فى غضون شهر واحد ، وانهارت جمعية التجسس ، ولكن لم يعلم زيجلى ولا سواه كيف انكشف أمرهم .

كانت وسائلنا حينئذ على نقيض ما كانت عليه من سذاجة أيام اقتحمنا القنصلية الأجنبية ، فقد وفقنا إلى وضع الخطة المحكمة لعملنا حتى لا تدع مجالا للمصادفة . ولعلّ حادث الضابط «باتا» هو خير مثل يبين لك ما طرأ على أساليبنا الفنية من تقدم وتحسن .

فذات يوم قبض على موظف معروف بالأمانة يدعى جستاف جنسن يشغل منصباً مهماً فى مصنع حربى ، وذلك حينما خطر لأحد حراس المصنع وهو يؤدى واجبه أن يفتش ثيابه ، فوجد فى جيبه جزءاً من رسم لسلاح سرى جديد . وكان جنسن من مهندسى المصنع الذى يصنع هذا السلاح ، فادعى أنه وضع الرسم فى جيبه أثناء العمل ثم غفل عنه . ونظراً لسابق خدماته الجليلة فى زيادة إنتاج المصنع ، فقد أفرج عنه بعد أن وجه إليه تحذير شديد ، ولكن رئيس حراس المصنع لم يطمئن إلى أقواله ، وأمر بوضعه تحت المراقبة .

وكان جستاف ممن اكتسبوا الجنسية الأمريكية بالإقامة ، أما مولده ففى بلد يحتله الألمان ، وله حكومة مهاجرة تقيم فى لندن. وكان جستاف موضع التبجيل ، والرأى فيه أنه يناصر الأمريكيين بقلبه ، ولكن ورد على لسان أحد جيرانه وهو يذكر خصال جستاف كلمة ذات مغزى زادت من ريبة رئيس الحرس ، فقد قال الجار : « إن جستاف رجل أريب ، فليس هو بالمهندس المقتدر المنصرف إلى عمله فى المصنع وحسب، بل إنه يصنع بيديه كثيراً من الأشياء التى يحتاج إليها . فقد صنع منذ قليل آلة لتصوير الوثائق ووضعها فى قبو منزله » .

آلة لتصوير الوثائق ! إن هذا فيما يبدو يدل على التجسس . وأحيل الموضوع على مكتبنا ، وراجعنا ملف خدمته فوجدنا أنه ذكر فى الطلب الذى قدمه للتوظف اسم الضابط باتا باعتباره أحد من يعرفونه ، وهذا الضابط من كبار موظفى الحكومة المهاجرة ، ومقر عمله فى نيويورك .

وكنا نعلم أن باتا قد اشتغل بالجاسوسية فى الحرب العالمية الأولى ، وبدا لنا أن من الخير أن نفحص أمره الآن ، فعهد إلىّ أن أستكشف مكتبه فى نيويورك .

وقال لى مدير البناء الذى يقيم فيه باتا : « يسرنى مجيئكم فإننى أرتاب فى هؤلاء الناس لأنهم يشغلون الطابق العاشر كله وبعض مساكن الطابق الثانى عشر أيضاً ، وسيل زوارهم لاينقطع ، وقد بدأوا أخيراً يحرقون أوراقهم » .

وتعذر علىّ أن أتحين وقتاً يخلو فيه المكتب من الموظفين ، إذ اعتاد بعضهم أن يمكث فيه طول الليل ثلاث مرات أو أربعاً فى الأسبوع للاستماع إلى إذاعات لاسلكية يزعمون أنها صادرة من أهل المقاومة السرية فى أوربة .

وفحصنا سجل السكان المحفوظ عند بواب البناء ، فأدركت أن يوم السبت هو أصلح وقت نقوم فيه بالتنقيب فى المكتب ، وقابلت مدير البناء فأدخلنى مكتب الطابق العاشر ، ورسم المصور فى الظلام صورة المكتب كله وملحقاته فى الطابق الأعلى .

وكان المكتب فسيح الأرجاء ، إذ وجدنا فى قسم واحد منه ١٤٠ صندوقاً لحفظ الملفات وهى مغلقة جميعاً ، فقيدت أرقام الأقفال كلها ونوع الخزائن وأحجامها ، فتلك الأرقام تعين على صنع المفاتيح المناسبة . وكذلك البيانات التى قيدتها عن الخزانتين تعين خبيرنا — على الاستعداد لفتحها ، وقد عرف طرازها .

وسرعان ما أدركت أن اقتحام هذا المكتب عمل معقد ، ولا بد من إجرائه على نطاق واسع يتطلب الاستعانة بكل ما لدينا من رجال وأدوات . إذ لا بد لنا من آلتين للتصوير ، ومن سيارة الجهاز اللاسلكى ، وجهاز لاسلكى لكل من الطابقين ، وعشرين رجلا على الأقل .

وأخذ بعض رجالنا وهم متنكرون فى زى عمال النظافة أيضاً — يشتغلون طول النهار بالقرب من المكتب أياما عديدة ، حتى ألفوا وجوه كبار موظفيه ، وقمنا بتجربة أجهزتنا اللاسلكية فى تلك المنطقة ، حتى نطمئن إلى أن الأسلاك الكهربائية فى البناء لا تؤثر على الرسالات التى نتبادلها .

وقرّ رأينا على أن نحتال من جديد للتمكن من اقتحام المكتب ، بأن ندعى أننا مكافحون

بقياس تمايل البناء ، وجئنا بأجهزة لا فائدة فيها ولكن منظرها يوحي بأنها أجهزة دقيقة ثمينة ، حتى يشعر حراس البناء بالليل أنهم يشاركوننا في عمل مهم، وأخذنا نترقب اقتحام المكتب مستعينين بهذه الأجهزة الخدّاعة .

واجتمع رجالنا في مكتبي في الساعة العاشرة صباحاً لنتحقق من كمال استعدادنا ، وبعد ذلك بخمس وخمسين دقيقة تحركت سيارة الجهاز اللاسلكي ، واستقل الحراس سيارتين وراءها . أما السيارة الأولى فقد اختارت لها مكاناً أمام البناء ليستطيع رجالها مراقبة مدخله . وفي الساعة ١١٫١٤ فتح باب البناء المخصص لدخول سيارات البضائع ، وذلك باتفاق بيني وبين المدير ، ودخلت السيارتان اللتان تحملان الأجهزة اللاسلكية والمصورين . وبعد دقيقة واحدة أقفل الباب ، ووضع الرجال أدواتهم في مصعد ، وصعدوا إلى الطابق العاشر والحادي عشر .

أما بقية رجالنا « المهندسين » ، فقد تحركت بهم سيارتان من مكتبنا في تمام الساعة الحادية عشرة ، ووصلوا مدخل البناء بعد عشرين دقيقة ، فاستقبلهم المدير ، فتريثوا معه قليلا بدعوى إطلاعه على الأجهزة التي يحملونها ، ولما اطمأنوا إلى أن قدومهم لم يثر الشبهات صعدوا إلينا .

وعكف خبير الخزائن على عمله ، وفتحت على عجل أقفال المكاتب والصناديق بالمفاتيح التي أعددناها من قبل ، وأخذ العالم اللغوي يراجع المستندات التي نجدها ، ولم تمض عشر دقائق حتى كنا قد صورنا أول مستند .

ووصلتنا فجأة إشارة من سيارة اللاسلكي تحذرنا بأن الضوء ينبعث من إحدى نوافذ المكتب ، فأحكمنا إسدال ستائرها ، فجاءتنا إشارة أخرى تقول لنا : « على بركة الله » ثم تابعنا عملنا مسرعين . ولم تمض عشر دقائق أخرى حتى فتحت الخزانة ، وكنا نعمل في صمت، ولم نسمح لأحد منا أن يشرب من الصنابير أو يدخل دورة المياه لئلا ينبعث من أنابيب البناء أقل صوت ينم علينا. واستمر العمل خمس ساعات ونحن نسرع فيه إسراعاً ، والتقط المصور ستة آلاف صورة ، وانتهت مهمتنا ، وتأهبنا لمغادرة المكان .

وأعدنا كل الأشياء إلى حالتها الأولى ، ونثرنا مسحوقنا على سطح خزانة كان قد علاها الغبار لقلة استعمالها ، ومسحنا خشب المكاتب ، ومحونا آثار بصمات الأصابع عن اللفافات ، وكنسنا الأبسطة حتى لا تبدو عليها آثار أقدامنا وقد خلعنا عنها الأحذية .

ولما عدنا إلى المكتب شرع المعمل في تحميض الشريط المصور ، واستخرجنا منه صوراً مكبرة أخذنا نفرزها ونرتبها ، وتسنى لنا بعدئذ أن نتبين نتيجة عملنا في تلك الليلة .

ماذا وقع فى يدنا ؟

أول ذلك أننا ظفرنا بسجل كامل لأخبار جستاف جنسن ، علمنا منـــه أنه من الجواسيس الأجانب ، كما علمنا كل سر أؤتمن عليه فأفشاه . وفزنا أيضاً باكتشاف مقر جمعية للتجسس تجمع الأسرار الحربية فى كافة المدن الكبرى فى أمريكا الشمالية والجنوبية . ووقعنا أيضاً على أسماء كل ما لهذه الجمعيـة من أعوان تابعين لتلك الحكومة المهاجرة . وكملت معلوماتنا عن الوسائل التى تتبعها تلك الجمعية للاستعانة بالهيئات الاجتماعية التى تضم أفراداً وُلدوا خارج أمريكا .

وقد دهشنا من دقة إحكام هذه العصابة لعملها ، وتبين لنا أننا لا نجاريها فى مضمارها . ولا أستطيع أن أعـدد كل المعلومات التى حصلنا عليها ، ولكنى أؤكد أننى قرأت الخطة التى وضعها الحلفاء لغزو صقلية قبل أن يبدأ الغزو بأسبوعين .

ومردّ الفضل فى كل عمل عملناه هو إلى الخبراء المقتدرين الذين عاونونا ، ولم يكن هؤلاء الرجال من رجال القوات المحاربة ، ومع ذلك فقد خاطروا كل ليلة بسمعتهم وحياتهم لمساعدتنا ، ولم يكن لهم مطمع فى مال ، ولو قبض عليهم لما وجدوا لهم عذراً يدافعون به عن أنفسهم ، إذ كنا نحمل تبعة السطو الذى نتولاه ، فلو كشف أمرهم لفقدوا مناصبهم وموارد رزقهم . وقد رضى أحد كبار الخبراء فى فن التصوير الشمسى فى أمريكا أن يخاطر بنفســه ليساعدنا فى مهمة شاقة تتطلب خبرته .

وأعاننا أيضاً على النجاح كثير من العلماء ، وإن كانوا لا يرافقوننا عند اقتحام الدور . وقد صنع لنا أحد العلماء فى أسبوع واحد جهازاً صغيراً يدار بالبطاريات لإرسال الإشارات اللاسلكية ، مما أعاننا على تفتيش مكتب لم نشأ الاستعانة بتياره الكهربائى حتى لا ينتبه صاحبه لعملنا .

وأخيراً نقلت من هذا المكتب وأصبحت معلماً فى المكتب السرى التابع للقوات المحاربة ، وأخذت ألقن طلبته فن فتح الأقفال وغيره من الفنون المشابهة ، وارتحلت بعد ذلك إلى ألمانيا ومعى فرقة من المتخصصين فى تحطيم الخزائن ، وحصلنا على وثائق خطيرة أصبحت فيما أعتقد من أدلة الإثبات فى محاكمة نورمبرج .

أما الآن وقد انتهت الحرب ، فقد عدت إلى ملل الحياة المدنية ، وما أنا اليوم إلا فتاح خزائن عاطل عن العمل . والغالب أن هذه السمعة التى اكتسبتها أثناء الحرب لا تزال عالقة بى ، فلا عجب إذا خشى أصحاب الأعمال أن يستخدموا رجلاً سبق له فى سبيل خدمة وطنه فتح آلاف من الأقفال ومئات من الخزائن .

من نوادر الأدباء

اشتهر وسلر بنقده اللاذع كمثل اشتهاره بصوره الرائعة . ورأى ذات يوم صورة لا تزال فى أوائلها من رسم دانتى جابرييل روستى المصوّر والشاعر الإنجليزى ، فأثنى عليها . وبعد أيام قابل روستى فسأله عنها ، فقال روستى : « لقد أمرتُ بصنع إطار بديع لها » . فلما رآها وسلر بعد أيام أخرى كانت الصورة مثبتة فى إطار نادر الجمال ، ولكنه قال لصاحبها : « أراك لم تضف إليها شيئاً منذ رأيتها أول مرة » ، فقال روستى : « لا ، لم أضف شيئاً ، ولكننى نظمت قصيدةً فى موضوعها » وقرأ القصيدة ، فألفاها وسلر فيّاضة بالجمال والحنان فقال : « أخرج الصورة من الإطار ، وضع القصيدة مكانها » .

دُعى مارك توين والمالىّ تشونسى ديبيو مرةً للخطابة بعد مأدبة . وجاء دور مارك توين أولا فألقى خطبة رائعة استغرقت ثلث ساعة ، فوقعت عند المستمعين وقعاً عظيما ، ثم كان دور ديبيو فوقف وقال :

« حضرة الرئيس ، سيداتى وسادتى : اتفقت مع مستر كليمنز (اسم مارك توين الحقيقى) قبل المأدبة أن نتبادل الخطبتين . وقد فرغ هو الآن من الخطبة التى أعددتها أنا . وإنى لأشكر لكم حسن إصغائكم إليها واحتفائكم بها ، ويسؤنى أنى أضعت المذكرات التى كان المستر كليمنز قد أعدها وأعطانى إياها، ولست أذكر شيئاً مما جاء فيها » . ثم جلس بين الهتاف والتصفيق .

فلما انفضّ شمل المجتمعين ، دنا أحدهم من مارك توين وقال : « أحسبك يا سيدى رجلاً قد فُرِض عليه أمر أليم ، وقد تسامع الناس بأن مستر ديبيو رجل بارع الذكاء واسع الحيلة ، ولكن هذه الخطبة التى أعطاكها كانت لا تباريها فى سخافتها خطبة أخرى » !

زجاج الإبصار



من الناس كثيرون يلبسون النظارات فى هذا الزمن . ولكنَّ الناس ما فتئوا منذ ألوف السنين يستعينون بوسائل لتحسين البصر . فالإمبراطور الرومانى نيرون ، مثلا ، كان على ما يروى يستعمل زمرّدة أتقن صقلها . بيد أن النظارات ليست سوى جزء صغير من صناعة زجاج الإبصار ، وطائفة كبيرة مما تنتجه هذه الصناعة يُعدُّ شيئاً جوهريًّا للأمم زمن الحرب ، فالمجاهر (الميكروسكوبات) والمطايف المصوّرة (الإسكترو فوتوميترات) والأجهزة التى تستقطب الضوء (البولاريميترات) وغيرها من أدوات الإبصار تشتد إليها حاجة الصناعة . أما القوّات المحاربة فتحتاج إلى العدسات والمنشورات البلورية والمرايا اللازمة للمعدات التى تعين البعد والارتفاع ، وتحتاج إلى مناظير تحديد الهدف فى المدافع ، وإلى الآلات المصوّرة ، ونظارات الميدان ، والأسداس . ومناظير الغوّاصات والدبابات . وزجاج الإبصار البريطانى يضارع أى زجاج للإبصار يصنع فى أى مكان آخر على سطح الأرض . والرجال الذين يصنعون أدوات الإبصار الحديثة يسعى لهم أن يظفروا بمواد كيميائية على أعلى درجة من النقاء والصفاء ، وأعمال الصناعة نفسها تحتاج إلى هيمنة الكيميائى أدق هيمنة وأتمها . فإذا كنت ممن يلبس النظارات وتستطيع بوساطتها أن تقرأ هذه الكلمات ، فجانب كبير من الفضل فى ذلك يعود إلى الكيميائى .

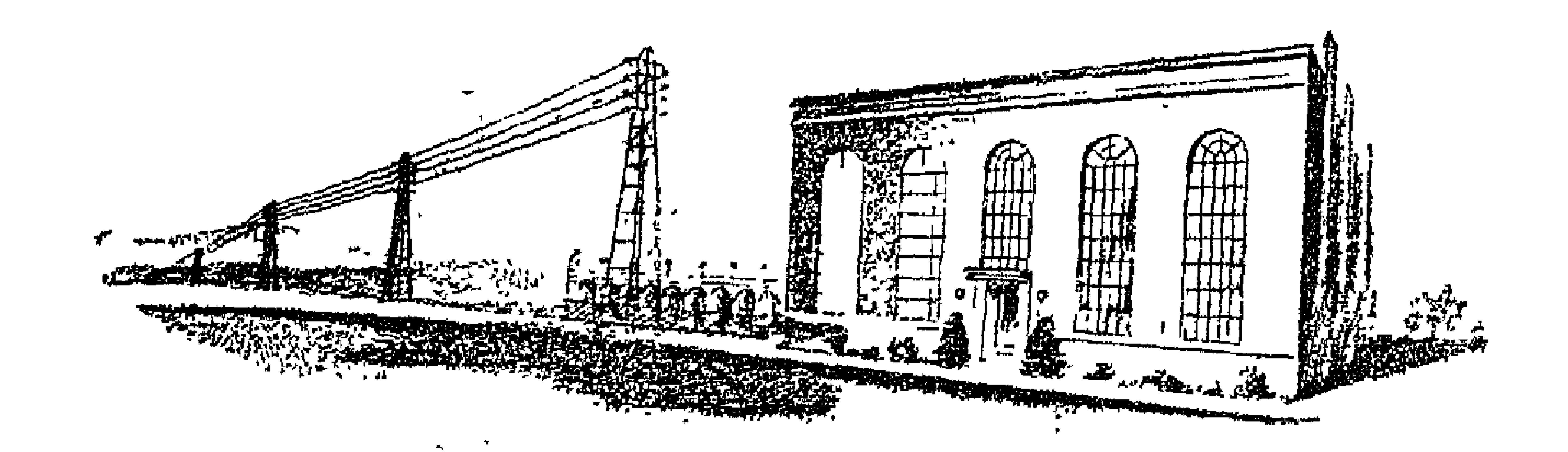
ICI

IMPERIAL CHEMICAL INDUSTRIES - LONDON - ENGLAND

الموزعون الوحيدون فى القطر المصرى والسودان
الصناعات الكيماوية الإمبراطورية
(مصر) شركة مساهمة — مصر

فى فلسطين ، سوريا ، شرق الأردن ، لبنان ، العراق
الصناعات الكيماوية الإمبراطورية (الشرق) المحدودة
يافا .


أوتو لايت
AUTO-LITE
تخدم سيارتك
سواء أكنت فى حاجة إلى استبدال شمعة من شموع الاحتراق فى سيارتك وحسب
أم إلى ترميم الجهاز الكهربائى بأكمله ، فإنك تستطيع أن تثق من حصولك على الخدمة
المضمونة إذا اعتمدت على أوتوليت .
إن مؤسسة أوتوليت أكبر المصانع المستقلة فى العالم لإنتاج معدات السيارات
الكهربائية — شموع احتراق ، بطاريات ، أجهزة القيام والتوليد ، أسلاك — فلا عجب
أن تجد أن أوتوليت هو الاسم الذى تدعمه القدرة الفنية الصحيحة .
ابحث إذن عن اسم أوتوليت على جميع أجهزة القيام والإضاءة والإشعال.
THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
Export Division
Chrysler Building, New York 17, N.Y., U.S.A.
AUTO-LITE
AUTO-LITE
أجهزة للقيام
الإضاءة والإشعال



قوة نوردبرج ديزل

تهيئ لك أداء قليل النفقة تعتمد عليه

سواء كنت تريد أن تهيء القوة لمصنع محدود الطاقة أو لمصنع عظيم يتطلب آلاف الأحصنة ، فثمة محرك « نورد برج - ديزل » من أى حجم ونوع ليلبي طلبك بالذات . إن معدات « نورد برج - ديزل » قد اكتسبت خلال نيف وثلاثين سنة فى صناعة محركات الديزل ، شهرة ذائعة لما تمتاز به من أداء اقتصادى يمكن الاعتماد عليه . ولكى تظفر بحل مرض لمسائل القوة التى تشغلك فاعتن بتركيب محرك « نورد برج - ديزل » . فإذا طلبت مزيداً من الاستعلامات خابر ممثلينا فى الشرقين الأدنى والأوسط فى البلاد الآتية :

NORDBERG MFG. Co. Milwaukee, Wisconsin, U. S. A.

فى القطر المصرى والسودان ، الحبشة ، شرق الأردن
فلسطين ، تركيا ، قبرص ، سوريا ولبنان

الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة
٤١ شارع صفية زغلول بالإسكندرية
٣١ شارع سليمان باشا بالقاهرة .

فى المملكة العربية ، **أمريكان إيسترن كوربوريشن** بجدة
فى إيران ، **أمريكان إيسترن ليمتد** ، ش روزفلت بطهران

فى العراق
الشركة الأمريكية العراقية للملاحة ليمتد
٢٨٢/٩ شارع المستنصر ببغداد ، شارع الملك فيصل بالبصرة

NORDBERG ماكينات ديزل



إن منتجات شركة « وليامز » المشهورة فى جميع أرجاء العالم ، مصنوعة بمهارة خاصة تكفلها خبرة مئة عام فى صناعة أرقى مستحضرات الزينة للرجال .

وسيكون فى وسعك أن تنعم بآخر مستحضرات الحلاقة حالما تعود العلاقات التجارية إلى سابق عهدها . وحينئذ ستجد منتجات «وليامز» فى أشهر متاجر الشرق الأوسط .

ويمكنك أن تثق من حصولك على أفضل حلاقة وأكثرها راحة حين تستعمل :

كريم وليامز الفاخر للحلاقة : يحتوى على مادة « لانولين » الملطفة التى تتيح لك حلاقة ناعمة دون أن يتهيج الجلد

أكواڤلڤا : أشهر لوسيون فى العالم للاستعمال بعد الحلاقة . مُبرِّد ، منعش ، نقى ، ذكى الرائحة .

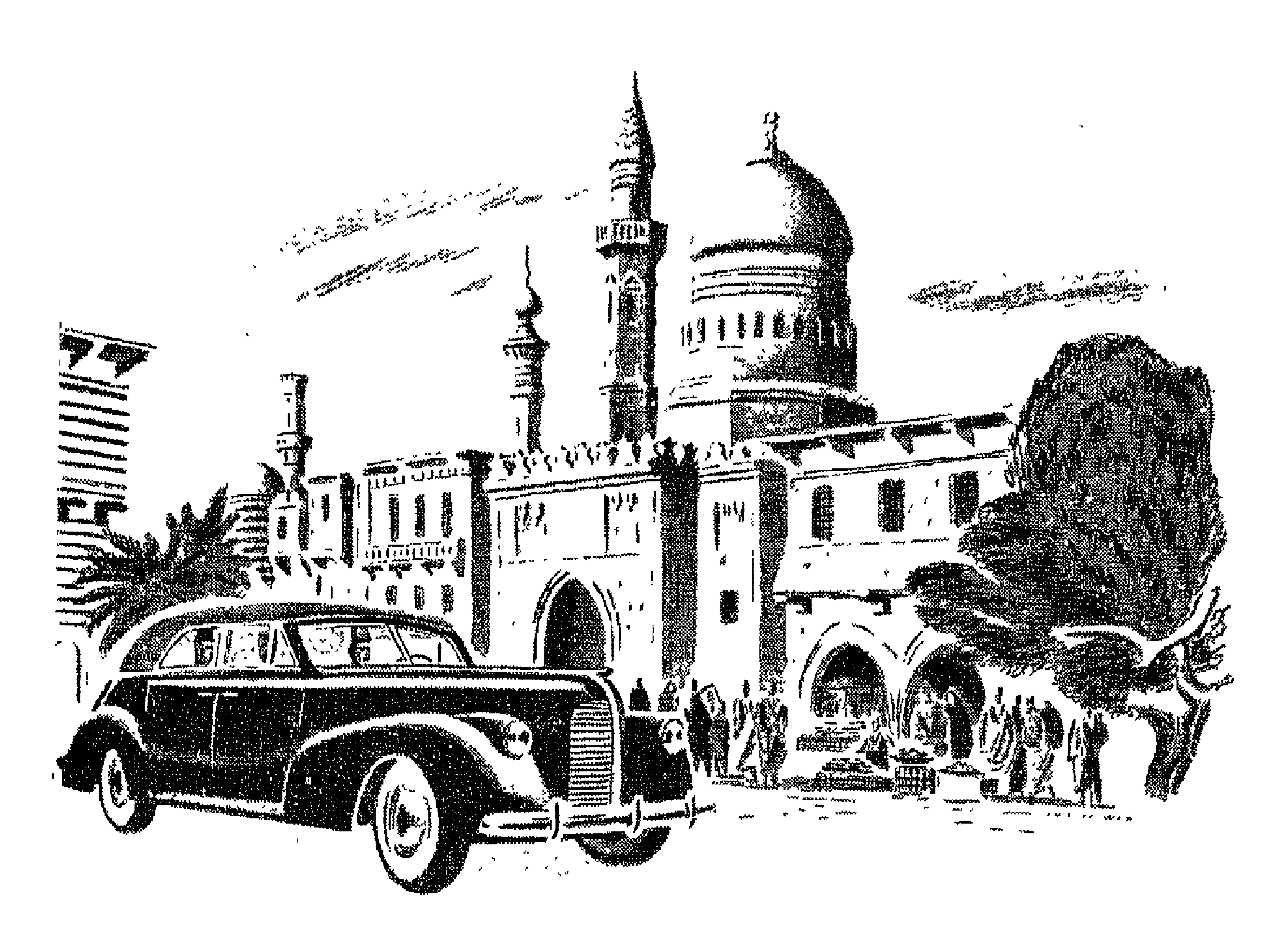
كريم جليدر وكريم إسكواير للحلاقة بدون فرشاة : خاليان من المواد الشحمية أو اللزجة ، مصنوعان خصيصاً بحيث يتيحان للذين يحلقون كل يوم ، حلاقة ناعمة دون أن يلتهب الجلد .

قلم صابون وليامز للحلاقة : مشهور برغوته السخية الندية ، اقتصادى للغاية ، يخدمك ستة أشهر يعطيك خلالها أتم الحلاقات وأكثرها راحة .

The J. B. Williams Co., GLASTONBURY, CONN., U.S.A.

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من ١٠٠ سنة

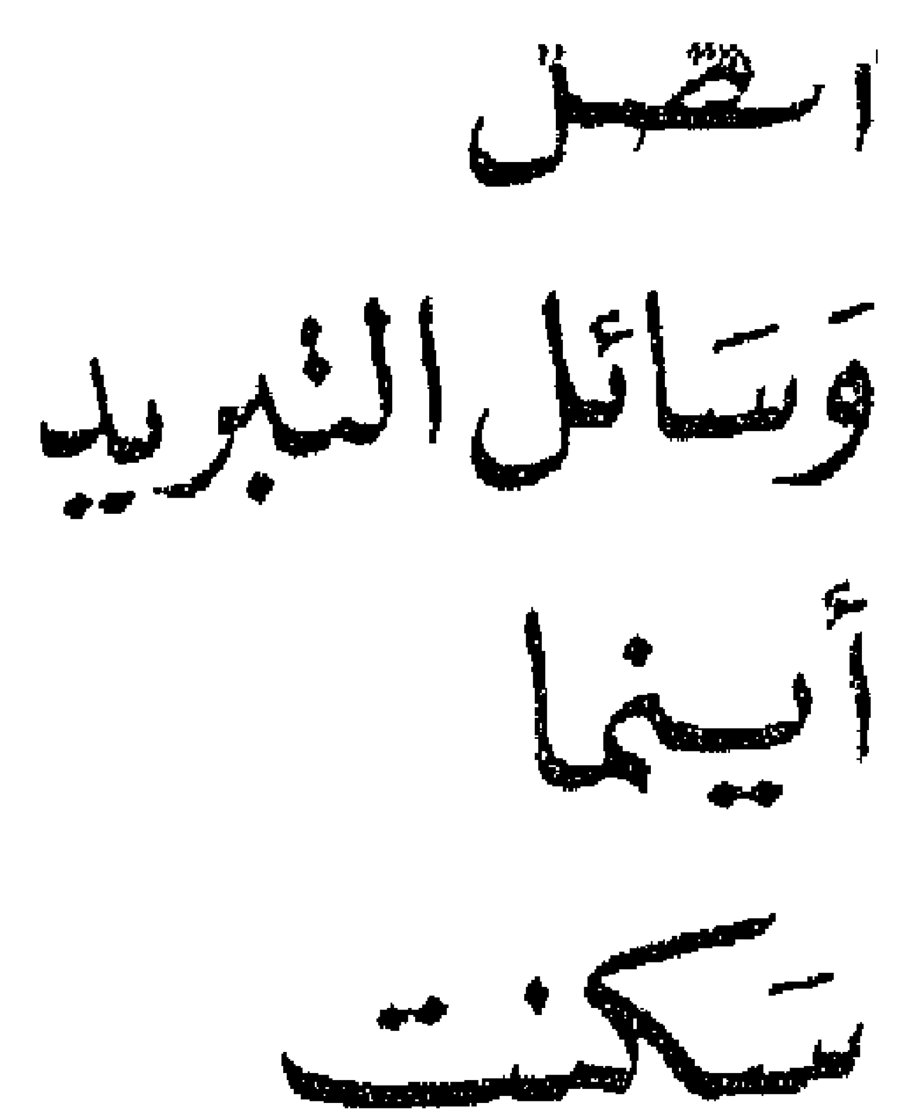


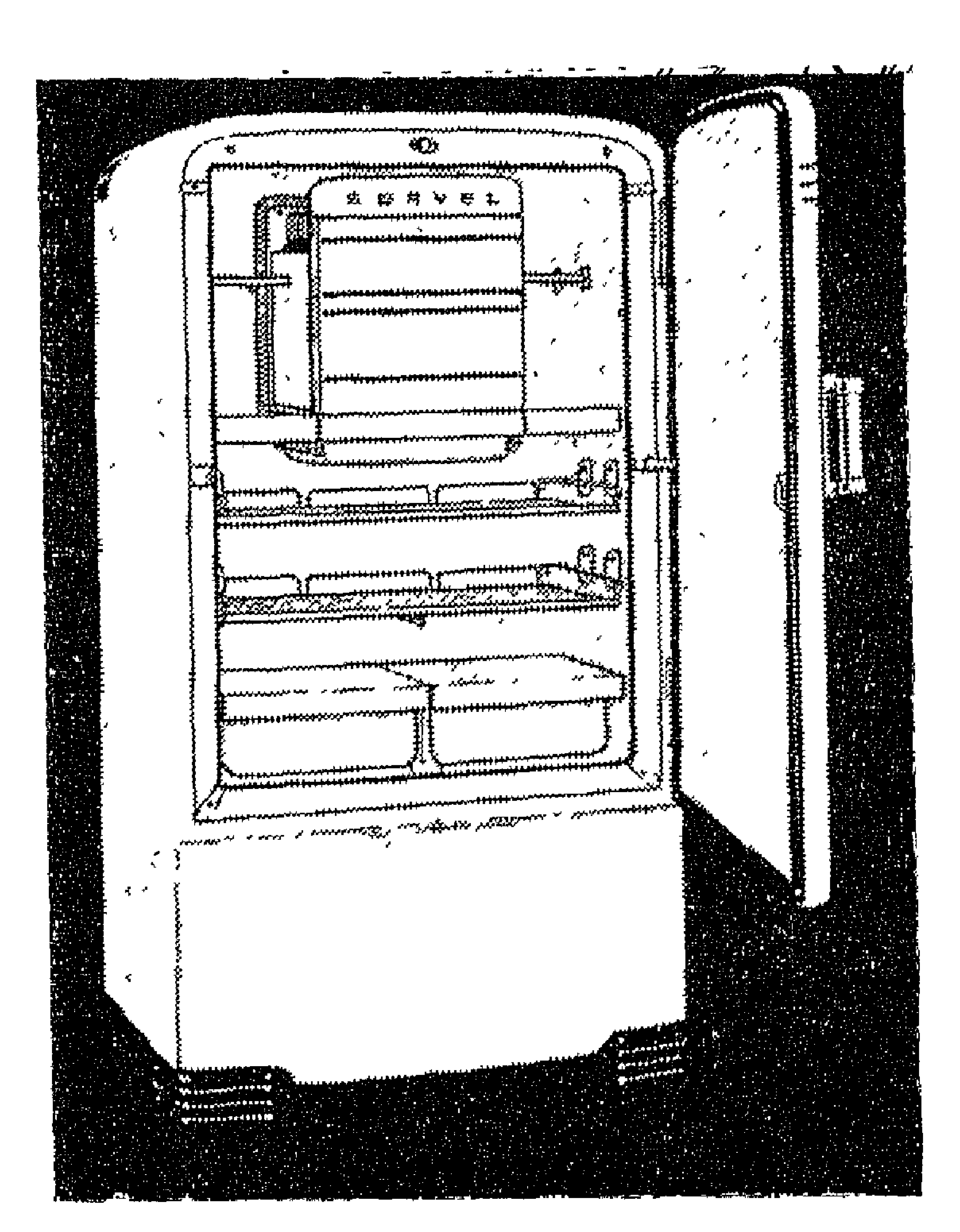
متاعب أقل في الطريق
باستعمال زيت موبيلويل في سيارتك

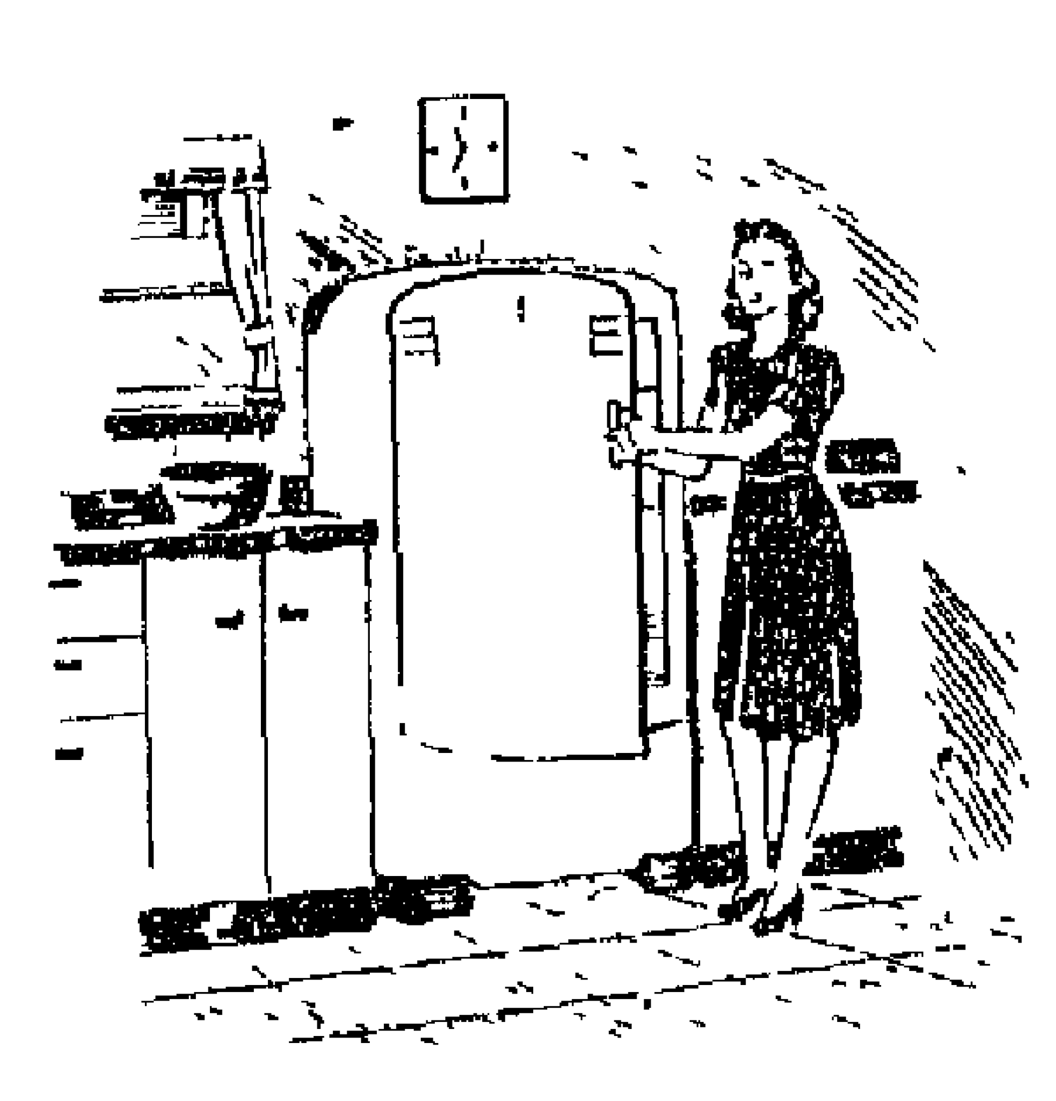
زيت موبيلويل يمثل الوقاية التامة لسيارتك ضد الهرش والعطل والإصلاحات
ومن شأنه أن يجعل السيارات القديمة تسير سيراً منتظماً وتؤدي خدمة أطول.
موبيلويل أشهر زيت سيارات في العالم صنع خصيصاً لحفظ المحركات
نظيفة خالية من الرواسب الضارة التي
تضعف قوتها.
اضمن لسيارتك أطول سير على الطريق
باستعمال زيت موبيلويل ، فهو
أحسن وقاية لمحركها.

جارجويل
زيوت وشحومات

شركة سوكوني - فاكوم أويل المساهمة







ثلاجة سيرفيل تعمل: بالكاز الأبيض، أو الغاز الطبيعي، أو الغاز الصناعي، أو الغاز المعبأ

تصنع قدراً عظيماً من مكعبات الثلج — داخلها واسع رحب — تجرّد بغير أجزاء متحركة


سواء كنت تعيش في الريف أو في المدينة فمن وسعك أن تستمتع بوسائل التبريد الآلية الحديثة. ذلك لأن « سرفيل » لا تحتاج إلا إلى لهب صغير من الغاز أو الكاز حتى تدير مادة التبريد التي تحدث برداً مستمراً؛ ومكعبات وافرة من الثلج. وليس في نظام التبريد فيها أجزاء متحركة، قد تبلى أو تتآكل، أو تتعطل أو تحدث ضجة. فلا عجب في أن تجد أكثر من مليوني أسرة في القارتين الأمريكيتين تستعمل « سرفيل » وتقول إنها « أفضل الثلاجات ».

و « سرفيل » تقدم لك أيضاً أجود آيات الجمال الشيق ... وأحدث الوسائل الميسرة النافعة. ففي ثلاجة «سرفيل» جهازان كبيران للتندية تحفظان لك الخضر والثمار لذيذة شهية.

والمكان الرحب الخاص بخزن اللحم يحفظ فيه كل جودة اللحم الطازج ورائحته الكاملة الشهية. ثم تجد في جوفها متسعاً رحباً يحتوي على رفوف تستطيع أن تغير أماكنها وسعة ما بينها وفقاً لحاجة أسرتك في مختلف الأيام.

الثلاجة التي تختلف عما سواها

Servel سرفيل


ثمنه أكبر - قيمته أعظم
The GENERAL TIRE
Copyright 1947
The General Tire & Rubber Co.
Akron, Ohio
إطار جنرال

سيارات النقل
انترنشونال
للمهام الضخمة

إنك تجد مركبات النقل « إنترنشونال » في كل مكان يوجد فيه مهام ضخمة يجب أن تنجز . وكثير من هذه المركبات مضى عليها في العمل ست سنوات أو أكثر ولكنها مستمرة في أداء خدماتها بالرغم من ندرة كل شيء تحتاج إليه سيرها في الأحوال العادية . على أن مركبات النقل « إنترنشونال » للمهام الضخمة قد أخذت تزداد ، ولا ريب في أنه يهمك أن تلم بمميزات هذه المركبات إذا كنت تنشد لعملك أقصى حد في الأداء وأدنى حد في النفقات . إن مركبات النقل «إنترنشونال» يسيرها محرك « رد دايموند » الحديد ، كما تمتاز بما اشتهر عن «إنترنشونال» من تصميم متين وأداء باهر وهذا هو السبب في أن عدد ما بيع من مركبات «إنترنشونال» للمهام الضخمة يتجاوز عدد ما بيع من أي نوع آخر .

INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Building Chicago 1, U. S. A.

INTERNATIONAL  **HARVESTER**

العالم يقصد إلى بوش ولومب

ليس فى التاريخ سابقة لمثل هذا الطلب العظيم على أدوات الإبصار . وعدد الذين يطلبون أجود الأدوات وأفضلها منقطع النظير فلذلك ترى أن الطلبات التى تتلقاها شركة « بوش ولومب » تفوق قدرتها على الإنتاج .

ومصانعنا تعمل ليل نهار ، ونحن نبذل كلّ جهد مستطاع لنلبى الطلبات التى وصلتنا .

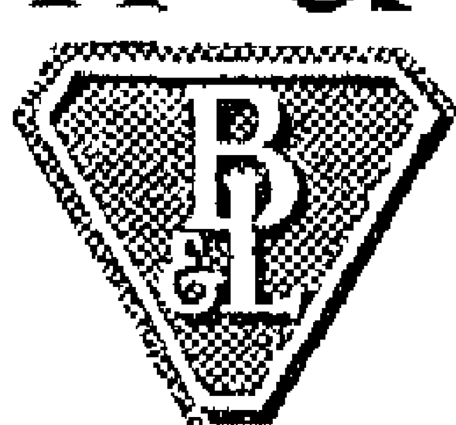
على أنه من الخير أن تذكر أنه متى وصلتك أدوات الإبصار التى طلبتها ، حاملة ماركة « بوش ولومب » المسجلة ، فإنك تظفر بالجودة التى بلغت ذروة التقدير فى جميع أنحاء العالم .

بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

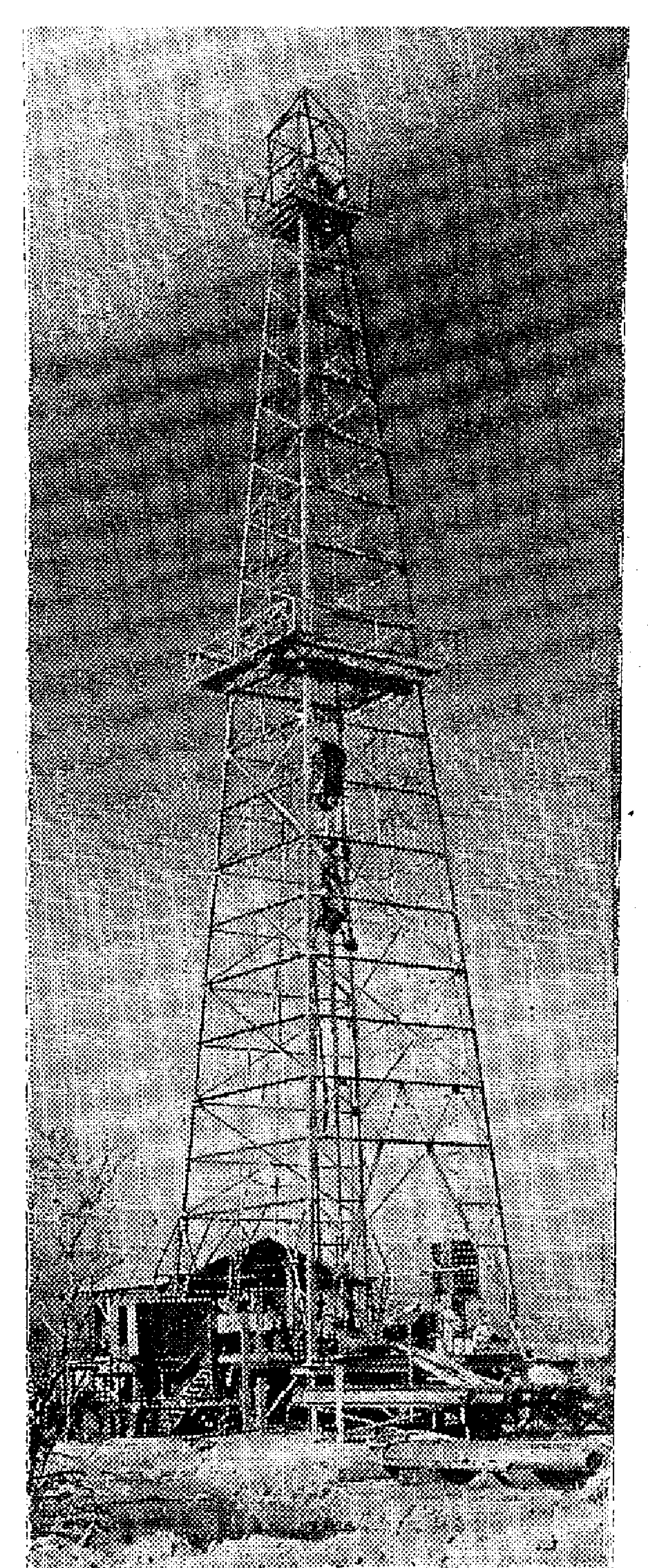
OPTICAL COMPANY

روتشستر
الولايات المتحدة الامريكية





الكشف العلمي يسير قُدُماً !



لايزال فى جوف أمنا الأرض ، كنوز لا تقدر من الزيت ، لم يكشف عنها الغطاء . بيد أن الانتفاع بالمعدّات الحديثة لحفر الآبار العميقة ، وبقوة « كاتربيلر ديزل » التى تستطيع أن تعتمد عليها ، قد جعل البحث عن الزيت ممكناً بغير أن تنفق المال والوقت ذلك الإنفاق الباهظ الذى كان فى الزمن الماضى يثبط همم الباحثين .

وآخر صورة صوّرت للمشروع المنشور هنا ، تدل على أن الحفر بلغ عمق ٦٠٠٠ قدم (وهو عمق كان يعدُّ من الوجهة الاقتصادية أمراً لا يمكن تحقيقه منذ بضع سنوات) وينتظر أن يبلغ العمق ١٠٫٠٠٠ قدم فى آخر الأمر . ومحرّك « كاتربيلر » ديزل يهيء لك القوة للحفر ونزح الماء بالمخضات وضغط الهواء ، وإضاءة منازل الموظفين والعمال .

وبعد أن تحفر الآبار وتمدُّ الأنابيب ، ترى أن محركات « كاتربيلر » ديزل نافعة فى دفع الزيت فى الأنابيب إلى المرفأ أو مصنع التكرير — مهما تكن المسافة بعيدة ، أو مهما يبلغ مقدار الارتفاع . إن محركات « كاتربيلر » ديزل من أنفع المعدات التى زوّد بها الناس ، من أجل استغلال جميع الموارد الطبيعية والصناعية فى أمةٍ من الأمم .

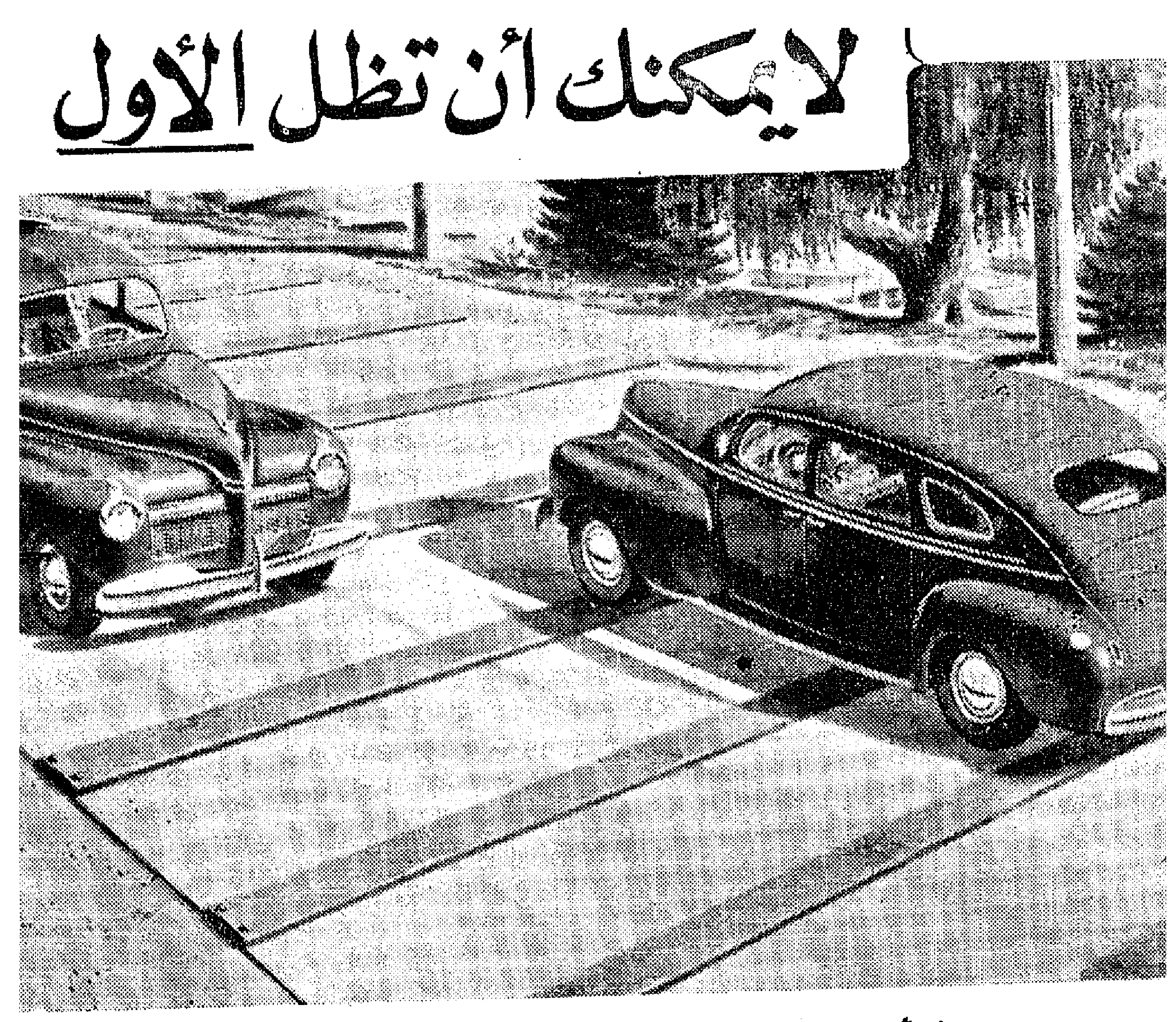
CATERPILLAR TRACTOR CO., PEORIA, ILLINOIS, U.S.A.

CATERPILLAR DIESEL

ماركة مسجلة

محركات . جرارات . ممهدات الطرق . معدات جرف التراب


Kodal



تصوّر أنك تقود سيارتك على طريق كهذا الطريق : قضبان من الصلب ممدودة عليه من جنب إلى جنب كل بضع أقدام . . . ساعةً بعد ساعة ، ويوماً بعد يوم !

ولن تجد سائقاً — أو سيارة — يستطيع أن يحتمل من الشدة مثل ما تلقاهُ على هـذا الطريق من الإرهاق الطويل الذى تهزُّ جسم الرجل وهيكل السيّارة هزّاً عنيفاً .

ومع ذلك عزم « جوديير » أن يمتحن إطاراته ، وغيرها من الاطارات ، على طريق يشبه هذا الطريق تماماً .

الأول فى كل سنة ، منذ ٣٢ سنة

GOODYEAR


شحنة من الفتنة
من مصانع «كاسونز» بمانشستر (إنجلترا) خرجت أحدث الروائع فى أنواع «أحمر الشفاه» البريطانية فى خمسة ألوان جديدة. وقد روعى فى صنعها أن تكون ممتازة فى مادتها ولونها، فهى تحتل اليوم مكان الصدارة فى صالونات التجميل فى جميع أنحاء العالم.
أحمر شفاه Cussons



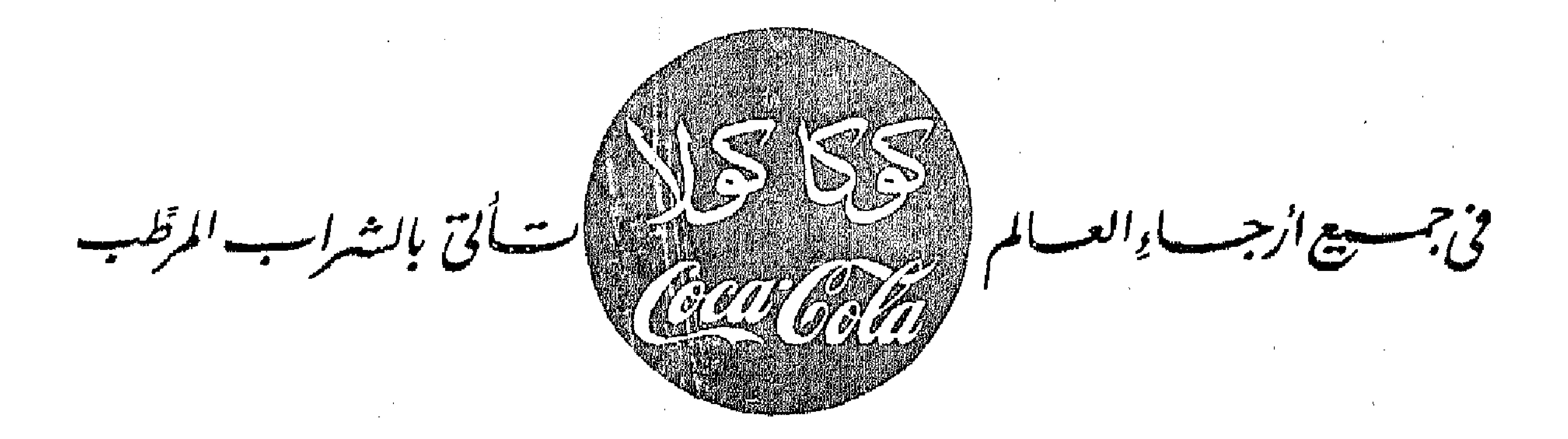
سيطر على البعوض والذباب والبراغيث ، وغيرها من الحشرات
باستعمال د . د . ت . "پستماستر" الأصلى

إن مركّبات قاتل الحشرات « د . د . ت PESTMASTER » ، قد ركبت تركيباً علميًّا ، وقد امتحنت امتحاناً بالغ الإحكام ، وثبت نفعها خلال ثلاث سنوات أو أكثر من الاستعمال ، ومن تجارب فى المعامل أحاطت بكل ناحية ، وهى تصنع تحت هيمنة دقيقة من أجل ضمان جودتها ، والشركة التى تصنعها هى شركة « مشيجن كيميكال كوربوريشن » التى كانت فى طليعة منتجى « د. د. ت. PESTMASTER » ومورّديه فى أثناء الحرب إلى القوّات المسلحة فى أوربة وجنوب المحيط الهادى ، وإلى جمعية الصليب الأحمر ، ومصلحة الصحة الأمريكية ، وهيئة الإغاثة والتعمير « أنسرا » .

هذا تاريخ قاتل الحشرات د . د . ت . — وهذا هو السبب الذى من أجله يصحّ لسكان الشرق الأوسط أن يستعملوا قاتل الحشرات « د . د . ت PESTMASTER » وهم على ثقة تامة من أنهم يظفرون بوسيلة مأمونة نافعة مجدية فى السيطرة على البعوض ، والذباب ، والبراغيث ، وبعض الحشرات الأخرى الضارة والمزعجة . وهناك مركّبات من قاتل الحشرات د. د. ت. قد أعدت إعداداً خاصًّا للاستعمال فى البيوت ، والحدائق ، وعلى المنتجات الزراعية ، والمواشى والأنعام ، والدواجن ، وفى المكاتب والمصانع وفى جميع مشروعات الصحة العامة والموزّع الذى تعامله فى بلدك مستعدٌّ أن يعاونك على تعيين التركيب الصحيح من قاتل الحشرات د . د.ت . الذى تحتاج إليه ، وإذا شئت فاكتب إلى المصنع رأساً

MICHIGAN CHEMICAL CORPORATION

SAINT LOUIS, MICHIGAN, U.S.A.


فى جميع ارجاء العالم
كوكا كولا
Coca-Cola
تأتى بالشراب المرطّب

من الوقت ما يكفي ، وتراخى في مكانه وهو يتنفّس الصعداء ويقول : « آه لو انفسح لي الوقت ! »

ولو أنصف لعلم أنه يدعُ الساعات تتفلّتُ من بين أصابعه حاملة سِرّ الحياة إلى غير رَجْعة . والرجل العاقل لا يدع دقيقة من دقائق العُمْر تمرّ إلا أمسك بناصيتها وحشَدَ في ثناياها ما يتسع له من روائع الحياة . وكلّ ساعة من ساعات العمر تتيح للعاقل فُرَصاً غالية لو هو أحسنَ انتهازها واستغلالها . . وإذا رأيت امرءاً يُحسِنُ الانتفاع بالدقائق الشاردة ، فذاك خليقٌ أن يجعل الأحلام حقائق واقعة .

[أنجيلو باترى]

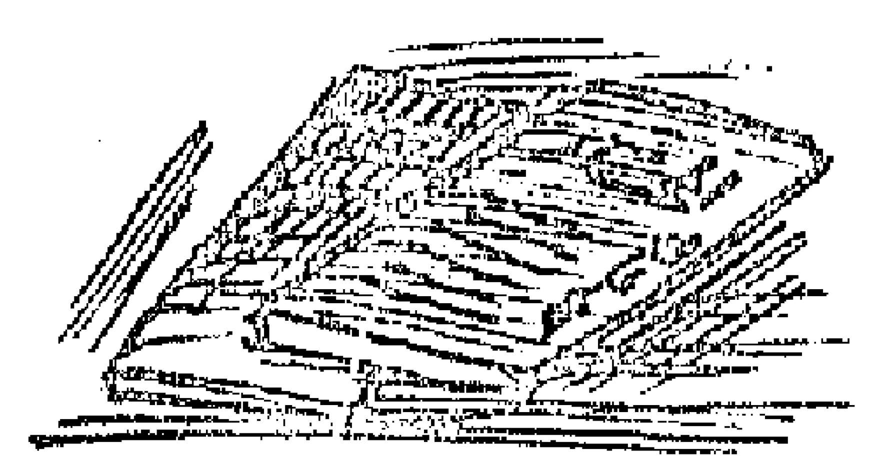
لكل امرئ منّا موضوعٌ يَهواه ويشغَله — إمّا علم النفس ، وإما الاقتصاد ، وإما التاريخ ، وإما الفلسفة ، وإما الفن ، وهو وإن كان يبدو بعيداً عن محيط عمله الذي يزاوله في كل يوم ، إلا أنه ينفث في روحه وعقله أسباب النماء والقوة ، ويحرّره من ربقة النظام الرتيب الذي يستعبده .

[ألفين جونسن]



تستطيع أن تقول بحق إنّ حُبّ القراءة حُبّاً ينبعث من أعماق القلب — يجعل الشـاب أكبر مما تدلّ عليه سنّه ، ويجعل الشيخ أشب مما تدلّ عليه سنّه .

[ولتر مردك]



« المختار » يتيح لقارئه من الآراء والأفكار والحقائق ما يعينه على حسن التفكير ، ويحفزه إلى العمل ، وينفث في روحه وعقله أسباب النماء والقوة ، وكذلك يستطيع أن يحسن الانتفاع بالدقائق العابرة فيسعدُ بحياته ، ويفيض من سعادته على أهله وأصحابه .

ذخيرة الدقائق العابرة

تجوز الحضارة فى هذا العهد غمار انقلاب خطير يتصل بأعمق جذور الحياة . . . وفى غمار هذا الانقلاب أتبين خطيئتين لا تغتفران : أما الأولى فخطيئة عدم المبالاة ، وأما الثانية فخطيئة الجهل ... وقد كان الناس قبل عهد العلم الحديث يخضعون لقاعدة : « جاهد ، لا تجع » ، أما الآن فالشعار : « فكر ، لا تهلك » . ولما كان الناس على سطح الأرض ، لا يعيش أحدهم متعزلا عن الآخر ، وكان كل منهم يتأثر بأفكار جاره سواء عرضت هذه الأفكار فى الحديث أو فى الصحف والمجلات ، فالقول : « فكر ، لا تهلك » معناه « اقرأ ، لا تهلك » . [محمد على علوبة باشا]

أسعد الناس أقدرهم على حسن التفكير ، والتفكير الحسن لا يكون إلا فى العقل المثقف . . وفى الناس قوم يستغلون ساعات الفراغ فى تثقيف عقولهم : يحبون الموسيقى الجيدة ، والكتب الجيدة ، والصور الجيدة ، والأحاديث الجيدة — فمن هؤلاء ؟ إنهم أسعد الناس فى هذه الحياة الدنيا ، وهم ليسوا سعداء فى أنفسهم وحسب ، بل هم أيضاً سبب يجلب السعادة للآخرين . [وليم ليون فلبس]



ليس فى الحياة شىء أنفس من الوقت ، والمرء منا إذا نظر فلم يجد بين يديه وقتاً طويلاً ممتداً ، زعم أنه لا يجد

[التتمة فى الصفحة السابقة]